"بصدد المسألة اليهودية"، 1844 ـ كارل ماركس
موقع 30 غشت
إعداد:
وليد الزرقطوني
علياء نجمي
عسو أمزيان
القضية الفلسطينية
بين المسألة اليهودية
والحركة الصهيونية
وثائق الثورة الفلسطينية
وثائق المؤتمر الوطني الفلسطيني
أيقونات من الثورة الفلسطينية ـ الثوريون لا يموتون
شهداء مغاربة سقطوا على درب التحرير الشامل لأرض فلسطين

القضية الفلسطينية
بين المسألة اليهودية والحركة الصهيونية

إعداد:

وليد الزرقطوني

علياء نجمي

عسو أمزيان

منشورات موقع 30 غشت

نونبر 2024

الجزء الأول

القسم الأول

تقديم عام

احتلت القضية الفلسطينية في وجدان الشعوب العربية وشعوب العالم العربي موقعا خاصا، وساهمت في بلورة وعي الشعوب بقضاياها التحررية، وكانت عنصرا هاما في نشوء اليسار الثوري العربي المعاصر، ويتجلى هذا بوضوح في نشأة الحركة الماركسية ـ اللينينية في المغرب. هكذا نشأ جيل ثوري على امتداد خريطة العالم العربي وشعوبه المختلفة، فمن منا لا يتذكر كيف كان العربي والأمازيغي والكردي والأرميني وغيرهم من مكونات شعوب المنطقة العربية، كيف شاركت في دعم القضية الفلسطينية، بل وفي العديد من الأحيان انتقلت إلى مخيمات التدريب الفلسطينية في الأردن ولبنان وسوريا، وحمل السلاح دفاعا عن فلسطين، ومشاركة في مشروع تحريرها، ولم يحن الوقت بعد لنشر أسماء الشهداء العرب والأكراد والأمازيغ والمسيحيين ... اللذين سقطوا شهداء و رووا بدمائهم أرض فلسطين والمناطق المجاورة لها في سوريا ولبنان والأردن. ويتذكر جيل السبعينات والثمانينات كيف انتشر الأدب الثوري الفلسطيني في الجامعات وكيف كان الطلبة يتغنون بأناشيد الثورة الفلسطينية وأشعار أحمد فؤاد نجم وأغاني الشيخ إمام، وكيف كانت دواوين شعراء الأرض المحتلة تنتقل من يد إلى يد، منها دواوين محمود درويش و سميح القاسم و توفيق زياد و فدوى طوقان ... و نفس الشيء يمكن أن يقال عن تأثير القضية الفلسطينية في وجدان اليسار الثوري العالمي، الذي التحق العديد من قادته المؤسسين بالمعسكرات الفلسطينية بالأردن و لبنان و شارك العديد منهم في العمليات التي كانت تقوم بها فصائل الثورة الفلسطينية من قبيل الجبهة الشعبية و الجبهة الديموقراطية و حركة التحرير الوطني فتح.

لقد استطاعت الإمبريالية العالمية أن تغرس كيانا مصطنعا في فلسطين في محاولة للتخلص من المسألة اليهودية في أوروبا و إجهاض حركة التحرر الوطني الفلسطينية، و ذلك عبر ربيبتها الحركة الصهيونية العالمية، التي صنعت ما يسمى بناء "الدولة اليهودية" على أرض فلسطين كحل للمسألة اليهودية و بقوة السلاح و الإرهاب و حرب إبادة لا تتوقف ضد الشعب الفلسطيني لإرغامه على القبول بهذا الكيان المسخ المسمى "إسرائيل"، لكن مقابل هذه السياسات الإجرامية النازية انصهر خط نضال فلسطيني لا يلين، و قام المثقفون العضويون الثوريون

للشعب الفلسطيني، اللذين استخلصوا دروس كفاحه الطويل و مسلحين بالفكر الثوري العالمي بصياغة المشروع البديل للدولة اليهودية العنصرية و الفاشية، إنه مشروع الدولة الديموقراطية الفلسطينية، الذي سانده اليسار العربي و العالمي.

إن هذا الشعار الذي طاله النسيان وتراكم عليه الغبار بحكم تراجع الخط الثوري على الصعيد العربي والعالمي وصعود تيارات جديدة من داخل الصف الفلسطيني، التي ألقت بظلالها على الوضع الذاتي الفلسطيني خاصة منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى وانطلاق مسارات الخيانة التي جسدتها القيادة البورجوازية الفلسطينية عبر سياقات أوسلو وغيرها.

و منذ ذلك الحين أصبح شعار الدولتين يعلو و لا يعلى عليه و رافقه في الطريف مسلسل التطبيع مع الكيان الصهيوني لحد أن الأنظمة العربية أصبحت تقوم بذلك في واضحة النهار، عسكريا و اقتصاديا و ثقافيا، و أصبح الكيان شقيقا للأنظمة العربية الرجعية، لقد سقط القناع نهائيا عن وجوه أنظمة أصبحت حليفا استراتيجيا نشيطا، عسكريا و سياسيا في الدفاع عن الكيان الشقيق/ مما يحتم على الشعوب الغربية و تنظيماتها التقدمية و الثورية العمل بجد من أجل إدخال هذا المعطى في تحاليلها، فلا مجال للتفريق بين الكيان الصهيوني و هذه الأنظمة، فهما معا في خندق واحد معادي للشعوب العربية و طموحها في التحرر الوطني و الديموقراطي و الشعبي، لذلك نعتقد جازمين أن الأحداث و الوقائع السياسية و غيرها أثبتت صحة الشعار الاستراتيجي و التاريخي للثورة الفلسطينية المتمثل في "فلسطين حرة علمانية و ديموقراطية". فماذا يعني هذا الشعار؟

يعني هذا الشعار بناء دولة واحدة من البحر إلى النهر مع ضمان الحق غير المشروط لعودة كل اللاجئين الفلسطينيين الموزعين على مجموعة من الدول العربية، لبنان، سوريا، مصر و الأردن، أما فلسطين حرة فتعني خالية من الأبارتايد الاستعماري الصهيوني و من السيطرة الإمبريالية، أما علمانية فتعني التخلص من الدين باعتباره دينا للدولة، سواء تعلق الأمر بالأصولية الإسلامية أو الأصولية المسيحية، فالدين يبقى مسألة خاصة، أما ديموقراطية فتعني دولة واحدة، حيث كل الأفراد، بغض النظر عن أصولهم الدينية يمكنهم العيش جميعا في المساواة و العدالة و بأفق تحول ثوري للمجتمع نحو الاشتراكية.

منذ ثلاثين سنة حاولت اتفاقات أوسلو تأشير وجود دولتين متجاورتين، لكن منذ ذلك الوقت أظهرت التجربة أن حل الدولتين فاقد للمصداقية والتحقيق، و وحده شعار "فلسطين حرة، علمانية، ديموقراطية" بإمكانه إعطاء أفق تقدمي لكل شعوب المنطقة، و بطبيعة الحال هذا ما ترفضه الرجعية و البورجوازيات العربية و الإصلاحيون و الإمبرياليون.

إن الأفق بالنسبة للشعب الفلسطيني هو الطريق الديموقراطي الثوري وإعادة بناء القوى التقدمية، القادرة على فرض نفسها على التصورات الرجعية واليمينية التي تمثلها بعض الفصائل. إن هيمنة القوى الإسلامية الآن هو التعبير عن ضعف القوى التقدمية والثورية، وعلى اليسار العربي إسوة باليسار الثوري العالمي أن يناضل من أجل شعار: "فلسطين حرة، علمانية وديموقراطية خالية من الصهيونية والرجعية والإمبريالية".

تقديم

عانت القضية الفلسطينية و ما زالت تعاني من سوء فهم و التباسات طالت محيطها السياسي بكل مكوناته، وأثارت على المستوى النظري و الإيديولوجي العديد من الخلافات بين الفصائل الفلسطينية نفسها، و بين هاته الفصائل و المحيط الجيوسياسي لفلسطين، الذي يحاصرها أمنيا و عسكريا و استراتيجيا، و قد كان لذلك الأثر الكبير في المواقف الفلسطينية منذ الأربعينات إلى يومنا هذا، و اختلط الأمر كثيرا على الأجيال القديمة من المثقفين، و زاد الأمر سوءا مع مثقفي يومنا هذا، اللذين يعانون من غموض سياسي و إيديولوجي و ثقافي، مما جعلهم يسقطون في فخ التطبيع الفكري و الثقافي الممهد للتطبيع السياسي مع الكيان الصهيوني، و ذلك تحت يافطات مختلفة و مزركشة بشعارات الهوية و الانعزالية و الشوفينية المقيتة.

إن الحديث عن القضية الفلسطينية يخفي وراءه الحديث عن المسألة اليهودية، مما أنتج ضبابية كبيرة في التفريق بين المسألتين ونتائجها على قضايا التحرر الوطني والتحرر بشكل عام.

و لمعالجة هذا الموضوع الشائك سنضطر إلى التعريج على الأساس النظري العام في البداية، ثم ربط ذلك بالواقع التاريخي الفلسطيني، سعيا إلى تحديد طبيعة التناقضات المحددة لحركة التحرر الوطني الفلسطينية و مشروعها التاريخي التحرري، و فضلنا في الجانب النظري البدء بمعالجة المسألة اليهودية و جذور نشأة الحركة الصهيونية العالمية و طبيعتها الإيديولوجية و الطبقية من أجل إزالة اللبس المحيط بالموضوع و الذي يؤثر كثيرا على عدم فهم جذور حركة التحرر الوطني الفلسطينية، و كذلك دحض شعارات و أطروحات الصهاينة العرب و من يمثلهم من أقلام و إعلام مأجور يساهم في تأجيج العداوات و التناقضات بين الشعوب من أجل تمرير المخطط الاستراتيجي الإمبريالو صهيوني. إن أمثال هؤلاء المرتزقة يجسدون نظرية "الكيس والفئران"، التي تعني أن الفئران لا يجب أن تنعم بالراحة والهدوء حتى لا تقوم بثقب الكيس لتتحرر.

المسألة اليهودية

الفصل الأول

"بصدد المسألة اليهودية"، 1844

كارل ماركس

كارل ماركس

ZUR JUDENFRAGE.

1) Bruno Bauer: Die Judenfrage. Braunschweig 1843. — 2) Bruno Bauer: Die Fähigkeit der heutigen Juden und Christen frei zu werden. Ein und zwanzig Bogen aus der Schweiz. Herausgegeben von Georg Herwegh. Zürich und Winterthur, 1843. S. 56—71.—

Von

KARL MARX.

I.

Bruno Bauer: Die Judenfrage. Braunschweig 1843.

Die deutschen Juden begehren die Emancipation. Welche Emancipation begehren sie? Die staatsbürgerliche, die politische Emancipation.

Bruno Bauer antwortet ihnen: Niemand in Deutschland ist politisch-emancipirt. Wir selbst sind unfrei. Wie sollen wir euch befreien? Ihr Juden seid Egoisten, wenn ihr eine besondere Emancipation für euch als Juden verlangt. Ihr müsstet als Deutsche an der politischen Emancipation Deutschlands, als Menschen andrer menschlichen Emancipation arbeiten und die besondere Art eures Drucks und eurer Schmach nicht als Ausnahme von der Regel, sondern vielmehr als Bestätigung der Regel empfinden.

Oder verlangen die Juden Gleichstellung mit den christlichen Unterthanen? So erkennen sie den christlichen Staat als berechtigt an, so erkennen sie das Regiment der allgemeinen Unterjochung an. Warum missfällt ihnen die specielle Joch, wenn ihnen das allgemeine Joch gefällt? Warum soll der Deutsche sich für die Befreiung des Juden interessiren, wenn der Jude sich nicht für die Befreiung des Deutschen interessirt?

Der christliche Staat kennt nur Privilegien. Der Jude besitzt in ihm das Privilegium, Jude zu sein. Er hat als Jude Rechte,

كتاب ماركس عبارة عن ملاحظات صاغها على شكل مقال تناول فيه نصين للفيلسوف الألماني برونو بوير(فيلسوف ولاهوتي ألماني -1809 -1882)، نشرهما سنة 1843 حول مسألة تحرر الجماعة اليهودية في ألمانيا، وسيظهر هذا النقاش التناقض العميق بين الدولة باعتبارها نظاما سياسيا مكونا من مواطنين مجردين، و المجتمع المدني الذي يتشكل من أفراد واقعيين، و في هذا النقاش يعتبر تحليل ماركس أساسيا في فهم تصوره للدولة، والسياسة والدين، وسيناقش ماركس في جداله كذلك موضوع حقوق الإنسان و المواطن، التي اعتبرها مجرد "حقوق الإنسان البورجوازي"، و في الجزء الثالث من المقال ناقش ماركس بحدة مسألة الوظيفة الاجتماعية للجماعة اليهودية، التي حبسها التطور الاجتماعي و التاريخي في ممارسة مهن المالية، وهي وظيفة تؤدي في حد ذاتها إلى الاستيلاب، كما بالنسبة لأغلب أعضاء "المجتمع البورجوازي".

بالنسبة للجزء الأول قام ماركس بتلخيص المواقف المتبناة من طرف برونو بوير في كتابه "المسألة اليهودية"، وكذا في مقال آخر له في نفس الموضوع تم نشرهما سنة 1843.

أهم أطروحات ماركس

قام ماركس بمناقشة آراء برونو بوير وتقديم أطروحاته من خلال نقدها ولذلك يقوم أولا بعرض تلك الآراء ومصاحبتها بنقده:

1) في العلاقة بين التحرر السياسي والتحرر الإنساني:

برونو بوير

- رأي برونو بوير

إن مشكل تحرر اليهود في ألمانيا منتصف القرن 19 هو، حسب برونو أن الدولة تقول عن نفسها أنها مسيحية، ولذلك يقول بوير أن تحرر اليهود في هذه الدولة المسيحية هو أمر مستحيل، لأن هناك تعارض ديني لا يمكن تجاوزه، والنتيجة هي أنه يجب تجاوز الديانات حتى يسقط هذا التعارض، وعلى "اليهودي والمسيحي ألا يعترفا في ديانتهما الخاصة إلا باعتبارها مراحل متميزة في تطور العقل الإنساني، أي "**جلود أفعى رمى بها التاريخ**" وكذلك على الدولة نفسها أن تتحرر من الدين.

ـ نقد ماركس

لقد اعتبر ماركس هذه الطريقة في معالجة المسألة **محدودة وغير كافية**، فماركس يرى:

أن "التحرر السياسي" و "التحرر الإنساني" ليسا نفس الشيء: وبالإمكان أن نتساءل إلى أي حد يفترض التحرر التخلي عن الدين؟ "

إن مسألة العلاقة بين التحرر السياسي والدين تصبح بالنسبة لنا مسألة العلاقة بين التحرر السياسي والتحرر الإنساني".

ويضيف ماركس، أن مسألة التحرر السياسي للفرد المتدين بشكل عام تبدأ مع تحرر الدولة في علاقتها بالدين بشكل عام، بمعنى، آخر حسب ماركس:

"الدولة باعتبارها كذلك، تتحرر من الدين بتحررها من دين الدولة، بمعنى، باعتبارها دولة لا تتبنى أي دين، وتعلن نفسها أنها الدولة فقط".

ويضيف ماركس أن العلاقة بالدين، الذي تمارسه الدولة ليس إلا العلاقة، التي يمارسها الناس اللذين يشكلون الدولة:

"إن الدولة هي الوسيط بين الإنسان وحرية الإنسان، بمعنى آخر أن الدولة لها القدرة على نفي، في دائرة نشاطها المعطيات البيولوجية والاجتماعية ... التي تميز الأفراد دون أن تقضي عليهم في الواقع: "فليس إلا بارتفاعها فوق العناصر الخاصة تصبح الدولة مفهوما عاما". إن الفرد يعيش "حياة مزدوجة" باعتباره عضوا في "جماعة سياسية"، وباعتباره "فردا خاصا". يقول ماركس أنه "في الدولة، حيث يعتبر ككائن نوعي (عضو في نوع ما، أو في عمومية مجردة) الإنسان هو العضو المتخيل في سيادة وهمية منزوعة من حياته الفعلية كفرد، ومملوءة بعمومية غير واقعية (فعلية)".

[إن التحرر السياسي هو الاعتراف القانوني بك كمواطن مجرد، وهذا ليس تحررا كاملا، بل مجرد مرحلة]:

"أجل إنها ليست الشكل الأخير للتحرر الإنساني داخل هذا العالم كما وجد لحد الآن". إن الدولة تنتصب فوق تناقض بين المواطنين المجردين والأفراد الملموسين، التي لا تشكل الديانة بالنسبة لهم إلا إحدى الرهانات الأكثر مرئية: "إن النزاع الذي يجد فيه نفسه متبني إحدى الديانات الخاصة، هو أنه بصفته كمواطن ليس إلا مظهرا جزئيا للتناقض العام، للنزاع العادي بين الدولة السياسية والمجتمع المدني".

2) في العلاقة بين التحرر السياسي والإيمان الديني

ينتقل ماركس هنا، إلى مناقشة أطروحة بوير التي تقول:

أن التحرر السياسي يعني الحصول على "حقوق الإنسان" شرطا لتخلي عن كل إيمان ديني.

رد ماركس ورأيه في حقوق الإنسان:

هذه الحقوق هي حقوق مدنية، وبالتالي لا تتناقض مع وجود إيمان ديني، ثم ينطلق ماركس في محاولة لتعميق رده مسجلا أن إعلانات حقوق الإنسان تفصل بين حقوق الإنسان وحقوق المواطن في انسجام مع التناقض المؤسس للدولة السياسية. ويستعمل ماركس إعلانات 1791 و1793 ملاحظا أن مبدأ الحرية يتعلق ب "**حرية الإنسان كوحدة مفردة منعزلة ومنكمشة على نفسها**" بمعنى آخر "**فعل كل شيء لا يسيء إلى الآخر**".

بمعنى آخر أن هذه الحرية لا تتأسس على "اتحاد" الأفراد، بل "على فصل الإنسان عن الإنسان، إنه حق هذا الفصل، حق الفرد المحدود المنغلق على ذاته"، وإن "التطبيق العملي" لهذا الحق في الحرية الأنانية، هو "الحق" في الملكية الخاصة، إنه حق المصلحة الشخصية"، ويقول ماركس أن مبدأ الحرية هذا "يترك كل إنسان يجد في الآخر ليس تحقيق حريته بل حدود حريته الخاصة، ويتعلق الأمر نفسه بمبدأ المساواة، الذي يعود إلى اعتبار كل شخص كفرد معزول ومنغلق على نفسه".

ويقول ماركس:

"هكذا فكل حقوق الإنسان المزعومة لا تتجاوز حدود الإنسان الأناني، حدود الإنسان كعضو في المجتمع المدني، أي فرد منغلق على نفسه وعلى مصلحته الخاصة ومزاجيته الخاصة، الفرد المنفصل عن الجماعة. بعيدا عن كون الإنسان تم اعتباره في هاته الحقوق ككائن نوعي، فعلى العكس فإن الحياة النوعية نفسها، المجتمع تظهر كإطار خارجي للأفراد وعائق لاستقلاليته الأصلية. إن الرابط الوحيد الذي يوحدهم، هو الضرورة الطبيعية، الحاجة والمصلحة الخاصة، الحفاظ على ملكيتهم وشخصهم الأناني (...) فليس الإنسان كمواطن بل الإنسان كبورجوازي تم اختياره ممثلا للإنسان بشكل خاص أي الإنسان الحقيقي".

هكذا تمت عملية نسج المواطن وحقوقه بشكل رئيسي عن طريق:

احترام المصلحة الأنانية، وهذا منذ الثورة ونهاية الإقطاعية اللتان لم تفعلا سوى أن حررت المسألة الشخصية وليس المصلحة الإنسانية بشكل عام وبشكل اجتماعي، بينما على العكس،

كما يقول ماركس:

"كل تحرر يعني اختزال العالم الإنساني، العلاقات الاجتماعية في الإنسان نفسه (كفرد) (...) إنه فقط عندما يستعيد الإنسان الفردي الواقعي في حد ذاته المواطن المجرد، ويصبح هو نفسه إنسانا فرديا وكائنا نوعيا في حياته التجريبية في عمله الخاص، في علاقاته الفردية، عندما يعترف الإنسان وينظم قواه الخاصة كقوى اجتماعية ولا ينتزع من نفسه القوة الاجتماعية تحت مظهر الشكل السياسي، حينها فقط يتحقق التحرر الإنساني".

= بمعنى آخر يريد ماركس أن يقول أن كل تحرر يمر عبر تحرر كل واحد بشكل فردي و بالاعتراف بنفسه وعن طريق نفسه بواقع أننا كلنا أعضاء في نوع ما، و أن كل واحد لا يمكنه هو بذاته و لا يمكن أن يتحرر إلا إذا كان و عمل مع أعضاء آخرين من هذا النوع فوق كل حاجز مجرد و خاصة حاجز سياسي، بمعنى آخر كل حاجز منتصب بهدف تقسيم السلطة في الدول، التي تم إنشائها من طرف المجتمع البورجوازي، و الذي من نتيجته تقسيم و وضع تراتبية بين الناس.

3) في نقد منهج بوير اللاهوتي في التعامل مع المسألة اليهودية

في الجزء الثاني من المقالة ينتقد ماركس طرح بوير في مقالته الثانية، التي سقطت في نظرة لاهوتية للمسألة اليهودية في محاولة منه نقد **الدوغما** اليهودية.

ويرى ماركس أنه لفك لغز المسألة اليهودية

[كان يجب أن ينظر إلى الأمر من **منظور اجتماعي وتاريخي**، ذلك أن اليهود قد احتلوا مهنا ذات صلة بالمال و الترافيك (كل أنواع التجارة)، ففي سياقات اجتماعية مناسبة سار تحرر اليهود وتطور القوى المالية بشكل مواز دون إعطاء حقوق سياسية لليهود.]

يقول ماركس:

"أن المجتمع البورجوازي "يولد باستمرار اليهودي"، بمعنى شخص هامشي مخصص للمهن المالية التي لا يريد أي أحد أن يقوم بها لأنه كان ينظر لها نظرة سيئة".

ويضيف ماركس:

"إن الحاجة العملية، الأنانية، هذا هو مبدأ المجتمع البورجوازي، ويتمظهر باعتباره كذلك في صفائه الكامل عندما انتهى المجتمع البورجوازي من وضع الدولة السياسية. إن إلاه الحاجة العملية والمصلحة الشخصية هي المال (...) إن المال يوسخ كل آلهة البشر، يحولهم إلى بضاعة، إن المال قيمة كونية لكل الأشياء مكونة لذاتها، فلذلك، أي المال انتزع من العالم بكامله، عالم الناس وكذلك الطبيعة، قيمتهم الأصلية. إن النقد هو الجوهر المستلب للعمل ولحياة الإنسان، وإن هذا الجوهر الغريب يسيطر عليه ويعبده. إن

المال والقوة المالية تحط مما هو إنساني، بل أكثر من ذلك، أولئك اللذين في هذه المرحلة يجعلون منه مهنتهم بشكل رئيسي، اليهود، فثقافتهم وطريقتهم في التفكير منحرفة بسبب ظروفهم السوسيومهنية.

"أن تتاجر، هو أن تمارس الاستيلاب. وأيضا الإنسان ما دام تحت تأثير الدين لا يعرف كيفية تحقيق ذاته إلا بخلقه كائنا غريبا ومتخيلا، وأيضا، تحت سيطرة الحاجة الأنانية، فلا يمكن أن يكون هناك نشاط عملي، إنتاج عملي للأدوات إلا بوضع هذه المنتجات، وكذلك نشاطه تحت سيطرة كائن غريب، يعطى له معنى كائن غريب: المال".

=> إن المجتمع البورجوازي بتركه القوة المالية والمال يتطور، وبترك اليهود منحصرين في هذه المهن، فإنه ترك نفسه يغزى من طرف هذا الاستيلاب، وبالتالي فإن "التحرر الاجتماعي لليهودي، هو تحرر المجتمع المحرر من اليهودية".

أبراهام ليون

الفصل الثاني

"المفهوم المادي للمسألة اليهودية"، 1942

أبراهام ليون

I - في أسس الدراسة العلمية للمسألة اليهودية:

يقول أبراهام ليون في كتابه **"المفهوم المادي للمسالة اليهودية، الفصل الثالث: أسس الدراسة العلمية للمسألة اليهودية:**

"بينما المؤرخون الجادون، ساروا بجرأة على طريق ماركس، ظل التاريخ اليهودي ميدان الاختيار المفضل ل "باحثي الله" من كل نوع. إنه واحد من المجالات التاريخية، حيث الأفكار المسبقة المثالية استطاعت أن تفرض نفسها، وتبقى بقدر واسع".

وكم ألفت من الكتب والدراسات لتمجيد ما يسمى ب "**المعجزة اليهودية**"، حيث يظهر اليهود يواجهون ويتحملون الاضطهادات والتقتيل من أجل الحفاظ على "**الوديعة المقدسة**" لإيمانهم الديني.

هكذا إذن، كان المؤرخون المثاليون يفسرون استمرارية اليهود وبقاءهم عبر التاريخ، باعتباره نتيجة لإخلاصهم، الذي عبروا عنه تجاه دينهم وقوميتهم. وعند محاولة تحديد الهدف، الذي يقف وراء بقاء اليهود ومقاومتهم للإدماج، يتكلم المؤرخون المثاليون عن "**الوديعة المقدسة لإيمانهم**"، والبعض منهم يتحدث عن "**ارتباطهم بالفكرة القومية**، بمعنى التأكيد على القوة الروحية القومية، وفي **القاعدة الأخلاقية ومبدأ الواحدية**. ويرى أبراهام ليون:

أنه إذا كان بالإمكان التوفيق بين مختلف النظريات المثالية، فإنه لا يمكن التوفيق بين هذه النظريات والقواعد الأولية للعلم التاريخي، ذلك أنه يجب الرفض المنهجي للخطأ الأساسي لكل المدارس المثالية، التي تضع بقاء واستمرارية اليهودية تحت عنوان "الإرادة الحرة" (التاريخ تصنعه الأفكار)، و وحده البحث أو الدراسة للدور الاقتصادي لليهود بإمكانه تفسير ما سمي ب "المعجزة اليهودية"، وتكسير الهالة التي أحاط بها المؤرخون التاريخ اليهودي.

ويضيف أبراهام ليون، أنه:

"بدون دراسة معمقة للتاريخ اليهودي، فمن الصعب أن نفهم المسألة اليهودية في الوقت الراهن، فوضع اليهود في القرن 20 مرتبط بشكل وثيق بماضيهم التاريخي".

ويستمر أبراهام ليون قائلا:

"كل حالة اجتماعية هي مرحلة في السيرورة الاجتماعية، فالكائن ليس إلا لحظة في الصيرورة، ولكي نستطيع تحليل المسألة اليهودية في تطورها الحالي من الضروري معرفة جذورها التاريخية".

لقد استطاع ماركس بعبقرية منهجه التاريخي أن يوضح الطريق الذي يجب اتباعه لدراسة المسألة اليهودية، يقول ماركس في كتابه "المسألة اليهودية":

"علينا ألا نبحث في سر اليهودي في دينه، بل علينا البحث عن سر الدين اليهودي في الواقع".

لقد وضع ماركس المسألة اليهودية على قدميها، أي عدم البحث انطلاقا من الدين لشرح التاريخ اليهودي، بل على العكس، البحث عن بقاء الدين من خلال شرح وضع اليهودي "الواقعي"، ويعني ماركس بذلك البحث عن طريق اليهودي في دوره الاقتصادي والاجتماعي، فبقاء اليهود ليس له أي شيء من المعجزة.

ويقول ماركس قولته الشهيرة في **"المسألة اليهودية"**:

"إن اليهودية حافظت على نفسها، ليس على الرغم من التاريخ، بل من خلال التاريخ".

إن البحث عن الوظيفة التاريخية لليهودية هو الذي يسمح بالكشف عن بقائها في التاريخ، فالنزاعات بين اليهودية والمجتمع المسيحي، التي كانت تأخذ مظهر طابع ديني، هي في حقيقتها نزاعات اجتماعية.

لو وضعت خطاطة عامة للتاريخ اليهودي كما تقدمه مختلف المدارس التاريخية المثالية، لوجدنا أن التاريخ اليهودي حسب زعمهم، و حتى حدود تحطيم أورشليم، بل و حتى إلى حدود تمرد بار كوخيبا، فإن "الأمة اليهودية" لا تتميز في شيء عن باقي الأمم المشكلة بشكل طبيعي مثل الرومان واليونان، لكن الحروب بين الرومان واليهود كان من نتائجها تشتيت الأمة اليهودية عبر مختلف مناطق العالم، وخلال هذا الشتات قدم اليهود مقاومة كبيرة تجاه محاولات الإدماج القومي والديني، ولم تجد المسيحية في طريقها خصوما أكثر شراسة، فعلى الرغم من كل مجهوداتها، لم تستطع إدخالهم إلى المسيحية. إن سقوط الامبراطورية الرومانية زاد من عزلة اليهودية، التي ستظل، بعد الانتشار الكامل للمسيحية في الغرب، العنصر الوحيد المعارض.

إن اليهود، من الشتات إلى مرحلة الغزو البربري، لم يشكلوا أبدا جماعة اجتماعية منسجمة، فقد كانت الزراعة والصناعة والتجارة حاضرة في نشاطهم الاجتماعي، وإن الاضطهادات الدينية المستمرة، هي التي ألزمتهم بالاقتصار على التجارة والربا، وساهمت الحروب الصليبية

عن طريق التطرف الديني الذي جاءت به في زيادة هذا المنحى الذي سيحول اليهود إلى ربويين، وعزلتهم في الغيتوهات، وبطبيعة الحال فإن الحقد ضد اليهود كان يزوده دورهم الاقتصادي الربوي، وحسب هذه الخطاطة، فإن وضعية اليهود استمرت إلى حدود الثورة الفرنسية التي حطمت الحواجز التي وضعها الاضطهاد الديني أمام اليهود. إنها الخطاطة العامة لما يدرس ويقدم كتاريخ لليهود منذ ما يسمى بمرحلة الشتات.

- نقد هذه الخطاطة:

يقدم أبراهام ليون مجموعة من الوقائع تعارض هذه الخطاطة:

أولها، أن شتات اليهود لا يرتبط إطلاقا بسقوط أورشليم، فقرون قبل ذلك كانت قد تشتت غالبية عظمى من اليهود في المناطق الأربع للعالم، وحسب كتاب "حرب اليهود" لفلافيوس جوزيف، فإنه، كما يقول الكتاب:

"فما هو مؤكد هو أنه قبل سقوط أورشليم بكثير، فإن أكثر من ثلاث أرباع اليهود لم يعودوا يسكنون فلسطين".

إن المملكة اليهودية في فلسطين كانت تشكل بالنسبة للجماهير اليهودية الواسعة المشتتة عبر اليونان والامبراطورية الرومانية، أهمية ثانوية، ولم تكن قائمة إلا علاقات الحج من خلال الزيارات إلى **أورشليم**.

إذن فالشتات لم يكن نتيجة حادثة تاريخية، نتاج عنف مورس ضد اليهود، فالسبب الجوهري للهجرة اليهودية يجب البحث عنه في الظروف الجغرافية لفلسطين،

فحسب كارل كاوتسكي:

"لقد كان اليهود في فلسطين يمتلكون بلدا جبليا لم يعد بالإمكان أن يضمن لهم عيشا قابلا للتحمل كما هو الحال عند جيرانهم، فهذا الشعب كان مجبرا على الاختيار بين النهب أو الهجرة ... إن اليهود، بعد معارك كثيرة مع جيرانهم سيأخذون الطريق الثاني: الهجرة. إن الشعوب التي تعيش في مثل هذه الظروف لا تذهب إلى الخارج كمزارعين، إنهم يذهبون إلى الهجرة كمرتزقة كما كان الحال عند الأركاديين

في التاريخ القديم والسويسريين في العصر الوسيط، والألبانيين في عصرنا هذا، أو كتجار كما هو الحال عند اليهود والإسكتلنديين والأرمينيين، نجد إذن وسطا مشابها يطور لدى شعوب من أعراق مختلفة، نفس المميزات".

ثانيا، إن ما لا لبس فيه هو أن الغالبية العظمى من اليهود في الشتات، كانت تشتغل في التجارة، ومن الناحية التاريخية، ففلسطين نفسها منذ أزمنة غابرة كانت تشكل معبرا للبضائع وقنطرة بين وادي الفرات و وادي النيل.

إن هذه الأطروحة تبين أن الظروف الجغرافية لفلسطين تشرح في نفس الوقت هجرة اليهود وطابعها التجاري، كما أننا نجد أنه لدى كل الأمم عند بداية تطورها يكون التجار أجانب.

وتعلمنا الماركسية، من خلال البحوث المادية التاريخية حول المجتمعات القديمة والوسيطة، أن ميزة الاقتصاد الطبيعي هي أنه كل مجال ينتج ما يستهلكه، ويستهلك ما ينتجه، فلا شيء يدعو إلى شراء الخيرات والخدمات عند الآخر، لأن في هذا الاقتصاد ينتج ما يستهلك، ولذلك سنجد أن لدى كل الشعوب، تشكل التجار الأوائل من الأجانب.

إن الوضع الاجتماعي لليهود هو الذي يعود له الفضل في الاستقلالية الواسعة التي منحهم إياه أباطرة الرومان، اللذين سمحوا لليهود وحدهم أن يشكلوا دولة داخل دولة، بينما الأجانب الآخرين كانوا خاضعين لسلطات المدينة، فقد كان اليهود إلى حد ما يحكمون أنفسهم بأنفسهم. لقد نمى القيصر مصالح اليهود في الإسكندرية وفي روما بإعطائهم امتيازات خاصة، وحمى بشكل خاص شعائرهم الخاصة ضد رجال الدين الرومانيين واليونانيين.

ثالثا، إن الحقد على اليهود لا يعود فقط إلى قيام المسيحية، **فسينيك** (سياسي وفيلسوف روماني كان مستشارا للإمبراطورين كاليغولا وكلود، وأصبح مدرسا خاصا لنيرون)، **كان يعتبر اليهود عرقا مجرما، وكانجوفينال** (شاعر روماني عاش في القرن الأول والثاني الميلادي) **يؤمن بأن اليهود لا يوجدون إلا لكي يسببوا الشرور لشعوب أخرى، أما كانتليان (أحد أبلغ البلغاء في الأدب الروماني، ولد سنة 35 ميلادية وتوفي سنة 100م) فيقول أن اليهود يشكلون لعنة للشعوب الأخرى.**

إن سبب اللاسامية القديمة هو نفسه اللاسامية في القرون الوسطى، وهو التعارض الذي يقوم بين كل مجتمع يعتمد على إنتاج قيم استعمالية (اقتصاد طبيعي) و وظيفة اجتماعية تعتمد على التجارة، وهي حالة اليهود (انظر كتاب "الدين و الأعمال"، هنري لورانت).

إن انتصار المسيحية خلافا للمزاعم لم يأت بجديد في هذا الأمر، لقد كانت المسيحية في بدايتها دين العبيد والمضطهدين، وتحولت بسرعة إلى إيديولوجية الطبقة المسيطرة من الملاكين العقاريين.

إن انتشار المسيحية عبر أوروبا سيرتبط بتوسع الاقتصاد الإقطاعي، ونعلم أن المسيحية التي تولدت من داخل اليهودية، حيث تشكل أعضاؤها الأوائل من اليهود، ونعلم كذلك أن المسيحية لم تجد صعوبات في استقطاب العديد من اليهود خلال قرونها الأربعة الأولى، ونعلم كذلك أن عمق العقلية المسيحية خلال العشر القرون الأولى من التقويم المسيحي فيما يخص الحياة الاقتصادية هو:

"التاجر لا يستطيع القيام بعمل جيد تجاه الإله" وأن "كل تجارة تتضمن قدرا صغيرا أو كبيرا من الغش".

= إنه لأمر طبيعي أن يعادي اليهود الكاثوليكية، وذلك في سياق كون الدين يعبر بشكل جيد عن مصالحهم الاجتماعية، ومن ثمة فليس إخلاص اليهود لإيمانهم هو الذي يشرح بقاءهم كجماعة اجتماعية متميزة، وكذلك، على العكس، فإن بقاءهم كجماعة اجتماعية متميزة هو الذي يشرح ارتباطهم بالإيمان، وكما اللاسامية القديمة تجاه اليهود، فإن اللاسامية المسيحية في القرون العشرة الأولى من التقويم المسيحي لم تذهب إلى حد المطالبة بالقضاء عليهم، فالمسيحية الرسمية كانت تضطهد بدون رحمة كل الهرطقات والشرك، كانت تتسامح مع الديانة اليهودية، وتحسنت وضعية اليهود بالتدريج منذ انحدار الامبراطورية الرومانية وحتى الانتصار الكبير للمسيحية، وهذا إلى حدود القرن 12 الميلادي، وبقدر ما يعرف الانحدار الاقتصادي ازديادا، بقدر ما كان الدور التجاري لليهود يزيد أهمية، ففي القرن العاشر كانوا يشكلون الرابط الاقتصادي الوحيد بين أوروبا و آسيا.

<u>رابعا</u>، ابتداء من القرن 12 الميلادي بموازاة مع التطور الاقتصادي الذي عرفته أوروبا الغربية، بالإضافة إلى نمو المدن وتشكل طبقة تجارية وصناعية محلية، بدأت أوضاع اليهود تسوء، لتؤدي في الأخير إلى تصفيتهم من مختلف البلدان الغربية، فأخذ الاضطهاد ضد اليهود أشكالا عنيفة، بينما في بلدان أوروبا الشرقية المتخلفة ظلت وضعيتهم مزدهرة إلى حدود سنوات قليلة.

وحسب الكاتب فإن اليهود قد شكلوا ما أسماه ب **"الشعب الطبقة"**، فمن وجهة نظره أن مفهوم الطبقة لا يناقض نهائيا مفهوم الشعب، ولأن اليهود قد حافظوا على أنفسهم كطبقة اجتماعية، وبسبب ذلك، حافظوا على بعض خصائصهم الدينية والإثنية.

إن ما يميز "**الرأسمالية اليهودية**" عن **الرأسمالية** بشكل عام، هو أنه خلافا لهذه الأخيرة فإنها **لم تكن حاملة نمط إنتاج جديد**، ويقول ماركس:

"الرأسمال التجاري كان له وجود خاص، وكان منفصلا بشكل واضح عن قطاعات الإنتاج، التي كان يلعب دور الوسيط بالنسبة لها".

"إن الشعوب التجارية في المجتمع القديم كانت توجد كما آلهة أبيقور في أحشاء الأرض، أو على الأصح كما اليهود في مسام المجتمع البولوني".

"الربا والتجارة تستغلان طريقة محددة للإنتاج، الذي لا يخلقانه، ويبقيان غرباء عنه". إن تراكم المال في يد اليهود لا يأتي من شكل لإنتاج خاص للإنتاج الرأسمالي، إن فائض القيمة يأتي من الاستغلال الإقطاعي، الذي يتخلى فيه الإقطاعيون عن جزء منه لليهود، ومن هنا التناقض بين اليهود والإقطاعية، وفي نفس الوقت رابط قائم بينهما لا يحطم.

وكما بالنسبة للإقطاعي، فإن الإقطاعية كانت كذلك بالنسبة له أرضه التي تطعمه، فإذا كان الإقطاعي يحتاج اليهودي فإن اليهودي أيضا كان يحتاج إلى الإقطاعي، وبسبب هذه الوضعية الاجتماعية لم يستطع اليهود أن يرتقوا إلى دور طبقة مسيطرة، ففي الاقتصاد الإقطاعي، فإن دور طبقة تجارية لا يمكن أن يكون إلا تابعا، واليهودية لا يمكن أن تكون إلا عبادة متسامح معها بهذا القدر أو ذاك.

وقد اكتسب اليهود بحكم وضعهم الاجتماعي بعض الاستقلالية في تدبير شؤونهم، أطلق عليها بعض المؤرخين اليهود "**استقلالية قومية**"، وبطبيعة الحال، فإن الحديث عن "**استقلال ذاتي قومي**" في القرن 16، **يشكل أمرا غير مفهوم وفظ، ذلك أن هذه الفترة كانت تجهل المسألة القومية، وفي المجتمع الإقطاعي، وحدها الطبقات تمتلك قوانينها الخاصة، ومن ثمة، فإن استقلالية اليهود يمكن شرحها بالوضع الاجتماعي والاقتصادي الخاص لليهود، وليس ب "قوميتهم".**

إن التطور اللغوي نفسه يعكس الوضع الاجتماعي الخاص لليهودية. إن العبرية اختفت من زمان بعيد كلغة حية، **وفي كل مكان تبنى اليهود لغة الشعوب التي يعيشون وسطها، أما التأقلم اللغوي فقد انبنى على شكل لهجة جديدة تتضمن بعض التعابير العبرية. هكذا نجد اللهجة اليهودية العربية، اللهجة اليهودية الفارسية، اللهجة اليهودية البرتغالية واللهجة اليهودية الإسبانية والألمانية، التي أصبحت تسمى "اليديش".**

إن اللهجة تعبر عن الاتجاهين المتناقضين، اللذان ميزا الحياة اليهودية، وهما الاتجاه نحو الاندماج في المجتمع الذي يعيشون فيه، والاتجاه نحو الانعزال، الذي يأتي من الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود.

II- مراحل تطور الوضعية الاجتماعية والتاريخية لليهود

1) المرحلة ما قبل الرأسمالية

إنها الفترة الأكثر ازدهارا بالنسبة لليهود، وجد خلالها الرأسمال التجاري والربوي إمكانيات كبيرة للتوسع في المجتمع الإقطاعي. خلال هذه الحقبة كان الملوك والأمراء يقدمون الحماية لليهود، كما كانت علاقاتهم مع الطبقات الاجتماعية الأخرى بشكل عام جيدة. استمرت هذه الوضعية في أوروبا إلى حدود القرن 11، وبينما كان الاقتصاد الإقطاعي ينهار في أوروبا الغربية كانت أوروبا الشرقية تعرف استمرارا له إلى حدود القرن 18، حيث أصبحت أوروبا الشرقية مركز حياة اليهود.

2) مرحلة الرأسمالية الوسيطية (العصر الوسيط)

دخلت أوروبا الغربية مرحلة تطور اقتصادي مكثف ابتداء من القرن 11، وخلال المرحلة الأولى من هذا التطور، عرفت الصناعة الحرفية تطورا هاما، كما ظهرت بورجوازية تجارية محلية، وخلال الفترة الثانية من هذه المرحلة بدأ الاقتصاد التجاري يتسرب إلى المجال الزراعي.

لقد كان من نتائج تطور المدن وظهور طبقة تجارية محلية، أن أزاح اليهود بشكل كامل من التجارة، وأصبحوا مجرد ربويين، حيث يشكل الملوك والنبلاء زبنائهم الرئيسيين، وساهم التحول التجاري للاقتصاد الزراعي في ضرب مواقعهم كذلك، ذلك أن الوفرة النسبية للنقد ستسمح للنبلاء بضرب نير الربا، هكذا سيطرد اليهود من بلد بعد الآخر، فاندمج بعضهم في المجتمع، ومنهم من التحق بالبورجوازية المحلية، وفي بعض المدن، خاصة في إيطاليا وألمانيا.

اهتم اليهود بالقرض المقدم للجماهير الشعبية: الفلاحون والصناع، وهكذا أصبحوا ربويين صغار يستغلون الشعب، وهذا يفسر كونهم كانوا من ضحايا الانتفاضات الدامية. وعموما مثلت مرحلة الرأسمالية الوسيطية المرحلة الأكثر عنفا في اضطهاد اليهود، لقد دخل "الرأسمال" اليهودي في صراع مع كل طبقات المجتمع إلا أن التطور غير المتساوي للتطور الاقتصادي في أوروبا الغربية كان له انعكاس

على أشكال الصراع المعادي للسامية، ففي بلد ما تقود النبالة الصراع ضد اليهود، وفي بلدان أخرى تفعل البورجوازية ذلك، وفي ألمانيا، فإن الشعب هو الذي يفجر الحركة.

و نظرا للفارق التاريخي في التطور، فقد كانت أوروبا الشرقية لا تعرف الرأسمالية الوسيطية، ولذلك لم يقع انفصال بين الرأسمال التجاري والرأسمال الربوي، وعلى العكس في أوروبا الغربية، حيث أصبح اليهودي رمزا للربوي، فإن اليهود ظلوا تجارا و وسطاء، وبينما تم طردهم من أوروبا الغربية كانوا يعززون باستمرار مواقعهم في أوروبا الشرقية، ولم يتغير الوضع في أوروبا الشرقية إلا في القرن 19، حيث بدأت الرأسمالية تتسرب إلى المجتمعات الشرقية، ويتعلق الأمر بالرأسمالية الحديثة، وقد كان لهذا أثرا كبيرا في زعزعة الوضع المزدهر لليهود الروس والبولونيين، فبؤس اليهود في روسيا قد بدأ مع إلغاء الرق والنظام الإقطاعي للملكية القروية.

3) مرحلة الرأسمالية المانيفاكتورية والصناعية

لقد ابتدأت الرأسمالية بمعناها الخاص في عصر النهضة، وتمظهر ذلك في توسع كبير للعلاقات التجارية وتطور المانيفاكتورات. وإذا كان اليهود لم يختفوا بالكامل في أوروبا الغربية، فبسبب المجيء الكبير لليهود من أوروبا الشرقية.

= إن المسألة اليهودية التي ستطرح على الصعيد العالمي تنحدر بشكل أساسي من وضع اليهود في أوروبا الشرقية، بينما كان فقدان التوازن القائم بين انهيار الإقطاعية وتطور الرأسمالية يختفي من أوروبا الغربية، كان هذا الأخير يتعمق في بلدان أوروبا الشرقية المتأخرة، والحال أن تدمير الاقتصاد الإقطاعي والأشكال البدائية للرأسمالية كان يتم بسرعة أكبر من تطور الرأسمالية الحديثة.

هكذا وجدت جماهير واسعة من الفلاحين والصناع طريق خلاصها في الهجرة، وقد كان الانجليز والإيرلنديون والألمان و السكندنافيون، يشكلون بشكل رئيسي غالبية المهاجرين إلى أمريكا في بداية القرن 19، وسيشكل السلافيون في نهاية القرن 19 غالبية المهاجرين إلى أمريكا. ومنذ بداية القرن 19 بحثت الجماهير اليهودية عن طرق أخرى للهجرة، بداية توجهوا نحو الداخل الروسي وألمانيا، واستطاعوا الوصول إلى المراكز الصناعية والتجارية الكبرى، حيث لعبوا دورا هاما كتجار وصناعيين، ثم، وكعنصر جديد، ولأول مرة منذ قرون نشأت بروليتاريا يهودية، **وبدأ "الشعب الطبقة" يتمايز اجتماعيا.**

وتمركز العمال اليهود في الصناعات الاستهلاكية، التي كانت لا تزال حرفية، وبقدر ما كانت الصناعة الكبيرة تتوسع، كانت القطاعات الحرفية للاقتصاد تنهار. هكذا، ترك المعمل مكانه للمصنع، مما جعل اندماج اليهود في الاقتصاد الرأسمالي هشا، ولذلك لم يعد التاجر ما قبل الرأسمالي وحده ملزما بالهجرة بل كذلك العامل الحرفي اليهودي، **فقامت جماهير يهودية واسعة بمغادرة أوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية وأمريكا. هكذا أصبح الحل للمسألة اليهودية، الذي هو الدخول الكامل لليهود في الاقتصاد مشكلا عالميا.**

4) المرحلة الامبريالية: الانحطاط الرأسمالي

إن الرأسمالية في خلقها للتمايز الاجتماعي وسط اليهود عن طريق الاندماج في الاقتصاد وعن طريق الهجرة، قد وضعت الأسس لحل المسألة اليهودية لكن لم تقم بحلها، بل على العكس، فأزمة الرأسمالية في القرن 20 فاقمت المسألة بشكل غير مسبوق، فاليهود اللذين تمت تصفيتهم في مواقعهم الاقتصادية في الإقطاعية لم يستطيعوا الاندماج في الاقتصاد الرأسمالي الذي كان يعيش حالة تعفن وانحطاط. هكذا تطورت، في كل مكان في أوروبا، معاداة شرسة من الطبقات الوسطى، التي كانت تعاني بدورها من تناقضات الرأسمالية.

وقام الرأسمال الكبير بالاستفادة من نزعة معاداة السامية البدائية عند البورجوازية الصغيرة لتعبئة الجماهير تحت راية العنصرية.

III ـ المسألة اليهودية في القرن 19

لقد كان اليهود في غالبيتهم في القرن 19 متمركزين في البلدان المتأخرة في أوروبا الشرقية، كان عددهم في بولونيا يفوق مليون يهودي عندما تم تقسيم بولونيا، وإلى حدود 1918 تظهر الاحصائيات أن اليهود بدأوا يعرفون بعض التمايزات الاجتماعية، لكن في الخط العام، فإن بنية اليهود الشرقيين لم تعرف تغييرات هامة، فقد ظلت كما كانت عليه قرونا سابقة.

لقد بدأ وضع اليهود الذي دام قرونا يتغير ببطء تحت تأثير الاقتصاد الرأسمالي، هذا الأخير، قبل أن يأخذ مكان النظام القديم، كان يقوم بتحطيمه. وعموما فإن انحطاط الإقطاعية كان يسبق مسألة تعويضه من طرف الأشكال الجديدة للرأسمالية. وبينما كان التزايد العددي يتطلب إمكانيات جديدة للعيش، كانت الأوضاع الاقتصادية القديمة تراوح مكانها، فاليهود اللذين كانوا متأقلمين خلال قرون مع الاقتصاد الطبيعي بدأوا يحسون بأن البساط ينزع من تحت أقدامهم، لقد كانوا منذ مدة طويلة يحتكرون التبادل، والآن، فإن سيرورة الرأسملة في روسيا وبولونيا جعلت الآن الملاكين العقاريين يهتمون بأنفسهم بمختلف الأنشطة الإنتاجية، و من ثمة إبعاد اليهود عنها، فقط قلة صغيرة من

اليهود الأغنياء استطاعت أن تجد وضعا جديدا يسمح لها بنشاط مناسب، بينما الغالبية العظمى من اليهود المشكلة من التجار الصغار و أصحاب الحانات والباعة المتجولين، كانوا يعانون من الوضع الجديد، فمراكز التجارة القديمة في العصر الإقطاعي بدأت تتفسخ و تقوم مكانها مدن جديدة صناعية وتجارية، كما بدأت بورجوازية محلية في التطور.

في بداية القرن 19، تشكل تيار قوي لهجرة اليهود من بولونيا القديمة إلى روسيا، وكان الوضع نفسه قائما في المناطق الملحقة من طرف بروسيا والنمسا، حيث كان اليهود يهاجرون نحو برلين وفيينا، المراكز التي تحتضن حياة اقتصادية جديدة، حيث توفر لهم الصناعة والتجارة منافذ للوصول إلى الشغل.

كانت الهجرة اليهودية تنطلق كذلك من روسيا البيضاء وليتوانيا نحو روسيا، وجزء من اليهود البولونيين نحو انجلترا وأمريكا، وهذا يثبت أن اليهود في أوروبا الشرقية كانوا يبحثون عن بلدان للهجرة منذ المنتصف الأول من القرن 19. وقد تم وضع آلاف اليهود في العديد من المستوطنات في بعض مناطق روسيا، استطاعوا في الأخير أن يتأقلموا مع وضعهم الجديد.

خلاصة القول أن هناك مساران عرفهما تطور اليهود خلال القرن 19: مسار الهجرة و مسار التمايز الاجتماعي، فانحطاط النظام الإقطاعي و القنانة بشكل مواز مع نمو الرأسمالية، خلق مصادر جديدة للعيش، لكنهما حطما، بقدر واسع، أوضاع الوسطاء الذي كان يعتاش منه الأغلبية الكبيرة من اليهود. إن هذين المسارين قد دفع الجماهير اليهودية إلى تغيير أماكن إقامتها، كما أن المسار الاجتماعي قد ألزمها بالبحث عن مكان جديد في العالم، وكذلك نشاطا جديدا داخل المجتمع.

وبشكل عام، يمكن القول أن اندماج اليهود في المجتمع الرأسمالي استمر إلى نهاية القرن 19، لكن عند نهايته، على العكس، فهناك جماهير واسعة من اليهود قد أصبحت مضطرة إلى مغادرة أوروبا الشرقية. وتظهر معدلات الهجرة بعض الإحصائيات، التي تعطي فكرة عن الهجرة اليهودية:

- من 1830 إلى 1870 من 4000 إلى 5000

- من 1871 إلى 1880 من 8000 إلى 10000

- من 1881 إلى 1900 من 50000 إلى 60000

- من 1901 إلى 1914 من 150000 إلى 160000

أما اتجاه الهجرة فيظهر أنه خلال المرحلة الأولى، أي إلى حدود 1880 كانت الهجرة داخلية وتتوجه إلى المدن الكبرى. وخلال الحقبة الممتدة من 1830 إل 1880، حيث كانت الهجرة لا تتجاوز 7000، انتقل عدد اليهود من 3281000 إلى 7763000.

وقد تم استيعاب هذا التزايد الكبير في داخل البلدان التي يسكنها اليهود، لكن حصل تغير كبير ابتداء من 1881، وخاصة ابتداء من 1901، حيث وصلت الهجرة اليهودية إلى رقم كبير أي من 150000 إلى 160000، ويعود ذلك إلى الأسباب التالية:

لقد عرفت سيرورة رأسملة الاقتصاد الروسي تزايدا زاد منه إصلاح 1863 (إلغاء القنانة)، فقد أصبحت الزراعة تنتج أكثر فأكثر للسوق، كما تراخت روابط القنانة والإكراه الإقطاعي، وتنامى التمايز الاجتماعي بسرعة وسط القرى، وتحول جزء من الفلاحين إلى مزارعين رأسماليين أغنياء، بينما تبلتر جزء من الفلاحين، وأدت رأسملة الزراعة إلى تكون سوق داخلية لوسائل الإنتاج وللمواد الاستهلاكية.

إن الإنتاج الرأسمالي الزراعي يعني:

1- قسمة عمل داخل الزراعة نظرا لتخصص قطاعاتها.

2- طلب متزايد على المنتجات المصنعة من طرف الفلاحين الأغنياء، وكذلك الجماهير المبلترة التي لا تمتلك إلا قوة عملها من أجل العيش، وعليها أن تشتري مواد عيشها.

3- يتطلب الإنتاج الزراعي من أجل السوق استعمالا متزايدا للآلات، الشيء الذي يطور صناعة وسائل الإنتاج.

4- يؤدي نمو إنتاج وسائل الإنتاج إلى تزايد مستمر للجماهير البروليتارية في المدن، الشيء الذي يساهم في توسيع سوق وسائل الاستهلاك.

إن هذه الإمكانيات التي فتحها تطور السوق الداخلية ستوفر للجماهير اليهودية التي فقدت أدوارها الاقتصادية السابقة فرصا جديدة للاندماج في الاقتصاد الرأسمالي.

في الوقت الذي أصبح فيه الحداد أو الفلاح غير اليهودي عاملا في مصنع أو في منجم، كانت الجماهير اليهودية المبلترة تتوجه إلى الصناعات الصغيرة المنتجة لمواد الاستهلاك، وهناك فرق كبير وأساسي بين تحول الفلاح والحداد إلى عامل في الصناعة التعدينية، وتحول التاجر اليهودي إلى حرفي أو عامل خياط. ومعلوم أن التطور الرأسمالي لقطاعات الصناعة الثقيلة ترافقه تغييرات في الظروف المادية للإنتاج، فالأداة البدائية تصبح الآلة الحديثة والمتقنة، ولم يكن الأمر نفسه بالنسبة لوسيلة الاستهلاك.

إن سيرورة التراكم الرأسمالي تظهر أن إنتاج وسائل الإنتاج تتم منذ البداية على شكل رأسمالي يتميز بالمؤسسة الكبيرة، بينما إنتاج وسائل الاستهلاك بإمكانه أن يستمر طويلا داخل نفس المعامل الحرفية، كما في السابق، وتدريجيا التحق قطاع وسائل الاستهلاك بالركب، وذلك عن طريق اختراع آلات جديدة.

ومع تحرير الفلاحين في روسيا اتسع سوق المواد المصنعة، وبدأ انتشار إنتاج القيم التبادلية، أصبحت روسيا خزانا لأوروبا من الحبوب، وتطورت المدن ومراكز التجارة والصناعة بسرعة، فغادر اليهود المدن الصغيرة نحو المدن الكبرى، حيث ساهموا في تطوير التجارة والصناعة الحرفية لوسائل الاستهلاك.

وفي سنة 1900، وبالنسبة ل 21 مدينة هامة في بولونيا، كانت لليهود الأغلبية المطلقة في 11 منها، وكان من آثار هجرة اليهود إلى المدن الكبرى ظهور تمايز اجتماعي ضرب في الصميم الأسس التقليدية لليهودية. و واصل التطور الرأسمالي مساره، حيث أن تطور قطاع وسائل الإنتاج سيولد مكننة الزراعة والصناعة الخفيفة وبدأت الآلات تنافس بقوة المعامل الصغيرة للحرفيين اليهود.

هكذا، ستنهار تلك الصناعات الحرفية، والتي طورها توسع السوق الداخلية، وقد كان السقوط بسبب المكننة وتحديث الصناعة. لقد كان من الصعب بمكان على الحرفي اليهودي أن ينافس الجماهير الفلاحية القادمة من البوادي، والمتأقلمة مع مستوى العيش البسيط والمتعودة على الأعمال الشاقة. وبطبيعة الحال، فلكل قاعدة استثناء حيث استطاع قسم صغير من اليهود أن يتأقلم، لكن القسم الكبير عند نهاية القرن 19 وبداية 20 قد اختار طريق الهجرة.

إن سيرورة تحول التاجر اليهودي ما قبل الرأسمالي إلى عامل حرفي تقاطعت مع سيرورة أخرى، سيرورة إقصاء العامل اليهودي بدخول الآلة الحديثة.

هكذا أصبحت الجماهير اليهودية المغادرة للمدن الصغيرة عاجزة عن التبلتر ومجبرة على الهجرة، وهذا ما يفسر لنا بشكل كبير تزايد الهجرة اليهودية نهاية القرن 19 وبداية القرن 20. هكذا، إذا كان انحلال الاقتصاد الإقطاعي القديم وخلق سوق داخلية قد كان لهما التأثير نفسه على الجماهير اليهودية وغير اليهودية، فإن المكننة والتمركز الصناعي كانا لهما نتائج متعارضة.

إن انعزال الطبقة العاملة اليهودية في الصناعات الاستهلاكية، يشكل بدون منازع أحد الظواهر البارزة للبنية الاقتصادية والاجتماعية لليهود. إن واقع كون عدد قليل من العمال اليهود اشتغل كعامل في المراحل الأولى للإنتاج الصناعي، بينما أعدادهم أصبحت ضخمة في الفترات الأخيرة، يميز بطريقة صارخة ما يطلق عليه بالنشوز اليهودي. إن هذا الأساس الاقتصادي للبروليتاريا اليهودية ليس فقط ضعيف في حد ذاته، بل يتقلص كذلك وباستمرار بسبب التطور التقني.

لا يعاني العمال اليهود فقط من سلبيات الصناعة الحرفية، خاصة الضعف الاجتماعي والشغل الموسمي، ومن الاستغلال المتزايد والظروف السيئة للعمل، بل طردوا أكثر فأكثر من مواقعهم الاقتصادية.

IV - انحطاط الرأسمالية ومأساة اليهود في القرن 20

كان اليهود يعيشون في مسام المجتمع الإقطاعي، وعندما بدأ هذا البناء الإقطاعي يتساقط بدأ بطرد هذه العناصر، **التي كانت خارجية بالنسبة له وضرورية في نفس الوقت**، فقبل أن يغادر الفلاح قريته نحو المركز الصناعي، كان اليهودي قد غادر المدينة الصغيرة الوسيطية للهجرة إلى المدن الكبرى في العالم. **لقد رافق تدمير الوظيفة القديمة لليهود في المجتمع الإقطاعي دخولهم السلبي إلى المجتمع الرأسمالي.**

لقد وضعت حواجز قوية ضد حرية مرور البضائع والناس، فحواجز من الصعب تجاوزها أقيمت في وجه الجماهير المحرومة من العمل ومن الخبز على إثر سقوط العالم الإقطاعي التقليدي. إن تعفن الرأسمالية، زاد من انحلال المجتمع الإقطاعي مما ضاعف الآلام الناتجة عن ذلك:

فالمحضرون (بكسر الضاد) في مأزق، يقطعون الطريق على من يريد أن يتحضر. بالنسبة للشعوب، التي حطمت الرأسمالية، الأسس التقليدية لوجودها وحياتها، فإن الرأسمالية قطعت طريق المستقبل بعدما أقفلت طريق الماضي.

إن المأساة اليهودية في القرن 20 لذات صلة بهذه الظواهر العامة، فالوضع المأساوي جدا لليهود في عصرنا يمكن شرحه بالهشاشة القصوى للوضع الاجتماعي والاقتصادي، **فبعد الطرد من طرف الإقطاع المنهار، كان اليهود كذلك من الأوائل اللذين تم التخلي عنهم من طرف الرأسمالية المحتضرة. لقد أصبح اليهود محاصرين بين سندان الإقطاعية المنهارة ومطرقة الرأسمالية المتعفنة.**

1 ـ اليهود في أوروبا الغربية

لقد أصبح الوضع اليهودي بدون مخرج في أوروبا الشرقية، وذلك بحكم تداخل عامل الانحطاط الإقطاعي وعامل التعفن الرأسمالي، مما خلق وضع اختناق ونشوء تناقضات حادة انعكست على العالم. لقد أصبحت أوروبا الغربية والوسطى مسرحا لصعود مخيف للنزعة المعادية للسامية.

لقد أدى تقليص الهجرة اليهودية، التي انتقل معدلها السنوي من 155000 بين سنتي 1901 و1914 إلى 43657 بين سنتي 1926 و1935 إلى زيادة معاناة اليهود بشكل رهيب في البلدان الشرقية، ذلك أن الأزمة العامة للرأسمالية جعلت هذه الهجرة أمرا لا يطاق. هكذا وصلت المسألة اليهودية درجة من الحدة غير مسبوقة، ليس فقط في بلدان المهاجر منها، بل كذلك في البلدان المهاجر إليها. لقد خلق الوصول الكثيف للمهاجرين اليهود قبل الحرب الامبريالية الأولى إلى خلق حركة قوية معادية للسامية وسط الطبقات الوسطى للعديد من دول أوروبا الوسطى والغربية، والشاهد على ذلك الانتصارات التي حققتها الأحزاب المناهضة للسامية في النمسا، وكذلك الصعود الكبير لمعاداة السامية في ألمانيا وانفجار قضية دريفوس في فرنسا، وليس الأمر غريبا بالنسبة للنمسا، ففيينا كانت أحد أكبر المراكز للهجرة اليهودية قبل الحرب الامبريالية الأولى، فقد أغاض البورجوازية الصغيرة المدمرة من طرف تطور رأسمالية الاحتكارات والتي أصبحت في طريقها إلى البلترة، الوصول الكثيف للعنصر اليهودي، المعروف تقليديا كبورجوازية صغيرة حرفية.

لقد فاقمت الكارثة الاقتصادية لسنة 1929 وضعية الجماهير البورجوازية الصغيرة. إن الازدحام في التجارة الصغيرة والصناعة الحرفية والمهن الفكرية أخذ أبعادا غير معتادة، لقد بدأ البورجوازي الصغير ينظر بعين حاقدة إلى منافسه اليهودي، الذي يتميز بحذاقته المهنية نتيجة قرون من الممارسة، كانت تسمح له بالعبور في مختلف الأزمنة الصعبة.

لقد انتشرت النزعة المعادية للسامية لحد أنها أصابت حتى بعض الفئات العمالية الحرفية، وذلك تحت تأثير البورجوازية الصغيرة.

ويرى بعض المؤرخين أنه من الخطأ اتهام الرأسمال الكبير بإنشائه للنزعة المعادية للسامية. إن الرأسمال الكبير لم يقم سوى باستغلال واستخدام النزعة المعادية للسامية البدائية للبورجوازية الصغيرة، وجعل منها عنصرا أساسيا للإيديولوجيا الفاشية عن طريق استخدام ميتولوجيا "الرأسمالية اليهودية". وبهذه الطريقة حاول الرأسمال الكبير أن يحتكر ويصرف لصالحه الحقد المعادي للرأسمالية عند الجماهير.

لقد كانت الإمكانية الواقعية للتحريض ضد الرأسماليين اليهود موجودة بسبب التناقض بين الرأسمال الاحتكاري والرأسمال المضارباتي التجاري، والذي كان يهوديا، ففضائح الرأسمال المضارباتي التجاري معروفة أكثر من طرف العموم، خاصة فضائح البورصة، وسمح هذا للرأسمال الاحتكاري ليستغل حقد الجماهير البورجوازية الصغيرة وجزءا من العمال أنفسهم ضد "الرأسمالية اليهودية".

2- فيما يخص العنصرية

يقول انجلز:

"إن الإيديولوجيا هي سيرورة ينجزها المفكر المزعوم عن طريق وعي ما، لكنه وعي زائف. إن القوى المحركة الحقيقية التي تحرك (هذه السيرورة) تظل مجهولة بالنسبة له، وإلا ما كانت سيرورة إيديولوجية. ولذلك يتصور قوى محركة زائفة أو ظاهرة" (من رسالة لانجلز إلى مهرينغ 14 يوليوز 1893).

وعلينا الآن أن ننظر إلى الدور الذي قام به الكتاب الذي فبركته الأوخرانا القيصرية (البوليس السياسي للنظام القيصري) تحت عنوان "**بروتوكولات حكماء صهيون**"، وذلك لندرك أهمية "**القوى المحركة الزائفة أو الظاهرة**" للنزعة المعادية للسامية.

لم تعد الدعاية الهتليرية تستعمل خطاب المنافسة الاقتصادية اليهودية الذي استعملته البورجوازية الصغيرة، بل أصبحت تعتمد أكثر على الدعاية المستمدة من "بروتوكولات حكماء صهيون" حول "**مخططات السيطرة العالمية لليهودية الدولية**"، وقد جاءت خطابات هتلر مليئة بهذه الأمور.

يشكل الدين المثال النموذجي للإيديولوجي وقواه المحركة الحقيقية يجب البحث عنها في المصالح المادية لطبقة ما، **فالإله الذي أرسل ضد الأرستقراطية الانجليزية وشارل الأول أنصار كروميل لم يكن سوى انعكاس أو رمز لمصالح الفلاحين والبورجوازية الانجليزية، فكل ثورة دينية هي في الواقع ثورة اجتماعية.**

إن التطور الجامح للقوى المنتجة المصطدمة بالحدود الضيقة للاستهلاك تشكل القوى المحركة الحقيقية للإمبريالية، المرحلة العليا للرأسمالية، لكن العرق هو الذي يظهر كقوة بارزة أكثر تميزا، فالعنصرية هي أولا الاختباء الإيديولوجي للإمبريالية المعاصرة، ف "العرق الذي يناضل من أجل مجاله الحيوي" ليس في آخر المطاف إلا انعكاس للضرورة الدائمة للتوسع، الذي يميز الرأسمالية المالية أو رأسمالية الاحتكارات.

إذا كان التناقض الأساسي للرأسمالية، التناقض بين الإنتاج والاستهلاك، يولد بالنسبة للبورجوازية الكبيرة ضرورة النضال من أجل غزو الأسواق الخارجية، فإنه يفرض على البورجوازية الصغيرة النضال من أجل توسيع السوق الداخلية. إن غياب المنافذ الخارجية بالنسبة للرأسماليين الكبار يسير بشكل مواز مع غياب المنافذ الداخلية للرأسماليين الصغار. هكذا فالعنصرية الخارجية ترافقها عنصرية داخلية، وتزايد الأزمة يؤدي إلى احتداد متنامي للعنصرية الخارجية كما العنصرية الداخلية.

إن الطابع الرئيسي التجاري والحرفي لليهودية كإرث لماضي تاريخي طويل، جعل منها العدو رقم واحد للبورجوازية الصغيرة على مستوى السوق الداخلي بمعنى آخر، فإن الطابع البورجوازي الصغير لليهودية هو الذي جعل منها شيئا قبيحا للبورجوازية الصغيرة. وعموما، بالنسبة للجماهير الواسعة يظل اليهودي الممثل التقليدي "لقوى المال".

إن البورجوازي الصغير أو طبقته الاجتماعية هي طبقة رأسمالية تتوفر بشكل مصغر على كل الاتجاهات الرأسمالية، لكن في نفس الوقت هي طبقة مناهضة للرأسمالية، لديها وعي قوي، ولو كان غامضا، لقد تم تخريبها ونهبها من طرف الرأسمال الكبير، لكن طابعها الهجين، و وضعها **ما بين الطبقي** لا يسمح لها أن تفهم البنية الحقيقية للمجتمع، وكذلك الطابع الحقيقي للرأسمال الكبير.

إنها تريد أن تكون مناهضة للرأسمالية دون أن تتوقف عن كونها رأسمالية. إنها تريد تحطيم الطابع السيء للرأسمالية، أي الاتجاهات التي تعمل على تحطيمها، وفي نفس الوقت الحفاظ على الطابع الطيب للرأسمالية، التي تسمح لها بالعيش والاغتناء. وبما أنه لا توجد

رأسمالية تمتلك الاتجاه الطيب بدون أن تتوفر على أخر سيئ، تقوم البورجوازية الصغيرة بخلقها خلقا، ومعروف أن البورجوازية الصغيرة هي التي أبدعت مصطلح "الهيبر رأسمالية"، الانحراف السيء للرأسمالية وروح الرأسمالية الشريرة.

وفي عصرنا هذا، ترفع شعارات النضال ضد "**الرأسمالية السيئة المضارباتية**" والدفاع عن "**الرأسمالية النافعة المنتجة**". لقد قام المنظرون النازيون بالتمييز بين "**الرأسمال المنتج الوطني**" والرأسمال الطفيلي اليهودي، فالرأسمالية اليهودية هنا يمكن أن تمثل بشكل أحسن خرافة الرأسمالية السيئة، ومفهوم الغنى اليهودي متجذر في الوعي الجماهيري الشعبي، وتقوم الدعاية النازية بإيقاظه، وتقديم صورة المرابي اليهودي، الذي سبق وأن ناضل ضده الفلاحون والبورجوازيون الصغار وحتى الإقطاعيون، ومن الناحية التاريخية، فإن انتصار العنصرية يعني أن الرأسمالية استطاعت أن تصرف الوعي المناهض للرأسمالية للجماهير، وذلك في اتجاه نوع سابق من الرأسمالية، لم يبق لها وجود إلا كبقايا أثر.

هكذا نجد أن العنصرية تتشكل من عناصر متنافرة، فهي تعكس الإرادة التوسعية للرأسمال الكبير، وتعبر عن حقد البورجوازية الصغيرة ضد العناصر الأجنبية في السوق الداخلية، وكذلك التعبير عن اتجاهاتها المناهضة للرأسمالية، فالبورجوازية الصغيرة، باعتبارها عنصرا رأسماليا تكافح ضد المنافس اليهودي، وباعتبارها عنصرا مناهضا للرأسمالية تناضل ضد الرأسمال اليهودي، فالرأسمالية تحرف النضال المناهض للرأسمالية لدى الجماهير نحو نضال ضد شكل سابق للرأسمالية.

وتقوم العنصرية بدمج كل الطبقات في قالب جماعة عرقية تعارض جماعات عرقية أخرى. إن العنصرية الخارجية الستار الإيديولوجي للإمبريالية لا يجب أن يظهر بطابع معاد للسامية، لكن بسبب التلفيقية، فإن هذا الطابع هو الذي يأخذه بشكل عام، كما أن الطابع المناهض للرأسمالية لدى الجماهير الذي تم صرفه اتجاه اليهودية يتم إسقاطه بعد ذلك ضد عدو خارجي، الذي تم تصنيفه وتحديد هويته، فمن واجب "العرق الجرماني" مكافحة اليهودي، عدوه الرئيسي بكل الأشكال التي يختبئ تحتها هذا العدو، الشكل البلشفي (الشيوعيين الألمان) والشكل الليبرالي الداخلي، وحكومة الأغنياء الانجلوسكسوني (البلوتوكراسيا)، والبلشفية الخارجية (الاتحاد السوفياتي). يقول هتلر في كتابه "كفاحي" أنه يجب تقديم مختلف الأعداء تحت مظهر مشترك، وإلا فهناك خطر أن تبدأ الجماهير التفكير في الفوارق الموجودة بين هؤلاء الأعداء. ولذلك تعتبر العنصرية خرافة وليست مذهبا، إنها تتطلب الإيمان وتخشى التحليل

العقلي، والنزعة المناهضة للسامية ساهمت في لحم مختلف عناصر العنصرية، وبما أنه يجب تذويب مختلف الطبقات في عرق واحد، يجب كذلك ألا يكون لهذا العرق إلا عدو واحد: إنه اليهودي العالمي. إن خرافة العرق تكون مصاحبة بمقابلها السلبي، أي اليهودي.

من سخرية التاريخ أن الإيديولوجيا المناهضة للسامية الأكثر راديكالية في التاريخ ستنتصر في مرحلة دخلت فيها اليهودية طريق الاندماج الاقتصادي والاجتماعي. وككل سخريات التاريخ، فهذه المفارقة مفهومة، **فحينما كان اليهودي غير قابل للاندماج وكان يمثل الرأسمال حقيقة كان ضروريا للمجتمع، ومن ثمة لم تطرح مسألة تدميره، وعندما أصبح المجتمع الرأسمالي على شفى حفرة وآيل للانهيار، سيحاول إنقاذ نفسه عن طريق إعادة إحياء اليهودي والحقد على اليهودي. وبما أن الرأسمالية اليهودية هي وهم فمن السهل هزيمتها، ولكن بهزمها لنقيضها، فإن العنصرية تحطم في نفس الوقت أسس وجودها الخاص.**

وبالرغم من الانسجام الظاهر، فتطور العنصرية يظهر التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يخبئها، **ففي البداية، ومن أجل توفير سلاح النضال لمجاله الحيوي للحرب الامبريالية، كان على الرأسمال الكبير أن يهزم عدوه الداخلي، البروليتاريا، فالبورجوازية الصغيرة والعناصر غير المصنفة للبروليتاريا سيشكلون عناصر مجموعات الصدام القادرة على تحطيم التنظيمات الاقتصادية والسياسية للبروليتاريا، ففي البداية ظهرت العنصرية كإيديولوجيا للبورجوازية الصغيرة، فبرنامجها كان يعكس مصالح وأوهام هذه الطبقة، أي وعد النضال ضد الهيير رأسمالية و التروستات والبورصة والمتاجر الكبرى.**

وبعدما حقق الرأسمال الكبير انتصاره على البروليتاريا بدعم من البورجوازية الصغيرة، أصبحت هذه الأخيرة بالنسبة له ثقلا لا يحتمل، ذلك أن برنامج الإعداد للحرب كان يفرض التصفية بدون شفقة للمقاولات الصغيرة وتطورا كبيرا للتروستات و لبلترة المجتمع.

هكذا، قام الرأسمال الكبير بخنق البورجوازية الصغيرة، وبدأت العنصرية بعد ذلك تغازل البروليتاريا بمحاولة ظهورها كحركة اشتراكية، وهنا لعب انتزاع الملكية من الرأسماليين اليهود دور ضمانة النضال وإرادة النضال المناهض للعنصرية.

إن الطابع المجهول لرأسمالية الاحتكارات، خلافا للطابع الشخصي للرأسمال المضارباتي وللمقاولات اليهودية، ساعد على إنجاح عملية الغش الروحي. ذلك أن الإنسان الشعبي يلاحظ بسهولة طبيعة الرأسمالية "الواقعية" أي **التاجر، الصانع والمضارب** مقارنة ب **"المدير المحترم**

للشركة المجهولة"، الذي يتم تقديمه ك **"عامل إنتاج ضروري"**. بهكذا مصطلحات، توصلت الإيديولوجيا العنصرية إلى تحديد الهويات التالية:

اليهودية = الرأسمالية، العنصرية = الاشتراكية، الاقتصاد الموجه من أجل الحرب = الاقتصاد الموجه الاشتراكي.

V - هل هناك عرق يهودي؟

يشكل اليهود في واقع الأمر خليطا من الأعراق الأكثر تنافرا، ويعود هذا الأمر إلى واقع الشتات الذي عاشه اليهود، وحتى في فلسطين لم يشكل اليهود "عرقا صافيا، فحسب التوراة نفسها فقد نقل الإسرائيليون عند خروجهم من مصر جماهير واسعة من المصريين إلى حد أن المؤرخ سترابون اعتبرهم سليلي المصريين، وعلينا أن نذكر بالأعراق المختلفة التي استقرت بفلسطين منهم الحيثيون والكنعانيون والفلستينيون والمصريون والفينيقيون والإغريق والعرب، فحسب سترابون فإن يهودا كان يسكنها الفينيقيون والمصريون والعرب، وبانتشار الديانة اليهودية خلال الحقبة اليونانية والإغريقية ازداد طابع الاختلاط هذا، فقد تم إدخال العديد من اليهود بالقوة إلى اليهودية، ثم دخول الخزر وأعراق أخرى خلال مرحلة الشتات جعل من اليهودية خليطا من الأعراق، وحاليا ليس هناك أي تجانس عرقي بين اليهود اليمنيين ويهود داغستان، فالأوائل من نوع شرقي بينما آخرون ينتمون إلى العرق المنغولي، هناك يهود سود في الهند وفي إثيوبيا يوجد الفلاشا، ويهود يسكنون الكهوف في إفريقيا، واليوم تسعة أعشار اليهود يسكنون أوروبا الشرقية (المقصود أربعينات القرن العشرين)، ويتشكلون من يهود روسيا وبولونيا وغاليسيا وهنغاريا والنمسا وألمانيا، إضافة إلى غالبية يهود أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية.

حسب بعض الإحصاءات أن 14،25% من اليهود و 12،70% من اليهوديات يمتلكون أنفا يهوديا، الذي ليس إلا أنفا مشتركا بين شعوب آسيا الصغرى، خاصة لدى الأرمينيين، و هو أنف منتشر بشكل كبير لدى شعوب البحر المتوسط وبين البافاريين.

مما سبق، نستخلص عدم صحة مفهوم العرق اليهودي، والعرق اليهودي هو خرافة، والصحيح هو القول أن اليهود يشكلون خليطا عرقيا مختلفا عن الخلائط الأخرى لدى أغلبية الشعوب الأوروبية، خاصة السلافيين و الجرمانيين.

ويعود الأمر في آخر المطاف إلى الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية لليهود عبر التاريخ فهي التي تفسر هذه الظاهرة، فخلال قرون كان اليهود يسكنون المدن ويتعاطون التجارة، والنموذج اليهودي يمكن اعتباره أكثر، نتيجة لهذه الوظيفة التي استمرت طويلا ولا يعود إلى أسباب عرقية، فقد اندمجت في اليهودية عناصر عرقية متنافرة، ستخضع جميعها للظروف الخاصة التي كان يعيش فيها اليهود، الشيء الذي تولد عنه ما يسمى ب **"النوع اليهودي"**، إنه نوع من الانتقاء الاقتصادي والاجتماعي تولد عنه الضعف الجسدي وكثرة انتشار بعض الأمراض كمرض السكري والعصبية، وهذه ليست مميزات عرقية، بل ناتجة عن وضع اجتماعي خاص، فمن الخطأ تفسير اتجاههم نحو التجارة أو نحو التجريد بعرقهم، وبقدر ما يندمج اليهود اقتصاديا، ولم يعودوا يشكلون طبقة يفقدون بسرعة هذه المميزات، وكل هذا يبين خطأ المنظرين العنصريين حول ما يسمى بالعرق اليهودي.

VI ـ الصهيونية

لقد ولدت الصهيونية عند مفترق الطرق، الذي أنتجته مذابح **البوغروم** الروسية في سنة 1882، ونتيجة للاضطرابات الناتجة عن قضية ما يسمى ب **دريفوس**، الشيء الذي يثبت البعد الحاد الذي أخذته المسألة اليهودية في أواخر القرن 19، وهناك عدة عوامل يجب استحضارها، وهي:

- الرأسملة السريعة التي أخذها الاقتصاد الروسي بعد إصلاح 1863، الشيء الذي جعل وضعية الجماهير اليهودية في المدن الصغيرة لا تطاق.

-انقلاب الطبقات الوسطى في أوروبا الغربية والتي سحقها التمركز الرأسمالي، على اليهود، حيث كانت منافستهم تعمق هذا الوضع.

- تشكلت في روسيا جمعية **"عشاق صهيون"**، وكتب **ليوبنسكر** كتابه **"التحرير الذاتي"**، حيث تبنى في هذا الكتاب فكرة العودة إلى فلسطين كحل وحيد ممكن للمسألة اليهودية.

- في باريس، وككل ملوك المال اليهود، لم يكن روتشيلد متحمسا لمجيء اليهود إلى البلدان الغربية، فبدأ يهتم بالاستيطان اليهودي في فلسطين، بمعنى في مكان بعيد، الشيء الذي أعجب البورجوازية في الغرب خوفا من تصاعد النزعة المعادية للسامية.

- بعد كتاب ليو بنسكر، قام صحافي يهودي من بودابست ويدعى تيودور هرتزل بتأليف كتابه الشهير "الدولة اليهودية" الذي سيصبح إنجيل الحركة الصهيونية العالمية، ومنذ بدايتها بدت الصهيونية كرد فعل من البورجوازية الصغيرة اليهودية ضد الموجة المتصاعدة المعادية للسامية، وبدأت تحاول الوصول إلى "الأرض الموعودة" بعيدا عن العواصف التي تضرب أوروبا الغربية.

- رغم أن الصهيونية قدمت نفسها كحركة قومية لليهود حديثة، إلا أنها زعمت أن شرعيتها قديمة وتعود إلى مئات السنين، علما أن الصهيونية هي نتاج الفترة الأخيرة من الرأسمالية، مرحلة انحطاطها، وهي كحركة، تشكل رد فعل ضد الوضع الذي نتج بالنسبة لليهود، نتيجة عامل انهيار الإقطاعية وانحطاط الرأسمالية، وبطبيعة الحال تقدم الصهيونية نفسها على أنها رد فعل على وضع قام منذ سقوط أورشليم سنة 70 ميلادية، وإن نشأتها الحديثة جدا هي أحسن جواب على هذه المزاعم، فكيف يمكن أن نؤمن أن العلاج هو علاج لداء موجود منذ ألفين سنة، ولم يتم إيجاده إلا في نهاية القرن 19؟

وفي واقع الأمر، فإن الإيديولوجيا الصهيونية ليست إلا انعكاسا مشوها لمصالح طبقة، إنها إيديولوجية البورجوازية الصغيرة اليهودية، التي كانت تختنق بين إقطاعية منهارة ورأسمالية في حالة انحطاط. إن النزعة المعادية للسامية الحديثة، وليس اللاسامية الخرافية الأبدية هي خير محرض لصالح الصهيونية، والسؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه، وهو:

إلى أي حد تستطيع الصهيونية حل المسألة اليهودية في مرحلة انحطاط الرأسمالية؟

هناك خلاف قوي بين الحركة الصهيونية والحركات القومية الأخرى، فالحركة القومية للبورجوازية الأوروبية هي نتيجة تطور الرأسمالية، وتعكس إرادة البورجوازية في خلق الأسس القومية للإنتاج والقضاء على بقايا الإقطاعية. إن الحركة القومية للبورجوازية الأوروبية مرتبطة بالفترة الصاعدة للرأسمالية، **وفي القرن19، وفي ظل ازدهار الحركات القومية الأوروبية لم تكن البورجوازية اليهودية صهيونية، بل كانت متشبثة بالاندماج.**

إن السيرورة الاقتصادية التي انبثقت منها الأمم الحديثة تضع أسس اندماج البورجوازية اليهودية في الأمة البورجوازية، ولم تظهر سيرورة طرد اليهود من المجتمع الرأسمالي إلا عندما بدأت سيرورة تشكل الأمم تصل إلى نهايتها، عندما وجدت القوى المنتجة نفسها تعاني من ضيق في الحدود القومية. إن تصفية اليهود كان مرافقا لانحطاط الرأسمالية، ولم تكن الصهيونية نتاجا لتطور القوى المنتجة،

بل على العكس، نتيجة لتوقف هذا التطور. وبقدر ما كانت الحركة القومية هي نتاج المرحلة الصاعدة للرأسمالية، فإن الصهيونية هي نتاج المرحلة الامبريالية. إن التراجيديا اليهودية في القرن 20 هي نتيجة مباشرة لانحطاط الرأسمالية.

"وهنا يكمن العائق الرئيسي لتحقيق مشروع الصهيونية. فالانحطاط الرأسمالي، الذي شكل اساس نمو الصهيونية، هو في نفس الوقت استحالة تحقيقه. إن البورجوازية اليهودية ملزمة بخلق بشكل مصطنع دولة قومية، وتتأكد من الأطر الموضوعية لتطور قواها المنتجة، خاصة في المرحلة، التي أصبحت فيها ظروف مثل هذا التطور غائبة. إن ظروف انحطاط الرأسمالية، التي وضعت بحدة المسألة اليهودية، تجعل في نفس الوقت، مستحيل حلها على الطريقة الصهيونية، ليس هناك أي أمر غريب هنا، فلا نستطيع القضاء على شر بدون القضاء على أسبابه، والحال أن الصهيونية تريد حل المسألة اليهودية بدون تحطيم الرأسمالية، التي هي المصدر الرئيسي لآلام اليهود" (ص، 134، 135). "المفهوم المادي للمسألة اليهودية" أبراهام ليون، دجنبر 1942.

القسم الثاني

الماركسية -اللينينية وقضايا التحرر الوطني

الفصل الأول

1 ـ ماركس و انجلز أمام المسألة القومية

يذكر التاريخ أن ماركس و انجلز كانا أول من جمع، بين التحرر الطبقي لقطاعات واسعة مضطهدة عن طريق الاستغلال الاقتصادي، و التحرر الوطني للأمم المضطهدة.

وقد قال ماركس أنه "**ليس للعمال وطن، فلا يمكن أن ننزع منهم شيئا لا يمتلكونه**" وأنه "**ما يجب أن يفعلوه هو في الدرجة الأولى الاستيلاء على السلطة السياسية والارتقاء إلى مستوى طبقة قومية والتشكل كأمة والارتفاع إلى مستوى طبقة قومية**"، وذلك كما جاء في "**البيان الشيوعي**"، **ويضيف ماركس في كتابه " الصراعات الطبقية في فرنسا" ما يلي:**

" الصراعات الطبقية في فرنسا"

"إن تطور البروليتاريا الصناعية يرتبط بشكل عام بتطور البورجوازية الصناعية، وفقط تحت سيطرة هذه الأخيرة ترتقي البروليتاريا إلى وجود ذو حجم قومي، الشيء الذي يسمح لها بالارتقاء بالثورة إلى بعد قومي" (الصراعات الطبقية في فرنسا من 1848 إلى 1850، دار التقدم موسكو، 1977، ص 38).

ويحفظ العالم تلك القولة الشهيرة والعبقرية لمؤسسي الفكر الماركسي كارل ماركس و فردريك انجلز ذات الصلة بالتحرر القومي:

"بنفس القدر الذي يتم فيه القضاء على استغلال إنسان لإنسان آخر، بنفس القدر الذي يتم فيه القضاء على استغلال أمة من طرف أخرى. وبقدر ما يتم القضاء عل التناقض العدائي بين الطبقات داخل الأمم، بقدر ما سيتم اختفاء الصراع بين الأمم".

وفي الأممية الأولى سنة 1866، دافع ماركس عن موقف استقلال بولونيا عن روسيا، وسنة 1882 كتب انجلز يقول أن بولونيا يجب أن تكف عن الخضوع والتقسيم حتى تستطيع طبقتها العاملة أن تتطور.

رالف فوكس

وحول القضية الإيرلندية، كتب **رالف فوكس**، وهو كاتب شيوعي انجليزي، يقول:

"لم يستطع أي مؤرخ بورجوازي أن يقدم نظرة واقعية وعظيمة لسيرورة إفراغ بلد بكامله من سكانه كما فعلوا في إيرلندا (محاولة اجتثاث كاملة لأمة كبيرة) كما فعل ماركس ...

فماذا وقع في إيرلندا؟

سيشرح ماركس ذلك بوضوح كبير: مسلسل جديد وهائل للنهب، ففي القرن 17، خضع الشعب الإيرلندي لنهب من طرف الاستعماريين الانجليز لممتلكاته على أرضه، وفي أواسط القرن 19 استمر نهب الإيرلنديين، بالإضافة إلى أنه في نهاية القرن، أكثر من النصف فرض عليهم مغادرة بلدهم إلى الأبد، وفي سنوات الخمسين عمل ماركس على أن تصبح وضعية إيرلندا معروفة بشكل واسع من خلال مقالاته في الصحافة الألمانية وفي أمريكا الشمالية، وأعطى أهمية خاصة لصالح حقوق مستغلي الأراضي الزراعية مدينا كل نظام الملكية العقاري الانجليزي (ماركس انجلز و لينين حول إيرلندا).

هكذا، ومنذ ماركس و انجلز ظهر للعيان أن هناك نزعتان أو تصوران فيما يخص الوطنية:

1- تلك التي تخص البورجوازية المستغلة (بكسر الغين)، والتي تعمل على تأبيد سيطرتها على أمة أخرى، أو التي تعمل على منع النضال الثوري للطبقة العاملة.

2 – أما الثانية فتتعلق بالشعب العامل المضطهد والمستغل.

إذن، العاطفة القومية حمالة أوجه، أي أنها خاضعة لتأويل ثوري أو رجعي، ويقوم التأويل الثاني، كما يقول لوفيفر:

"على تأليه الأمة، الشيء الذي يسمح بتلافي التحليل الدقيق الموضوعي للواقع القومي وللمصالح الوطنية في الإطار الأوروبي والعالمي، ومن هنا الخلط بين مصلحة الرجعية السياسية ومصلحة الوطن.

وقد أبرز ماركس ساخرا، من خلال تطرقه ل "**مبدأ القوميات**":

"أن هذا الأخير يخدم كعذر عند روسيا حتى لا تتدخل أمة أخرى في شؤون القوميات السلافية، وفي الأخير فإن هؤلاء الأخيرين يتحدثون عن وضعهم كإخوة في العرق يشكلون امبراطورية لكل السلافيين في خدمة موسكو" (ماركس والقوميات الانفصالية، سان ميغل، بلباو 1974).

إن الامبريالية الأمريكية والألمانية، هما كذلك يستعملان "**مبدأ القوميات**" لتحويل اتجاه استقلالات الشعوب وفرض دول تدور في فلكهما.

2- ماركس – انجلز-- لينين: المسألة اليهودية والصهيونية

إن الحديث عن موقف الماركسية من الصهيونية يستتبع بالضرورة الحديث عن مواقف الماركسية من المسألة القومية.

-تذكير بمواقف ماركس و انجلز من المسألة القومية:

إن الأعمال الكاملة لكارل ماركس والأعمال المشتركة بين ماركس و انجلز، كما الدراسات الحديثة، خاصة الانجلوساكسونية منها، تظهر إلى أي حد كان ماركس و انجلز يهتمان بالقضايا القومية في عصرهما، والشاهد على ذلك أنهما ابتداء من 1850 كانا مهتمان بشكل كبير بالوحدة القومية الألمانية، وذلك إلى حدود تحققها، وتلخص الفقرة التالية موقفهما من الوحدة الألمانية:

"فعلى العمال ليس فقط استكمال إنشاء الجمهورية الألمانية الواحدة، التي لا تتجزأ، بل محاولة تحقيق ذلك ضمن الجمهورية الممركزة القصوى للقوة بين أيدي الدولة، ورفع أي حاجز بين المقاطعات".

وقد لعبت المسألة الإيرلندية والبولونية ودروس الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة الأمريكية، دورا هاما في تطوير أفكارهما حول المسألة القومية، سمحت لهما بإدخال تعديلات هامة على نظريتهما في المسألة القومية، فقد كانا في البداية يجعلان التحرر القومي رهنا بتحرر الطبقة العاملة الاجتماعي، لكن، وبعد تحليل خبرات ثورات 1848 – 1849 البورجوازية أصبحا يؤكدان على الارتباط الجدلي بين نجاح الثورات الاجتماعية وتحرر البروليتاريا وحل المشكلات القومية الملحة.

وتشهد الأممية الأولى في مؤتمرها المنعقد في جنيف في 1866 على مواقف ماركس و انجلز اللذان دافعا عن حق تقرير المصير لبولونيا وإيرلندا والبلقان.

3- لينين والمسألة القومية

فلاديمير لينين

أما لينين، ففي كتاباته مثل "في التطور اللامتكافئ" و "الدولة والثورة" و "الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية"، وفي كتابات أخرى، هناك تأكيد مستمر على مفهوم الدولة القومية.

وفي كلمة أثناء المؤتمر الثامن للحزب 1919، قدم لينين انتقادا صريحا وقويا ل "اليساريين": بسبب عدميتهم القومية، مؤكدا أن إسقاط البورجوازية سيؤدي إلى تعجيل هائل في انهيار سائر أنواع الحواجز القومية دون إنقاص التمايز أو التحالف بين البشرية، وكان لينين يرى أن تشكيل دولة قومية هو الاتجاه الذي تتبعه كل حركة قومية... وتمثل الدولة غير المتجانسة قوميا حالة متأخرة أو استثنائية. وتبقى المساهمات اللينينية الأهم على الإطلاق فيما يخص المسألة القومية، هي مساهمته في المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، وخاصة جداله و ردوده على روي الهندي و كارل راديك و سيراتي من إيطاليا.

جوزيف ستالين

وخلال المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية أكد المؤتمر على دعم الحركة القومية وليس فقط الاعتماد على النشاط الثوري للشيوعيين. وقامت رئاسة المؤتمر الرابع للأممية الثالثة، بعد اختتام المناقشات حول المسألة القومية و الكولونيالية بتشكيل لجنة خاصة لصياغة الأطروحات المتعلقة بهذه المسألة، كما ندد المؤتمر باقتراحات البند حول "الاستقلال الذاتي الثقافي القومي لليهود" رافضا اعتبار اليهود أمة، وأعاد المؤتمر السابع للأممية الشيوعية سنة 1935 التأكيد على فكرة التحالف مع القوى القومية.

ومن المعروف أن ستالين بتكليف من لينين قد ألف كتابه الشهير "الماركسية والمسألة القومية، التي تعتبر أهم مساهمة ماركسية إلى حد الآن، وقد أقرها الحزب في 1913 بعد الإقرار بالتعديلات الهامة التي أجراها لينين على نص الكتاب. وتتلخص أفكار لينين في الموضوع في كون أن الأمة ليست ظاهرة اقتصادية من ظواهر الرأسمالية كما روجتها التصورات الرائجة لبعض القوى الشيوعية

التقليدية، بل ظاهرة تاريخية اجتماعية تضرب جذورها في التشكيلات ما قبل الرأسمالية، ولكنها تجد في الرأسمالية كسوق مركزي اجتماعي ما يسمح لها بالتشكل كظاهرة سائدة. وبالتدقيق في القراءة الستالينية للمسألة القومية لا نجد أي تعارض يذكر، فستالين يميز بين مرحلتين في تشكل الوعي القومي:

الوعي القومي بذاته ما قبل تشكل الأمة و**الوعي القومي الطبقي بذاته ولذاته** في حالة الاستكمال القومي لشروط الأمة الرأسمالية.

أما العامل النفسي، فقد توقف لينين عند أهميته، ولكنه لم يدرجه في العوامل الأساسية للأمة. هكذا، **فإن مفهوم الأمة كما صاغها مؤتمر البلاشفة، هي محصلة لتفاعل عدة مقومات أساسية، وهي العلامات التي تصبح القومية بموجبها أمة، وهذه العلامات هي:**

1- الأرض

إن الأرض تمثل القاعدة المادية لتشكل الروابط الاقتصادية بين أبناء الشعب وميدان نشاطهم وتطورهم، وأخيرا، فإنه من الأهمية بمكان الأخذ بالحسبان أن الأرض القومية ليست مجرد بقعة جغرافية، وإنما ترتبط عضويا بالنمط الاجتماعي للأمة التي تعيش فوقها.

2- اللغة

ليس ثمة في العالم لغة قائمة بحد ذاتها، فما يوجد فعلا ويتطور هو اللغات القومية بما هي محصلة ثقافية – اجتماعية، وليست إلا تجليات مختلفة للماهية الواحدة للغة، كونها أداة للتفاعل الاجتماعي- الثقافي بين الناس. ويكون من المهم، على طريق رسم سياسة لغوية علمية، استجلاء العلاقة بين الماهية العامة للغة وخصوصيتها القومية.

3- السوق

إن توحيد السوق الرأسمالي هو الذي ينقل القومية بعواملها ما قبل الرأسمالية إلى الأمة بعواملها الأربعة، فوحدة السوق الرأسمالي بما تعني من تطور في مستوى تقسيم العمل والتبادل، وتشكيل طبقتين أساسيتين، رأسمالية مستغلة وأخرى مستغلة تبيع قوة عملها، هي التي تشكل العامل الأخير، العامل الاقتصادي، الذي ليس إلا نتيجة للتفاعل التاريخي للعوامل السابقة ...، وقيمة هذا العامل تكمن في

أنه الوحيد الذي يوحد المستغلين والمستغلين في طول البلاد وعرضها حول علاقات إنتاج متطورة تعزز من وحدة النسيج الاجتماعي للأمة ككل، بعد أن ساد الاقتصاد المغلق ما قبل الرأسمالي وسادت الطبقات المتفككة عبر مجموعة كبيرة من الأسواق الصغيرة الضيقة.

4- الطبقة القومية

ويعنى بذلك طبقة ذات دور مسيطر سياسيا كطبقة قومية، عندما تفقد البورجوازية قدرتها على أن تكون قوة قومية، تغدو الطبقة العاملة الذات الحقيقية للأمة، حيث تتجسد فيها كل قوة الأمة، وكل قدرتها على التطور إلى الأمام.

5- حق تقرير المصير القومي

حسب كاتب المقالة "المساهمة اللينينية الأساسية هنا، هي التعرف على الضرورة القومية عند الأمة والشعوب المظلومة بدلالة دينامية وطبيعة الإطار القومي للبورجوازية الصاعدة للأمم الظالمة".

"فعصر لينين، هو عصر الرأسمالية في أعلى مراحلها، وهو عصر قانون التطور اللامتكافئ، الذي يجعل من حرب الأسواق حرب الأمم الظالمة، وحرب التحرر القومي والميل للانعتاق، حرب التحرر الاجتماعي أيضا" ("الماركسية والموقف من القومية والصهيونية"، الدكتور موفق محادين).

4- الماركسية: المسألة اليهودية والصهيونية

إن كتاب ماركس "**بصدد المسألة اليهودية**" كان موجها بشكل أساسي لنقد اليسار الهيجلي، وهو ما ينفي عنه نزعاته الهيجلية.

لقد اعتقد باور أن المسألة اليهودية مسألة دينية تحل بإلغاء الدين اليهودي والمسيحي على حد سواء، وتحقيق العدالة عبر الإلحاد، بينما أكد ماركس على العكس، مؤكدا أن القضية ليست دينية بل اجتماعية. لقد اهتم ماركس بالحديث عن روح اليهودية، وجوهرها، بما هي روح الرأسمالية وجوهرها، الذي لا يتجلى في الأسفار والكتب المقدسة القديمة، بل في المجتمع الرأسمالي المعاصر، **فالمال هو إلاه إسرائيل** (اليهود) **الحقيقي وقومية اليهودية هي قومية رجال المال**.

و بالمحصلة، **فإن سر اليهودية يكمن في سيكولوجية المنفعة الشخصية لليهودي العملي** (بمعنى ليس ذلك الموجود في النصوص) وكان هذا أيضا موقف فيورباخ، **فاليهودية لم تكن إلا التعبير الإيديولوجي للسمات الاجتماعية التي ميزت اليهود على امتداد تاريخهم وكانت نتاج ظروفهم الاجتماعية من جهة، والوسط الجغرافي السياسي من جهة ثانية، وبينما عبرت الكاثوليكية عن مصالح النبلاء (العقاريين والإقطاعيين) وعبرت الطهرانية و البروتستانية عن المصالح البورجوازية أو الرأسمالية، عبرت اليهودية عن مصالح طبقة تجارية في عهد ما قبل رأسمالي، ولا تفسر محافظة اليهود على دينهم، المعبر الصادق عن مصالحهم الاجتماعية، كمجموعة متميزة نتيجة لإخلاصهم الديني، بل بالعكس فإن محافظتهم كمجموعة اجتماعية متميزة، هي التي تفسر تعلقهم بالإيمان، وعلى حد تعبير كاوتسكي، "فإن الله أصبح عند يهود فلسطين مصدرا هاما لتأمين رزقهم، وهو ما يفسر أيضا دور الحاخامات في تكريس العزلة الاجتماعية، وبالتالي الوظيفة التاريخية".**

عموما، هذا فيما يخص ماركس، أما عند انجلز، **فاليهودية القديمة بالنسبة له هي مجموعة من القبائل الهمجية، ومؤرخين يهود سرقوا كل تاريخ الشرق وأساطيره ونسبوه لتلك القبائل التي لم تكن أكثر من محميات عسكرية، تؤجر نفسها تارة لمصر وتارة لفارس.**

أما عند لينين فإن ما يسمى بالقومية اليهودية، فهو إيديولوجيا بربرية رجعية تحاول إعادة التاريخ إلى الوراء، وقد اتخذ لينين موقفا ضد كل أشكال التنظيم والتعبير اليهودي الخاصة، بما في ذلك اتحاد العمال اليهود (البوند)، الذي كان يدعو لاستقلال ثقافي ذاتي، والذي اعتبره لينين اتحاد حاخامات، وليس اتحاد عمال.

وتحت تأثير لينين، نددت الأممية الشيوعية في 1920، بفكرة الأمة الوطنية اليهودية، وبما سمي بالحركة اليهودية الشيوعية في كل مكان، خاصة في فلسطين، وكان ستالين بموافقة من لينين، قد أصدر كتابه الهام "**الماركسية والمسألة القومية**" ردا على اليهودي النمساوي **بوير**، الذي اعتبر في كتابه "**المسألة القومية والاشتراكية الديموقراطية**" اليهود أمة.

لقد رأينا كيف سار أبراهام ليون على خطى ماركس في الكتاب أعلاه، حيث أكد على مسألتين هما:

1- إن سر اليهودي في وظيفته كمرابي متجول (تاجر ما قبل رأسمالي)، وليس سر الوظيفة في دينه.

2- إن استمرار اليهود قد تم بدعم التاريخ، لا بالرغم عنه، وبسبب الشتات، لا بالرغم عنه.

5 ـ الماركسية والصهيونية

لعل التصورات الماركسية ظلت وما تزال التصورات الوحيدة التي اعتبرت كل خاص يهودي هو خاص السيد العالمي، الإقطاعي ثم الامبريالي، وأن الحل الحقيقي لما عرف بالمسألة اليهودية، وأخذ صورته المسوغة في الكيان الصهيوني الراهن، هو الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، ليس كيهود من طينة طبقية أو قومية أو دينية محددة، بل كمواطنين يعبرون عن قومية أو طبقة المجتمعات التي يعيشون فيها.

ورغم أن هذه التصورات كانت واضحة ومتوفرة لكل قارئ عادي، إلا أنها تعرضت لحملات واسعة من التشكيك والتشويه، ساعد في تكريسها الموقف السوفياتي المفاجئ من قرار التقسيم، ودفاع بعض القوى الشيوعية التقليدية (العربية) عن هذا الموقف منذ1949. **يقول موفق محادين:**

"فليس ثمة حل آخر لهذه المسألة في بعديها اليهودي والعربي إلا الحل الماركسي، ذلك أن الحلول اليهودية والعربية السائدة تذهب إلى تكريس "إسرائيل" كخاص امبريالي ... بينما تذهب الحلول الدينية إلى إعادة إنتاج المسألة اليهودية بما يكرس "إسرائيل" كظاهرة من ظواهر الإيديولوجيا الطائفية المجسدة في دولة عرقية عدوانية من جهة، وبما يفرغ الصراع في المنطقة من مضمونه الاجتماعي - التاريخي من جهة أخرى".

6 ـ لينين والصهيونية

لقد صارع ماركس ضد اليهودية على الجبهة الفكرية، **بينما اصطدم لينين خلال العمل من أجل إقامة حزب اشتراكي ديموقراطي لعامة روسيا، بالبوند، الذي تأسس سنة 1897، وقد كان البوند يدعو للاعتراف به ممثلا وحيدا و قوميا للعمال اليهود على أساس الاستقلال الذاتي القومي الثقافي داخل كل بلد، وقد اعتبر لينين فكرة وجود أمة يهودية فكرة رجعية في جوهرها، ليس فقط عند أتباعها الثابتين من الصهاينة، بل وعند عدد من أولئك اللذين يحاولون توفيقها مع أفكار الاشتراكية الديموقراطية من البونديين، وقد أضاف لينين في معرض نقده لمطالب البوند بالاستقلال الذاتي القومي الثقافي لليهود القاطنين فوق أراضي الامبراطورية الروسية، بان الأجدر بدعاة هذا الشعار أن يصطفوا مع الحاخامات لا مع الاشتراكيين الديموقراطيين. وفيما يخص الدولة اليهودية التي كان الصهاينة يروجونها في أوساط العمال**

اليهود الروس، كتب لينين في الإسكرا "إن الدولة اليهودية التي يزعمون أنها ستكون قاعدة انطلاق الثورة اليهودية لن تكون في الواقع سوى دولة بورجوازية في خدمة البورجوازية الأوروبية بمفردها أو بمساعدة الزعماء العالميين من الصهاينة، اللذين سيلعبون دور خادم الرأسمال الأوروبي، ولذلك، وبمبادرة من لينين رفض المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي 1903 اعتبار البوند ممثلا أساسيا للبروليتاريا اليهودية، كما عارض لينين سنة 1906 فكرة قبول ممثلين عن حزب "الصهاينة الاشتراكيين" الذي كان قد تشكل في مناطق جنوب روسيا في بداية 1905، في عداد وفد الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي الروسي إلى مؤتمر الأممية الثانية العالمي، الذي كان يجري التحضير لعقده في صيف 1907 في ستوتغارت بألمانيا، وقد علق لينين على هذا القرار قائلا : "إن القرار المتخذ برفض قبول الصهيونيين في عداد الاشتراكية الديموقراطية، حتى ولو كانوا يسمون أنفسهم بالصهيونيين الاشتراكيين، قد حلل إيديولوجية وتكتيك مختلف المجموعات الاشتراكية الصهيونية، وانتقد النظرية القومية المعادية للماركسية التي يتبناها الصهيونيون الاشتراكيون.

وخلال المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية غشت 1920، دار نقاش حول الصهيونية وقضية فلسطين، وصدر أول نص رسمي للأممية متضمن في موضوعات حول المسألة الوطنية ومسألة المستعمرات الذي تقدم به لينين، وأقره المؤتمر بعد إدخال عدد من التعديلات أبرزها:

"يتوجب علينا أن نفضح باستمرار عملية الخداع التي تمارسها القوى الاستعمارية بمساعدة الطبقات صاحبة الامتيازات في البلدان المضطهدة، على جماهير الشغيلة في العالم أجمع، وفي الأقطار المتخلفة خاصة، حيث يتظاهر الاستعمار بمنح بعض الدول استقلالها السياسي لينشئ شتى مؤسسات الدولة والحكومة التابعة له عمليا تبعية كاملة، اقتصاديا، ماليا وعسكريا، وكمثال صارخ على عملية الخداع هاته، التي تمارسها على الطبقة العاملة في البلدان المضطهدة قوى "الحلفاء" الاستعمارية وبورجوازيات هذه البلدان، نذكر مشروع الصهاينة في فلسطين، حيث تعمل الحركة الصهيونية بحجة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، التي يشكل اليهود نسبة لا تذكر من سكانها، على إخضاع السكان الأصليين من الكادحين العرب لنير الاستغلال الانجليزي. إن اتحاد الجمهوريات السوفياتية هو السبيل الوحيد لخلاص القوميات المستضعفة والمقهورة في الوضع العالمي الراهن".

وفي 21 شتنبر 1920، ناقش اجتماع اللجنة التنفيذية الطلب الذي تقدم به حزب **بوعالي تسيون** للانضمام إليها، وقد طالبته اللجنة التنفيذية التخلص من الميول القومية الصهيونية حتى توافق على طلبه، وعندما وافقت اللجنة على قبوله كعضو مراقب احتج الشيوعيون الإيطاليون

على ذلك، ونجحوا في استصدار قرار من اللجنة التنفيذية يدعو الحزب إلى حل نفسه وتغيير اسمه، وقطع صلاته بالاتجاهات الصهيونية، وإدانة المشاريع الصهيونية في فلسطين.

وكخلاصة سطرها كاتب المقالة:

"هكذا اتخذت الأممية الشيوعية منذ ظهورها موقفا مناهضا للصهيونية، واعترضت على المجموعات اليسارية اليهودية الراغبة في الانضمام إلى صفوفها، وطالبت أن تتخلى عن الأفكار الصهيونية، وتعلن إدانتها للمشروع الصهيوني في فلسطين. ومن جهة أخرى كانت الأممية الشيوعية قد دعت في مؤتمرها الثاني جميع الأحزاب والمنظمات الشيوعية في البلدان المستعمرة والتابعة، إلى تقديم كافة أشكال الدعم لنضال الحركات القومية التحررية المناهضة للإمبريالية، وكان ذلك يعني في ظروف فلسطين الملموسة، أن انضمام الحزب العمالي الاشتراكي إلى صفوف الأممية الشيوعية لا يمكن أن يتم إلا بعد تخلي الحزب نهائيا عن مقولة "**الصهيونية البروليتارية**" والاعتراف بالطبيعة الثورية للحركة القومية العربية (الفلسطينية)، واستعداده لدعم نضالها المعادي للإمبريالية والصهيونية".

عن موقع "اشتباك عربي" أبريل 2023

الفصل الثاني:

1 ـ لينين: المسألة القومية وحق تقرير المصير

تظهر التجربة التاريخية من خلال دراسة الحياة النضالية لفلادمير إيليتش أوليانوف، أن هذا الأخير من بين القادة الكبار للفكر الماركسي، هو المناضل الثوري الأغزر عطاء بالنسبة لمجال الحقوق القومية للشعوب والوحدة الأممية لكل البروليتاريا العالمية.

كان لينين سنة 1912 مقيما في بولونيا، وبالضبط في مدينة كراكوفيا، وقد لاحظ السيطرة القومية التي يعاني منها البولونيون، وقام بتعليق موجه لرفيقه ستالين الذي كان بجانبه آنذاك:

"إن البولونيين يكرهون روسيا وعن صواب. ولا يمكننا أن نتجاهل قوة عاطفتهم القومية. على ثورتنا أن تتصرف معهم ببالغ العناية، بل وحتى السماح لهم بالقطع مع روسيا إذا كان ذلك ضروريا" ("ستالين"، إسحاق دويتشر، غاليمار، باريس 1953، ص 156).

ومن المعروف أن لينين في هذه اللحظة، أوحى إلى ستالين بتحرير مؤلفه "**الماركسية والمسألة القومية**".

في سنة 1912 كتب لينين "**ملاحظات نقدية حول المسألة القومية**"، وفي هذه المقالة يقول لينين أن البرنامج الماركسي في هذا الموضوع يحتوي على نقطتين رئيسيتين:

"أولا، يدافع عن المساواة في الحقوق بين الأمم (وكذلك حق تقرير المصير ...) ويعتبر كأمر غير مقبول وجود أي امتياز على مستوى هذا المظهر.

ثانيا، يدافع عن مبدأ الأممية " ("ملاحظات نقدية").

لقد وضع لينين موقفا ديالكتيكيا وعادلا يوحد بين المبدأين، يعالج المسألة القومية من وجهة نظر الصراع الطبقي، ويقول لينين كذلك:

"إذا ترك الماركسي الأوكراني نفسه ينساق مع حقده، المشروع والطبيعي، ضد المضطهدين الروس إلى الحد الأقصى، حتى لو تعلق الأمر بجزيء من هذا الحقد، وحتى لو كان الأمر مجرد ابتعاد عن الثقافة البروليتارية والقضية البروليتارية للعمال الروس، إن هذا الماركسي سينتهي في مستنقع القومية، ليس فقط البورجوازية، بل أكثر من هذا، السقوط في الرجعية المتشددة، إذا كان النسيان ولو للحظة مطلب المساواة الكاملة في الحقوق للأوكرانيين، أو الحق بالنسبة لهم في التشكل كدولة مستقلة" (نفس المرجع ص 19، 20).

في سنة 1917، كتب لينين كراسته "**حول حق الأمم في تقرير مصيرها**"، في رد على روزا لوكسمبورغ، التي كانت ترى أنه من غير المناسب النضال من أجل حق الأمم في تقرير مصيرها، وقد حدد لينين بوضوح الموقف في هذا الموضوع:

"إن القول بتقرير مصير الأمم يتضمن حق انفصالهم الدولتي بالنسبة للقوميات الأجنبية، ويتضمن تشكل دولة قومية مستقلة" (نفس المرجع أعلاه).

وفي سنة 1916، في رد له على الأوكراني التروتسكي بياتاكوف، الذي كان يرفض الحق في تقرير المصير، كتب لينين في مقالته "**حول كاريكاتير الماركسية والاقتصادوية الامبريالية**" يقول:

"إن تقرير مصير الأمم هو نفس الشيء بالنسبة لنضال التحرر الوطني الكامل، من أجل الاستقلال الكامل" ("ضد الحرب الامبريالية"، دار التقدم، موسكو، 1978، ص 216).

بعد الانتصار التاريخي للثورة الروسية البلشفية، فإن السيطرة العنيفة للإمبريالية القيصرية الروسية تم تعويضها بالتحرر القومي والاجتماعي، وبالتحقيق الكامل لمبدأ حق تقرير المصير.

وقد أعلنت الحكومة البلشفية سنة 1918، وذلك في إعلان مشهور يحمل عنوان:

"**إلى كل العمال المسلمين في روسيا والشرق**" بتوقيع لينين وستالين:

"يا مسلمي روسيا وتتار الفولكا والقرم والقيرغيز والكزاخ والأتراك وتتار ترانسكوكازيا والشيشان وجبليو أنغوشيا، وكل من صوامعهم ومراكز الصلاة قد تم تدميرها، حيث المعتقدات والعادات تمت إهانتها من طرف القياصرة ومضطهدي روسيا:

إن معتقداتكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية تعتبر من الآن حرة وغير قابلة للخرق، نظموا حياتكم القومية في حرية كاملة، إنه حقكم! واعلموا أن حقوقكم وحقوق كل شعوب روسيا تحت حماية قوة الثورة وهيئاتها، مجالس العمال والجنود والفلاحين".

استمر بياتاكوف التروتسكي في عناده ضد لينين قائلا أن حق تقرير المصير هو شعار بورجوازي، وأجابه لينين بجملة عبقرية سجلت في التاريخ:

"يقولون لنا أن روسيا ستتجزأ وستتفكك إلى جمهوريات منفصلة، ليس هناك سبب ليخيفنا هذا بالنسبة للعديد من الجمهوريات المستقلة، فليكن، وليس لنا خوف من ذلك، فالمهم عندنا ليس من أين تمر حدود الدولة، ولكن وحدة العمال في جميع الأمم تظل قائمة من أجل النضال ضد البورجوازية في أية أمة كانت".

2- لينين وتكتيك الدعم لحركات التحرر الديموقراطي البورجوازي

في فبراير 1917 كانت البورجوازية الروسية في منصب الحكومة غير قادرة عن تلبية المطالب الأساسية، بحكم ارتباطاتها مع الامبريالية الفرنسية والانجليزية، ولذلك استمرت في خوض سياسة الحرب والمشاركة فيها، ونفس الشيء سينطبق على الإصلاح الزراعي، وذلك

لارتباطاتها مع كبار الملاكين العقاريين، اللذين يمثلون فئة الرأسماليين في البوادي، وكان لينين يوجد في المنفى، ومن خلا كتابه "**رسائل من بعيد**" أطلق لينين نداءه الشهير:

"أيها العمال! لقد أنجزتم معجزات من البطولة البروليتارية والشعبية في الحرب الأهلية ضد النظام القيصري، عليكم إنجاز معجزات من التنظيم البروليتاري والشعبي لتهيئ انتصاركم في المرحلة الثانية للثورة".

و في أبريل 1917، عاد لينين إلى روسيا وقام بإعداد وثيقته الشهيرة "**أطروحات أبريل**"، حيث سيؤكد أنه من الآن فصاعدا قد حان وقت الثورة الاشتراكية، ليس في مستقبل بعيد بهذا القدر أو ذاك، و لكن الآن على البلاشفة أن يتحملوا مسؤولية هذه المهمة السياسية، وحدد لينين الشكل الذي ستكون عليه السلطة، **سلطة مجالس العمال والفلاحين،** و وضع شعارا للمرحلة الجديدة "**كل السلطة للسوفياتات**"، وفي سياق مفهومه **للثورة المتواصلة عبر مراحل (أو غير المنقطعة)**، التي تعترف بمرحلتين مرتبطتين جدليا، حدد لينين نوعيتان من المهام، **الأولى تهم المهام الديموقراطية، والثانية تهم المهام الاشتراكية**.

في سنة 1920، سطر لينين في المسودة الأولى لوثيقة "**أطروحات حول المسائل القومية والكولونيالية**"، التي قدمها إلى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، فيما يخص الحركة القومية:

"وفيما يخص الدول والأمم المتخلفة، حيث تسود علاقات ذات طابع إقطاعي أو بطرياركي فلاحي، يجب بشكل خاص أن يكون حاضرا في الذهن:

1- ضرورة مساعدة حركة التحرر الوطني الديموقراطية البورجوازية في هذه البلدان من طرف كل الأحزاب الشيوعية، وبالدرجة الأولى، إلزامية تقديم المساعدة الأكثر نشاطا لعمال البلدان، حيث الأمة المتخلفة تخضع للعلاقة الاستعمارية والمالية.

2- ضرورة النضال ضد الكهنوت والعناصر الأخرى الرجعية و القرووسطية، اللذين لهم نفوذ وتأثير في البلدان المتخلفة.

3- ضرورة النضال ضد فكرة "الجامعة الإسلامية" وتيارات أخرى مماثلة، التي تحاول أن تزاوج بين حركة التحرر ضد الامبريالية الأوروبية والأمريكية مع تعزيز مواقع العشائر والملاكين العقاريين والملات ...

4- ضرورة الدعم بشكل خاص لحركة الفلاحين في البلدان المتخلفة ضد الإقطاع وضد الملكية العقارية الكبيرة وكل تمظهرات وبقايا الفيودالية، وعليهم إعطاء حركة الفلاحين الطابع الأكثر ثورية، وذلك عبر تحقيق الوحدة الوثيقة بين البروليتاريا الشيوعية في أوروبا الغربية والحركة الثورية للفلاحين في بلدان الشرق، وبشكل عام، في البلدان المتخلفة، فلابد بشكل خاص القيام بكل المجهودات لتطبيق المبادئ الأساسية لنظام السوفياتات في البلدان التي تهيمن فيها العلاقات ما قبل الرأسمالية، وذلك عن طريق خلق سوفياتات العمال ...

5- ضرورة النضال بحزم ضد إصباغ حركة التحرر الديموقراطي البرجوازي للبلدان المتخلفة باللون الشيوعي. إن الأممية الشيوعية لا يجب أن تساند الحركات الوطنية الديموقراطية البورجوازية في المستعمرات والبلدان المتخلفة إلا بشرط أن عناصر الأحزاب البروليتارية المقبلة تكون في كل البلدان المتخلفة يتم تجميعها وتربيتها بروح مهامها الخاص، بمعنى مهام النضال ضد الحركات الديموقراطية البورجوازية في بلدانها. إن الأممية الشيوعية عليها أن تبرم تحالفا مؤقتا مع الديموقراطيين البورجوازيين في المستعمرات والدول المتخلفة وليس الاندماج معهم، والحفاظ بشكل حازم على استقلالية الحركة البروليتارية حتى ولو كانت بشكل جنيني.

6- ضرورة شرح وإدانة بدون كلل، أمام أوسع الجماهير الكادحة في كل البلدان وخاصة في البلدان المتخلفة الخداع الممارس بشكل منهجي من طرف القوى الامبريالية، التي تحت غطاء خلق دول مستقلة سياسيا، يخلقون في الواقع دولا تابعة لهم بالكامل في المجال الاقتصادي والمالي والعسكري، ففي الوضع الحالي الدولي، وخارج إنشاء الجمهوريات السوفياتية، ليس هناك خلاص للأمم التابعة والضعيفة".

ملحوظة:

إن مصطلح "**الحركة الديموقراطية البورجوازية**" سيتم تعويضه بمصطلح "**وطني ثوري**"، وذلك لأنه هناك إمكانية أن تفضل البورجوازية الوطنية الخضوع أو التبعية للإمبريالية بدل الثورة الديموقراطية، وذلك نتيجة خوفها من الشيوعية، وسيقول لينين في "**تقرير اللجنة القومية والكولونيالية**" في المؤتمر الثاني للأممية سنة 1920 بصدد هذا الاستبدال:

"إن معنى هذا الاستبدال هو أنه، باعتبارنا شيوعيين لا يجب أن نساند، ولن نساند الحركات البورجوازية للتحرير في البلدان المستعمرة إلا في الحالات التي تكون فيها هذه الحركات ثورية بالفعل، وحيث ممثلوها لا يعارضون تشكيلنا وتنظيمنا في روح ثورية، الفلاحين والجماهير الواسعة من المستغلين".

= هذا هو التكتيك اللينيني الذي سيتم اتباعه من طرف الأممية الشيوعية.

الفصل الثالث:

ستالين: دوره وأهميته في المسألة القومية

يقول أحد المؤرخين الأمريكيين **(ريشارد بيبس)**، أنه في سنة 1912، عندما كلف لينين ستالين، في شهر دجنبر من نفس السنة، بكتابة كراسته حول الأمة، فإن ذلك قد تم بمحض الصدفة، وفي غياب **شوميان** الخبير الحقيقي في الموضوع، ذلك حسب زعمه أن ستالين لم يكتب شيئا في الموضوع في هذا الوقت، والمشكلة أن أغلبية المؤرخين أعطوا الحق لريتشارد بيبس باعتبار قامته المعرفية، والحال أنه يكفي فتح الأعمال الكاملة لستالين لنجد مقالا مطولا مؤرخا بسنة 1904 عنوانه **"كيف تفهم الاشتراكية الديموقراطية المسألة القومية"**، إنها مقالة أساسية جعلت لينين يكتب إلى مكسيم غوركي في فبراير 1913 قائلا أنه يوجد **"جيورجي رائع" يشتغل حول المسألة القومية** ...".

إن تقييمات ستالين تتطابق مع آراء لينين القائلة بأنه يجب النضال ضد اضطهاد الدولة وليس لصالح الإيديولوجيا القومية، يجب الإعلان عن **"الحق في الطلاق"** وليس **"واجب الطلاق"**.

من حق القوميات أن تثبت نضجها، ليس هناك أمة في ذاتها، بل وعي في طور التشكل حسب درجات مختلفة من المتطلبات السياسية (بيير فيلار، مؤرخ).

أمام هذه الملاحظات كيف لنا أن نتعجب من كون لينين في 1913 كلف ستالين بمقالة نظرية حول الأمة، يدحض فيها الأطروحات الماركسية النمساوية؟ إنه من باب الابتذال، القول، كما زعم بيبس، أن لينين لم يكن راضيا عن المقالة، وهناك عدة إشارات في هذا الموضوع، لكن يتم

نسيان واحدة: في سنة 1917 كلف لينين ستالين بمسؤولية قوميسارية القوميات ("**حول أسس البنيات القومية**"، "وقائع"، عدد 314 برشلونة 1987، ص، 38، 39، 40).

عندما كان ستالين يمارس وظيفته كقوميساري للقوميات قال للفلنديين:

"إننا نعطي للفلنديين الحرية الكاملة في تحديد حياتهم الخاصة كما الحال بالنسبة لشعوب روسيا الآخرين".

وفي سنة 1921، أعطى ستالين حكما ذاتيا واسعا من خلال إعادة الأراضي التي استولى عليها القياصرة إلى الفلاحين، وكذلك حق استعمال الشريعة الإسلامية، للشعوب المسلمة في شمال القوقاز، وهؤلاء خلقوا بالتتالي الجمهورية السوفياتية للجبليين والتي كانت تضم بلاد الشيشان الحالية و أنغوشيا و أوسيتيا و أراض أخرى.

وفي حقيقة الأمر، يشكل كتاب ستالين حول القومية، إسهاما في الفكر الماركسي الكلاسيكي، ويقول المؤرخ البريطاني الشهير **إيريك هوبزباوم**:

"أن كتاب ستالين هذا قد مارس تأثيرا كبيرا على المستوى الدولي، ليس فقط لدى الشيوعيين، بل خاصة في البلدان التابعة".

ويعتبر أن تعريف الأمة الذي يعطيه ستالين "**هو المعروف أكثر**"، ويعتبر كذلك أن تحديد الأمة الذي يعطيه ستالين "**هو غالبا المعروف أكثر**"("الأمم والقومية منذ 1870"، إيريك هوبزباوم).

والتعريف المتحدث عنه هو:

"الأمة هي جماعة بشرية مستقرة تشكلت تاريخيا عبر اللغة، الأرض، الاقتصاد والتكوين النفسي الذي يعبر عن نفسه في ثقافة جماعية".

على نهج لينين، دافع ستالين عن واجب البروليتاريا في الأمم المسيطرة بإعطاء دعم حازم ونشيط إلى حركة التحرر الوطني في الشعوب المضطهدة. وبطبيعة الحال، فمسألة الدعم تفصل بين أولئك المناضلين الثوريين الساعين إلى إضعاف وقلب الامبريالية وأولئك اللذين يسعون إلى إبقائها وتعزيزها (انظر "**مبادئ اللينينية**"، ستالين).

الفصل الرابع

ـ الأممية الشيوعية وأطروحة التحرر الوطني

في يوليوز 1920، انعقد المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، وقد حضره لينين إلى جانب أبرز القادة الشيوعيين في العالم آنذاك، ولعب دورا محوريا في إنتاج الوثيقة التاريخية، التي أنتجها المؤتمر الثاني للأممية تحت عنوان **"أطروحات وإضافات حول المسألة القومية والاستعمارية"**.

ومما جاء فيها، فيما يخص التناول المنهجي للمسألة:

ا - **الطرح البورجوازي ومسألة المساواة بين القوميات:**

ترى الوثيقة المذكورة أعلاه أن الطرح المجرد والشكلي لمسألة المساواة بين القوميات يندرج بشكل خاص في الديموقراطية البورجوازية في شكل المساواة بين الأشخاص بشكل عام. إن الديموقراطية البورجوازية تعلن المساواة الشكلية أو القانونية بين البروليتاري والبورجوازي، بين المستغل والمستغل (بفتح الغين)، مسقطة الطبقات المضطهدة في أكبر خطأ وأعمقه. إن فكرة المساواة التي لم تكن إلا انعكاسا للعلاقات التي خلقها الإنتاج الرأسمالي، ستصبح بين يدي البورجوازية سلاحا ضد القضاء على صراع الطبقات، الذي تتم محاربته باسم المساواة المطلقة بين البشر، والحقيقة أن المطلب الحقيقي للمساواة لا يتحقق إلا عبر إرادة القضاء على الطبقات. بما أن الهدف الأساسي للأممية الشيوعية هو النضال ضد الديموقراطية البورجوازية وتعرية نفاقها، فإن على الحزب الشيوعي المعبر الواعي للبروليتاريا التي تناضل ضد نير البورجوازية، يجب أن يعتبر كحجر الزاوية في المسألة القومية عدم انطلاقه من المبادئ المجردة والشكلية، والانطلاق من ثلاث مسائل أساسية:

*** الانطلاق من تصور واضح للظروف التاريخية والاقتصادية.**

* القيام بالفصل الواضح بين مصالح الطبقات المضطهدة والعمال والمستغلين بالمقارنة بالمفهوم العام حول ما يسمى بالمصالح القومية، التي لا تعني سوى مصالح الطبقات المسيطرة.

* إن الانقسام الحالي والواضح بين الأمم المضطهدة والتابعة والمحمية وبين الأمم المضطهدة والمستغلة، والتي تحظى بكل الحقوق خلافا للنفاق البورجوازي والديموقراطي، الذي يخفي بعناية كبيرة الاستعباد الخاص بمرحلة الرأسمال المالي للإمبريالية، حيث قوة الرأسمال المالي والاستعماري تخضع الأغلبية الساحقة من سكان الأرض لأقلية من الدول الغنية الرأسمالية.

عموما ناقش المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية العديد من النقط من بينها **"الانضمام إلى الأممية الشيوعية"** و **"موضوعات حول المسألة القومية"** التي قدمها لينين وأقرها المؤتمر، بعد إجراء عدد من التعديلات عليها، **ومما تميز به المؤتمر وقوفه ضد إنشاء دولة يهودية في فلسطين.**

وعرفت الفقرة السادسة تعديلات تخص الموضوع 11 حول الصهيونية وقضية فلسطين، ومما جاء في الفقرة ما يلي:

"يجب علينا أن نفضح باستمرار الخداع الذي تمارسه القوى الاستعمارية لمساعدة الطبقات ذات الامتيازات في الأقطار المخضعة، على جماهير الشغيلة في العالم أجمع وفي الأقطار المتأخرة تحديدا، حيث ينشأ الاستعمار وراء ستار الاستقلال السياسي شتى المؤسسات الدولتية والحكومية التابعة له عمليا تبعية كاملة، اقتصاديا وماليا وعسكريا، وكمثال صارخ على هذا الخداع الذي يمارسه على الطبقة العاملة في الأقطار المقهورة والمخضعة، "الحلفاء" الاستعماريون وبورجوازية تلك الأقطار، نذكر مشروع الصهاينة في فلسطين، حيث تعمل الصهيونية، بحجة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، حيث يشكل اليهود نسبة لا تذكر من سكانها، على إخضاع السكان الأصليين من الكادحين العرب لنير الاستغلال الانجليزي. إن اتحاد الجمهوريات السوفياتية هو السبيل الوحيد لخلاص القوميات الضعيفة والمقهورة في الظروف الدولية الراهنة".

قبل الاستمرار في الطرح النظري سنعرج على مؤتمر آخر ذو قيمة تاريخية بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية، لأنه كان محاولة أولية لتجسيد تلك المبادئ العامة حول التحرر الوطني للشعوب.

الفصل الخامس:

ـ المؤتمر الأول لشعوب الشرق (انعقد بين 31 غشت و7 شتنبر 1920 بمدينة باكو بأذربيجان)

يكتسي هذا المؤتمر أهمية قصوى، لكونه كان أول محاولة من طرف الأممية الشيوعية بقيادة لينين لتجسيد المبادئ العامة التي وافق عليها المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، وكذلك أول محاولة لخلق جبهة عالمية للشعوب المناهضة للإمبريالية.

انعقد المؤتمر الأول لشعوب الشرق في فترة تلت انعقاد المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، في وقت كانت الحرب الأهلية في روسيا تشرف على نهايتها، وكان لذلك أثر كبير في انتشار الحماس الذي عم العالم، فانتشر معه الأمل في القضاء على العبودية والاستغلال، اللذان أصبحا على جدول الأعمال، وبطبيعة الحال، كانت روسيا تزخر بالعديد من القوميات والأمم والأقليات والطوائف الدينية وغيرها من الجماعات، التي ورثتها الثورة البلشفية عن الامبراطورية القيصرية، التي كان يطلق عليها "**سجن الشعوب**". في هذا السياق تولدت فكرة جبهة موحدة مناهضة للإمبريالية يقودها الشيوعيون، فجاءت فكرة انعقاد المؤتمر الأول لشعوب الشرق، الذي انعقد برئاسة **زينوفييف**، وحضره 1891 مندوبا جاؤوا من كل أصقاع آسيا، يمثلون العديد من الدول والشعوب، من قبيل الهند وتركيا وإيران ومصر وأفغانستان وبلوشستان والصين والهند الصينية واليابان وكوريا و جيورجيا و أرمينيا و أذربيجان و داغستان و القوقاز الشمالي و بلاد العرب و بلاد ما بين النهرين و سوريا و فلسطين و بخارى و تركستان و فرغانة و التتار و بشكيزيا و قرقيزيا ...

وعرف المؤتمر نقاشات هامة توجت بصدور وثيقتين، وهما:

- بيان المؤتمر إلى شعوب الشرق

- نداء المؤتمر إلى شعوب الشرق وإلى عمال أوروبا وأمريكا واليابان

ومما جاء في البيان:

"في مواجهة الرأسماليين البريطانيين، وقادة بريطانيا العظمى الإمبرياليين، تنهض اليوم القوة المنظمة لفلاحي وعمال الشرق، الموحدون تحت الراية الحمراء للأممية الشيوعية، تحت الراية الحمراء لاتحاد العمال الثوريين، اللذين وضعوا على عاتقهم تحرير العالم بكامله وكل الإنسانية من كل أشكال الاستغلال والاضطهاد.

إن المؤتمر الأول لممثلي شعوب الشرق يرفع عاليا وبقوة، إلى العالم كله، وإلى القادة الرأسماليين في بريطانيا: إن الأمور لن تبقى هكذا!

إنكم أيها الكلاب لن تلتهموا شعوب الشرق، أنتم أيتها الحفنة البئيسة من المضطهدين لن تحولوا إلى عبودية خالدة مئات الملايين من العمال وفلاحي الشرق، لقد ابتلعتم قسطا كبيرا أكثر مما تستطيعون مضغه، إنه سيخنقكم" (مقتطف من البيان الصادر عن المؤتمر).

"هكذا نحن، ممثلي الجماهير الكادحة لكل شعوب الشرق ... (لائحة البلدان المذكورة أعلاه) موحدون في وحدة لا انفصام لعراها بيننا وبين العمال الثوريين في الغرب، ندعو شعوبنا إلى حرب مقدسة، إننا نقول:

يا شعوب الشرق! لقد سمعتم مرارا النداء إلى الحرب المقدسة من طرف حكوماتكم، مشيتم تحت الراية الخضراء لكن كل هذه الحروب المقدسة كانت مغشوشة لا تخدم إلا مصالح قادتكم الأنانيين، وأنتم الفلاحون والعمال ظللتم في حالة العبودية والبؤس بعد هذه الحروب. لقد حققتم الأشياء الجميلة في الحياة للآخرين، ولكنكم لم تستفيدوا منها أبدا.

ندعوكم الآن إلى أول حرب مقدسة حقيقية تحت الراية الحمراء للأممية الشيوعية، ندعوكم إلى حرب مقدسة من أجل رفاهيتكم ومن أجل حريتكم ومن أجل حياتكم الخاصة.

انهضوا وناضلوا ضد هذا المفترس! تقدموا كرجل واحد في حرب مقدسة ضد الغزاة البريطانيين! انهض أيها الهندي الخائرة قواه من الجوع وبالعمل العبودي الذي لا يطاق! انهض أيها الفلاح الأناضولي الذي سحقته الضرائب والربا! ... انهض أيها الفلاح الأرميني الذي تم طرده إلى الهضاب العقيمة!، انهضوا أيها العرب والأفغان المفقودون في صحار الرمال والمنقطعين عن باقي العالم من طرف البريطانيين!

انهضوا وناضلوا جميعا ضد العدو المشترك، بريطانيا العظمى الامبريالية.

إن راية الجهاد المقدس ترفرف ... إنها حرب مقدسة من أجل تحرير شعوب الشرق، من أجل إنهاء تقسيم الإنسانية إلى شعوب مضطهدة وشعوب مضطهدة، من أجل المساواة الكاملة لكل الشعوب وكل الأعراق كيفما كانت لغتهم ولون بشرتهم، وكيفما كانت الديانة التي يعتنقون".

الفصل السادس:

ـ تبني الأممية الشيوعية لمفهوم "الثورة المتواصلة" (غير المنقطعة)

في برنامج 1928، تم تلخيص المبادئ العامة للأطروحة اللينينية حول الثورة الديموقراطية:

"إن الثورة البروليتارية العالمية تنتج من سيرورات مختلفة، وغير متزامنة:

ثورات بروليتارية بالمعنى الخاص، ثورات من نوع ديموقراطي بورجوازي، تتحول إلى ثورات بروليتارية، حرب تحرير وطنية، ثورات كولونيالية.

وليس إلا في آخر المطاف ينتهي المسار الثوري إلى الدكتاتورية العالمية للبروليتاريا".

هكذا إذن، فهمت الأممية الشيوعية أن الثورة لن تتم دفعة واحدة، وميزت الأممية الشيوعية في برنامجها ثلاث أشكال من البلدان:

1- **البلدان الرأسمالية.**
2- **البلدان الرأسمالية، حيث تطور الرأسمالية لا زال ضعيفا نسبيا، وحيث الفيودالية لا زالت تحتفظ بقاعدة لها.**
3- **البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة.**

بالنسبة للنموذج الثاني، في بعض البلدان، حيث تتطور الرأسمالية بهذا القدر أو ذاك من السرعة، تتحول الثورة الديموقراطية البورجوازية إلى ثورة اشتراكية، يكون هذا ممكنا، وفي حالة أخرى يكون ممكنا أنواع مختلفة من الثورات البروليتارية، مطروح عليها مع ذلك إنجاز مهام ذات طابع بورجوازي ديموقراطي من حجم كبير، وهنا يمكن ألا تنبني دكتاتورية البروليتاريا مباشرة، إنها تتأسس خلال التحول من الدكتاتورية الديموقراطية للبروليتاريا والفلاحين إلى دكتاتورية اشتراكية للبروليتاريا، وحينما تكون الثورة ترتدي بشكل مباشر طابعا بروليتاريا، فهي تفترض قيادة البروليتاريا لحركة فلاحية زراعية واسعة، فالثورة الزراعية تلعب في هذا بشكل عام دورا كبيرا بل أحيانا حاسما، فعندما تتم مصادرة أراضي الملكية العقارية الكبيرة، فجزء كبير من الأراضي المصادرة، توضع رهن إشارة الفلاحين، أما العلاقات

الاقتصادية للسوق فتحافظ على أهمية كبيرة غداة انتصار البروليتاريا، جر الفلاحين إلى التعاون، ثم تجميعهم في جمعيات للإنتاج، هي إحدى المهام الأكثر أهمية في البناء الاشتراكي، وإن إيقاع عملية البناء هاته بطيء نسبيا".

أما بالنسبة للمجموعة الثالثة من البلدان، فكان يقصد بها غالبا دول مثل الصين والهند ...:

"إن النضال ضد الإقطاعية والأشكال ما قبل الرأسمالية للاستغلال والثورة الزراعية، التي يتم اتباعها باتساق، من جهة، النضال ضد الإمبريالية الأجنبية من أجل الاستقلال الوطني، من جهة أخرى، لهما أهمية ذات أولوية.

إن الانتقال إلى دكتاتورية البروليتاريا ليس ممكنا في هذه البلدان، بشكل عام إلا عن طريق سلسلة من المراحل التهييئية، عن طريق مرحلة كاملة من التحولات للثورة البورجوازية الديموقراطية إلى الثورة الاشتراكية.

إن انتصار البناء الاشتراكي في أغلب الحالات مشروط بالدعم المباشر لبلدان دكتاتورية البروليتاريا".

إن محرك الثورة الديموقراطية هو البورجوازية، لكن البروليتاريا تدفع البورجوازية إلى تحمل دورها في هذه الثورة، وعند الضرورة تتحمل مسؤولية الدور القائد في الثورة الديموقراطية البورجوازية.

الفصل السابع:

-الثورة الصينية والصراع بين نظرية الثورة المتواصلة عبر مراحل ونظرية الثورة الدائمة

لقد عرف النقاش داخل الأممية الشيوعية صراعا حادا بين النظرية اللينينية **(الثورة المتواصلة)** والنظرية التروتسكية **(الثورة الدائمة)**.

إن تطبيق الخط اللينيني للثورة على سلسلة من البلدان، بعضها يشكل فيها الشيوعيون قوة هامة، والبعض الآخر لم تتنظم فيه الحركة الشيوعية بعد (إفريقيا، آسيا، أمريكا اللاتينية) (ضعف الطبقة العاملة وكذلك دور الإمبريالية) (استعمال الدين)، لكن في بعض الحالات كانت الثورة متقدمة كما هو الحال بالنسبة للصين، ولذلك كان النقاش حول الصين داخل الحركة الشيوعية إحدى الشواهد على التعارض بين مفهوم **"الثورة غير المنقطعة"** و **"الثورة الدائمة"** التي كان يدافع عنها تروتسكي.

لقد كان تروتسكي يعارض مبدأ "**الدكتاتورية الديموقراطية للعمال والفلاحين**"، وكان يرى أن روسيا يجب أن تكون "**دولة عمالية**" وليس "**دولة عمالية وفلاحية**" الذي طرحه لينين خلال ثورة 1905. وفيما يخص الصين، رفض تروتسكي اعتبار أن المظهر الرئيسي لهذه الثورة في هذا البلد، هو **المظهر الديموقراطي**، ويقوم بشرح موقفه في كتابه "**حرب الفلاحين في الصين والبروليتاريا**"، ويقول:

"في الصين القديمة كل انتصار للثورة الفلاحية ينتهي بنشوء سلالة جديدة، بالإضافة إلى ذلك ملاكين كبار جدد، الحركة تنتهي إلى حلقة مفرغة في الوضع الحالي، الحرب الفلاحية بحد ذاتها، بدون قيادة مباشرة للطليعة البروليتارية لا يمكنها إلا أن تعطي السلطة إلى طغمة جديدة من البورجوازية، إلى نوع من الكيومنتانغ (يساري)، إلى "حزب ثالث" لا يختلف إلا قليلا عن كيومنتانغ تشين كاي تشيك، وهذا يعني هزيمة جديدة للعمال تعود إلى سلاح "الدكتاتورية الديموقراطية".

وانطلاقا من هذا، يعتبر تروتسكي حتى بالنسبة إلى الظروف شبه الاستعمارية للصين، أن البورجوازية الوطنية الصينية تلعب دورا رجعيا فقط، ويقدم الحجة بمثال القمع في منتصف أبريل 1927، الذي تعرضت له الطبقة العاملة في شنغهاي، وكذلك القمع الذي تعرضت له كومونة كانتون في دجنبر من نفس السنة.

وكخلاصة لذلك، يقول تروتسكي:

"ليس هناك أي نظام ثوري وسط ممكن بين نظام كيرنسيكي أو شين كاي تشيك وبين دكتاتورية البروليتاريا". ("الثورة الدائمة"، تروتسكي).

بطبيعة الحال، فوجهة نظر تروتسكي على طرفي نقيض مع الأممية الشيوعية، فلنرى موقف ستالين في الموضوع:

يقول ستالين:

"إن الثورة الديموقراطية البورجوازية في الصين هي في نفس الوقت نضال ضد بقايا الإقطاعية، وفي نفس الوقت نضال ضد الامبريالية" ("الثورة في الصين ومهام الأممية الشيوعية"، ستالين). ويضيف ستالين قائلا:

"كان لينين يقول أن الصينيين ستكون لهم قريبا ثورة تشبه ثورة 1905 الروسية. إن بعض الرفاق، قد فهموا ذلك، كما لو أن الصينيين يجب أن يكون لهم إعادة بشكل حرفي ما وقع في ثورة روسيا في 1905. إن هذا خاطئ، فلينين لم يقل ذلك قط أن الثورة الصينية ستكون نسخة من الثورة الروسية 1905، فقد قال فقط أن الصينيين ستكون لهم 1905 الخاصة. الشيء الذي يعني أن الثورة الصينية سيكون لها من بين المميزات العامة لثورة 1905، مميزاتها الخاصة، التي ستطبعها بطابعها الخاص، فما هي هذه المميزات؟

الميزة الأولى أن الثورة الصينية: ففي نفس الوقت التي هي ثورة بورجوازية ديموقراطية، فهي كذلك ثورة حركة تحرر وطني، حيث رأس حربتها موجه ضد سيطرة الإمبريالية الأجنبية في الصين، وبهذا تتميز على الفور عن الثورة الروسية في 1905. إن سيطرة الإمبريالية في الصين لا تعبر عن نفسها فقط عبر القوة العسكرية، لكن قبل كل شيء عبر واقع أن الفروع الرئيسية للصناعة من سكك حديدية ومعامل ومصانع ومناجم وأبناك ... توجد بين أيدي الإمبرياليين الأجانب، ومن هنا فإن مسائل النضال ضد الإمبريالية الأجنبية وعملائها الصينيين يجب أن تلعب الدور الأبرز والمهيمن في الثورة الصينية. وهكذا، فإن الثورة الصينية ترتبط مباشرة بثورات البروليتاريين في كل البلدان ضد الامبريالية.

ومن هذه الميزة الأولى للثورة الصينية تتولد ميزة ثانية، وهي أن البورجوازية الكبيرة المحلية ضعيفة جدا مقارنة بالبورجوازية الروسية لفترة 1905. وهذا مفهوم لأن الفروع الرئيسية للصناعة متمركزة بين أيدي الإمبرياليين الأجانب، ومن الطبيعي أن تكون البورجوازية الكبيرة الصناعية ضعيفة ومتخلفة.

وبعلاقة مع ذلك فإن الرفيق ميف في كتابه "من أجل صين حرة وقوية" يعاتب الحزب الشيوعي الصيني على كونه أهمل في مؤتمره الثالث يونيو 1923 توجيهات الأممية الشيوعية الخاصة بالمسألة الفلاحية، لقد كان على حق عندما أشار إلى ضعف البورجوازية الوطنية باعتبارها إحدى العوامل المميزة للثورة الصينية، ومن هنا القول بأن المبادرة والقيادة في الثورة الصينية ودور الفلاحين الصينيين يجب أن تقع على عاتق البروليتاريا الصينية أكثر تنظيما وأكثر قدرة وأكثر مبادرة من البورجوازية.

ويجب عدم نسيان الميزة الثالثة للثورة الصينية، التي تكمن في واقع أنه إلى جانب الصين يوجد ويتطور الاتحاد السوفياتي، حيث التجربة الثورية والدعم يجب أن يساعد نضال البروليتاريا الصينية ضد الإمبريالية وبقايا الإقطاعية القروسطية " ("آفاق الثورة في الصين"، خطاب ألقاه ستالين أمام اللجنة الصينية للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية).

الفصل الثامن:

ـ ماو، الثورة المتواصلة في الصين

في الصين أخذ مفهوم الثورة المتواصلة شكل "ثورة الديموقراطية الجديدة".

ماو تسي تونغ

عندما فشلت انتفاضة 1927 في الصين، بدأ اسم ماو يبرز في ساحة الثورة الصينية. كان ماو يتبع خط الأممية الشيوعية، ويعتبر أن الصين عليها أن تنتصر على الإمبريالية وكذلك على الطابع شبه الإقطاعي للبلاد، وكتب ماو كراسته الشهيرة "**تحليل الطبقات في الصين**"، ومما جاء فيها:

"كل أمراء الحرب والبيروقراطيين والكمبرادور وكبار الملاكين العقاريين المرتبطين بالإمبريالية، وكذلك هذه الفئة الرجعية من المثقفين المرتبطين بهم، هم أعداؤنا.

إن البروليتاريا الصناعية هي القوة القائدة لثورتنا، وأقرب أصدقائنا هم مجموع شبه البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة. وبالنسبة للبورجوازية المتوسطة المتذبذبة دائما فإن الجناح اليميني يمكن أن يكون عدونا، والجناح اليساري صديقنا، وعلينا أن نحرص على ألا يأتي هؤلاء الأخيرين لبث الفوضى في جبهتنا".

خلافا لتروتسكي، فإن ماو يضع في المقدمة الثورة الزراعية ويأخذ بالحسبان البورجوازية الوطنية في إطار الوضع الخاص بالصين شبة الإقطاعية وشبه المستعمرة، بحيث يمكن أن تلعب دورا إيجابيا. إن ماو لا يعتبر الصين دولة رأسمالية، فالبوادي كان يسيطر عليها كبار الملاكين العقاريين، والرأسماليون الصينيون كان لهم طابع كمبرادوري (مصطلح كمبرادور هو كلمة برتغالية وكانت تعني المدير الصيني أو الخادم الأول لمؤسسة تجارية مملوكة للأجانب)، إضافة إلى اعتبار البورجوازية المسيطرة بيروقراطية وفي خدمة المصالح الإمبريالية، وتتحالف مع كبار الملاكين العقاريين.

تلكم هي أهم المظاهر الأساسية للطابع شبه المستعمر وشبه الإقطاعي للصين.

إن الأطروحة المقدمة أعلاه مطابقة لمبادئ الأممية الشيوعية. وفي كراسة أخرى تحت عنوان "**الثورة الصينية والحزب الشيوعي في الصين**" يعتمد ماو على نص وثيقة الأممية الشيوعية وعنوانها "**في الحركة الثورية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة**"، ويقوم بشرح للنص قائلا بأن:

" الإمبريالية تدخل في شراكة، قبل كل شيء، مع الفئات الاجتماعية المسيطرة للنظام الاجتماعي السابق، مع الإقطاعيين والبورجوازية التجارية والربوية ضد أغلبية الشعب، وسيتبنى ماو مفهوم الثورة المتواصلة عبر مراحل، ويقول في النص ما يلي:

"في مسار تاريخها يجب على الثورة الصينية أن تمر بفترتين، الأولى هي الثورة الديموقراطية، والثانية هي الثورة الاشتراكية، إنهما سيرورتان ثوريتان ذات طابع مختلف، وما نسميه ديموقراطية فإنه لا ينتمي إلى المفهوم القديم، فهي ليست الديموقراطية القديمة، بل تنتمي إلى المفهوم الجديد، إنه مفهوم الديموقراطية الجديدة، انظر كراسة ماو تسي تونغ "الديموقراطية الجديدة".

"إنها ليست ثورة اشتراكية لأنها تفتح الباب لبعض القطاعات الرأسمالية التي لا يتم المساس بها، خاصة تلك التي كانت مساندة لطابع الثورة المناهض للإمبريالية والإقطاعية. وبعد انتصار 1949، وخاصة يعد 1953 بدأت سيرورة الانتقال إلى الثورة الاشتراكية.

يقول ماو:

"إن الثورة الديموقراطية هي التهييء الضروري للثورة الاشتراكية، وهذه الأخيرة هي الخاتمة المنطقية للثورة الديموقراطية. إن الهدف النهائي لكل شيوعي، والذي يجب عليه أن يناضل من أجله بكل قواه هو التحقيق النهائي للمجتمع الاشتراكي والمجتمع الشيوعي" ("الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني"، ماو تسي تونغ).

وعند طرح سؤال: لماذا الديموقراطية الجديدة؟ ولماذا هناك تعارض بين الديموقراطية البورجوازية القديمة والديموقراطية الجديدة المرحلة الأولى من الثورة الاشتراكية؟

يجيب ماو تسي تونغ:

"إن الحرب الامبريالية العالمية الأولى والثورة الاشتراكية الأولى المنتصرة، ثورة أكتوبر، غيرا مسار التاريخ العالمي حيث دشنا عهدا جديدا (...)

في مرحلتها الأولى، أو فترتها الأولى، فإن الثورة في مستعمرة أو شبه مستعمرة، تبقى أساسا من حيث طابعها الاجتماعي، ثورة ديموقراطية بورجوازية، ومطالبها تتجه موضوعيا إلى فتح الطريق نحو تطور الرأسمالية، إلا أنها لم تعد ثورة من النوع القديم تقودها البورجوازية، وتقترح بناء مجتمع رأسمالي ودولة دكتاتورية البورجوازية، بل ثورة من نوع جديد تقودها البروليتاريا، وتقترح في المرحلة الأولى مجتمع الديموقراطية الجديدة، ودولة دكتاتورية مشتركة لكل الطبقات الثورية".

إن البورجوازية بحكم ضعفها غير قادرة على قيادة الثورة، فوحدها البروليتاريا قادرة على ذلك، وإن الطابع المناهض للإمبريالية لهذه الثورة، يجعل منها مكونا للثورة الاشتراكية العالمية.

ويرى ماو **أن المفهوم ذو طابع كوني**، فالدول المعنية:

"ستكون بالضرورة لكل منها مميزاته الخاصة، لكنها مجرد خلافات صغيرة داخل تشابه كبير" ماو كراسة "الديموقراطية الجديدة".

ويقول ماو كذلك، أن الثورة الاشتراكية العالمية لها **"كقوة رئيسية البروليتاريا في البلدان الرأسمالية، وكحلفاء لها الشعوب المضطهدة في المستعمرات وشبه المستعمرات" (المصدر السابق).**

يتبين مما تقدم، أن الثورة الصينية كانت نموذجا لثورة الديموقراطية الجديدة، وكان لها هدفان هما:

أولا، تحقيق الثورة الوطنية والاستقلال عن الامبريالية.

ثانيا، تحقيق الثورة الديموقراطية عن طريق القضاء على الإقطاعية.

وعن الثورة الاشتراكية: (فترة 1949-1953)

= "إن الصين بلد اشتراكي في فترة 1949 – 1953 أقل تطورا من الاتحاد السوفياتي، أي دولة اشتراكية تقودها الطبقة العاملة وتعمل على بناء الاشتراكية في أفق بناء الشيوعية، وبطبيعة الحال في هذه الفترة أقل تطورا، **أي ليست بعد دكتاتورية للبروليتاريا، بل ديموقراطية شعبية تقودها الطبقة العاملة، وتقوم على أساس التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين**، مما يعني توزيع الأراضي وإيجار وسائل الإنتاج، ويتم القضاء على الإقطاعية وتأخذ مكانها الملكية الخاصة للفلاح الصغير. أما الأبناك الكبيرة والمقاولات الكبرى الصناعية والتجارية فتمتلكها الدولة، ويعني هذا الشركات ذات الطابع الاحتكاري. وتقوم السياسة الاقتصادية في هذه الفترة على سياسة التسامح مع نوع من الرأسمالية الخاصة المدينية والقروية، ويكون هذا في صالح الزيادة في قوى الإنتاج، لكن هذه الرأسمالية هي مرتبطة بالكامل بقطاع الدولة، وهو القطاع المهيمن في الدولة. أما حركة التعاونيات فقد تم إطلاقها كشكل وسطي بين التنظيم الصناعي والتنظيم الاشتراكي، وفي فترة خمس سنوات من 1949 إلى 1953، انتقلت حصة قطاع الدولة في الإنتاج الصناعي من 34% إلى 59،9%، وحصة المقاولات الخاصة من 63% إلى 24،9%.

إن بناء الاشتراكية في روسيا مر عن طريق "النيب" ("السياسة الاقتصادية الجديدة)، أما في الصين، فعن طريق الديموقراطية الشعبية بعد الانتهاء من ثورة الديموقراطية الجديدة.

الفصل التاسع:

مظهري نضال التحرر الوطني:

(إشكالية الوطني والديموقراطي)

التناقضات في العالم

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وهزيمة الخط الثوري في الصين، سقط التناقض الذي كان قائما بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي.

إن التناقض الرئيسي على المستوى العالمي، هو بين الإمبريالية والأمم والشعوب المسيطر عليها، وهو تناقض يخص القارات، إفريقيا، آسيا وأمريكا اللاتينية.

أما التناقض الرئيسي في الدول الإمبريالية، فهو التناقض بين البورجوازية والبروليتاريا، مع تسجيل انعدام وضع ثوري في هذه البلدان. ولا بد من تدقيق هذا التناقض من جانب بعض العناصر التي تؤثر على مكوناته، من قبيل وجود أرستوقراطية عمالية وعمال مساعدين للرأسمال، إضافة إلى سيطرة اجتماعية وسياسية وإيديولوجية للبورجوازية الصغيرة الأجيرة. وهناك أسئلة تطرح تتعلق ببلدان كالبرازيل وإيران وتركيا والهند.

أما التناقض الثالث، فهو التناقض بين الدول الإمبريالية، وهو تناقض يشكل اتجاها لإضعاف هذه الدول من جهة، ومحركا لتطور الوضع العالمي عن طريق المنافسة، وإعادة التقسيم الدائم للعالم.

وهناك تناقض رابع مستجد، يجب إدماجه، ويتعلق بالتناقض بين الرأسمالية والطبيعة وهو ذو صلة بالتلوث المتزايد والتغيير المناخي واستنزاف الموارد، وهذا التناقض يجب إدماجه في تحليل الوضع العالمي.

وهناك من الناحية العامة **تناقض أساسي محدد في آخر التحليل**، وهو التناقض بين الطابع الاجتماعي للإنتاج وتملكه الخاص. وبالانطلاق من المادية الجدلية التي أغناها ماو تسي تونغ، نعلم أنه في ظل وضع ملموس **هناك تناقض رئيسي** (وهو تناقض واحد) وتناقضات ثانوية، وأنه في كل تناقض هناك مظهر رئيسي ومظهر ثانوي، ومن واجب الماركسيين –اللينينيين القيام بتحقيقات وبالعمل النظري السياسي والإيديولوجي للتعرف على مجموع التناقضات وتمفصلها، وأنه لا يجب السقوط في الخطأ فيما يخص تحديد التناقض الرئيسي أو المظهر الرئيسي للتناقض، ثم هنالك تبادل التأثير ما بين التناقض الرئيسي والتناقضات الثانوية، وبين الطرف الرئيسي والطرف الثانوي في التناقض.

وللتذكير فإنه:

1) خلال سيرورة نضال التحرر الوطني غالبا ما يطرح السؤال في فترات محددة حول أيهما المظهر الرئيسي، الوطني أم الديموقراطي، فهناك حالتان:

حالة **الكولونيالية** حيث تستعمر دولة إمبريالية دولة أو شعبا آخر، وهناك الحالة الثانية، حيث **تتغلب دولة إمبريالية على أخرى** (احتلال) كما حصل في الحرب العالمية الثانية.

← في الحالتين المذكورتين تتم الثورة الديموقراطية تحت راية التحرر الوطني كمظهر رئيسي.

2) في حالة دولة **شبه إقطاعية شبه مستعمرة، يكون المظهر الديموقراطي هو الطرف الرئيسي والطرف الوطني هو الثانوي.**

كثيرا ما يسقط التحريفيون و الخوجيون في مثل هذه الحالة، فيؤكدون على الطرف الوطني باعتباره طرفا رئيسيا، فيؤكدون على **مساندة البورجوازية المحلية**، ويخفون الوجه الكمبرادوري للبورجوازية، معيدين بذلك الأطروحة السوفياتية التحريفية، التي انتشرت بين 1960-1980 تحت شعار "**الثورة الوطنية والاستقلال**"، ليس من أجل انتصار بورجوازية وطنية، ولكن فئة من فئات البورجوازية البيروقراطية، **فحالة التحرر الوطني، أو حرب تحرير وطنية توجد عندما يكون استعمار مفتوح أو غزو معين**، في هذه الحالة الثانية التي حددناها أعلاه يكون المظهر الديموقراطي هو المظهر الرئيسي، **ذلك أن المظهر المعادي للإمبريالية يكون غير كاف**. إن الخطأ المذكور أعلاه يؤدي إلى المفهوم التحريفي لما يسمى **بالدولة الوطنية**، ومن هنا تظهر أهمية قيادة الحزب الشيوعي للبروليتاريا.

في كل البلدان الإمبريالية، فالعدو الرئيسي هو الإمبريالية في ذلك البلد، رغم أن تدخلاته وسياساته، التي تختبئ وراء شعارات الديموقراطية وحقوق الإنسان وحق التدخل لإزاحة دكتاتور، فكل التدخلات التي حصلت لحد الآن لم تغير سوى فئة من داخل الطبقة البيروقراطية دون تغير في النظام ولا في البلاد، الشيء الذي يساهم في تغليط الجماهير التواقة إلى التغيير والتحرر.

في حالة التحرر الوطني، يكون الطرف الديموقراطي محددا، لكنه لا يتحقق إلا عبر راية النضال الوطني، ليصبح الطابع الوطني هو الطابع الرئيسي.

في فلسطين، يتعلق الأمر باستعمار استيطاني عنصري إمبريالي، أي أن هناك كولونيالية من نوع خاص تقوم على قضم الأرض وطرد أصحابها الأصليين وإخضاعهم لأسوأ الجرائم الاستعمارية. إن أقرب حالة إلى حالة الفلسطينيين هم الهنود الحمر، اللذين تمت إبادة 80 مليون منهم، لتقوم مكانهم مستعمرات بريطانية في الشمال الأمريكي، ثم بعد ذلك دولتي كندا وأمريكا.

في مواجهة هذا المشروع الجهنمي، يقوم نضال التحرر الوطني الفلسطيني، والذي يجمع إلى جانب معاداة المشروع الصهيوني، مناهضة مشروع أوسلو التصفوي، الذي يقوم على خدمة المشروع الأول، فقد حولت اتفاقية أوسلو أراضي 67 المحتلة إلى أراضي متنازع حولها فقط، مما ساهم في تزايد عملية الاستيطان، التي فاقت مليون صهيوني، وجرت، وتجري العملية تحت أنظار ما يسمى بالسلطة الفلسطينية، التي

تخلت عن المشروع التحرري لمنظمة التحرير الفلسطينية وعن مشروع الدولة الديموقراطية على كامل دولة فلسطين، وهكذا، وبعد مؤتمر شرم الشيخ، الذي جمع مصر وشارون وعباس، قام هذا الأخير في 2005 بحل **"كتائب شهداء الأقصى"** التابعة لفتح.

إن معضلة المسألة الوطنية الفلسطينية بحكم طبيعة التركيبة الاجتماعية والاقتصادية الفلسطينية، والتي تأثرت كثيرا بطبيعة الاستعمار الصهيوني، هو أن القضية الوطنية، التي تبنتها طبقات وفئات اجتماعية مختلفة، مثلتها تاريخيا قيادات البورجوازية الكبيرة والفئات العشائرية العليا، من قبيل أمين الحسيني والنشاشيبي وغيرها في الحقبة ما قبل ولادة الكيان الصهيوني، ثم رفعتها الحركات القومية العربية للبورجوازية الصغيرة (حركة القوميين العرب في الخمسينات والستينات) والمساندة من طرف الأنظمة الناصرية والبعثية، وكذا القيادة الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي كان لديها ما يسمى بجيش التحرير الفلسطيني، الذي كان يقيم في الأردن، والذي لم يشارك في أي عملية لتحرير فلسطين، ثم بعد ذلك تحملت قيادة التحرر الوطني الفلسطيني تحت شعار "الكفاح المسلح"، منظمات تقودها شرائح من البورجوازية الوطنية الفلسطينية وشرائح من البورجوازية الصغيرة الراديكالية (فتح والمنظمات القومية و اليسارية الفلسطينية).

بعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان وانطلاق الانتفاضة الفلسطينية الأولى انتعش وانتشر التيار الإسلامي مدعما من طرف بعض الدول العربية وحتى الكيان الصهيوني، وذلك لمحاصرة منظمة التحرير الفلسطينية وتقليم أظافرها، وبعد الانتفاضة الأولى استنفار اليمين الفلسطيني بقيادة ياسر عرفات ليقود منظمة التحرير إلى الاستسلام ضمن ما سمي بلقاء مدريد واتفاقات واشنطن بزعامة كلينتون، تم تتويجها باتفاقية أوسلو الانهزامية أدت إلى بيع القضية الفلسطينية برمتها، فتحول النضال ضد الكيان الصهيوني إلى صراع حول السلطة بين فتح وحماس، اللذان تشكلت لديهما قاعدة اجتماعية قوية في الضفة وغزة، فأصبح الحديث عن حكومة عباس في الضفة وحكومة حماس في غزة.

لقد حول عباس الضفة إلى قطاع تابع للكيان وذراع واق للصهاينة، من خلال التبعية الاقتصادية والأمنية والإدارية، والقيام بدور الدركي لمحاربة اليسار الفلسطيني، وتسليم القادة والمناضلين إلى المخابرات الصهيونية (حالة أحمد سعدات و مروان البرغوتي) كأشهر حالات للتسليم، أحدهما قائد الجبهة الشعبية، والثاني قائد الجناح اليساري داخل فتح، وممثل التيار المقاوم داخل فتح، خاصة بعدما تم حل "كتائب شهداء الأقصى" من طرف عباس.

تظهر الدراسات أن المساعدات التي تعد بملايير الدولارات، يستهلك جزء كبير منها **موظفون أشباح** يقيمون في الضفة، كانوا أعضاء سابقين في فتح (ما بين 60 ألف و70 ألف موظف). إن كل هذه الفئات المشكلة من شرائح من البورجوازية الكبيرة الفلسطينية (أصحاب الملايير) اللذين تمثل الحكومة مصالحهم وأتباعهم **يقفون على خط مناهض للقضية الوطنية الفلسطينية تحت غطاء "الحل السياسي للضفة"** وهو في الواقع حل استسلامي مخز، يقوم على تصفية القضية الفلسطينية وإنهائها بالكامل.

وتقف على الجانب الآخر المنظمات المعارضة لأوسلو، وفي مقدمتها حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين وفصائل أخرى، وأقوى هذه الفصائل حركة حماس، التي استقلت "تنظيميا " عن التنظيم الإخواني الأصل، وعرفت مجموعة من التحولات بعد انفضاح التيار المساند للهجوم على سوريا، فتعزز دور قادة جدد من قبيل محمد الضيف و السينوار و أبو عبيدة، اللذين أعادوا خط التحالف مع سوريا و إيران.

تستمد حماس قوتها من الدعم الذي تحظى به من قبل بعض الدول الخليجية، ومن القاعدة البورجوازية الصغيرة العريضة المستفيدة من موقعها كحكومة في غزة. ترفع حماس الآن شعار **"التحرر الوطني"** كتعبير عن شرائح واسعة من البورجوازية الصغيرة الراديكالية الفلسطينية، وبذلك أصبحت تحتل دورا مهما في الفترة الحالية من النضال الوطني الفلسطيني.

إن الفصائل اليسارية، أو التي تحمل تصورا وقيما ديموقراطية، تصارع من داخل المساهمة في النضال الوطني، وليس من خلال التقاعس، الذي يدعو إليه البعض من طهراني النضال الثورجي المنمق بفرازولوجيا ثورية، يقبع أصحابه وراء مكاتبهم، وداخل منازلهم يضغطون على أزرار حواسيبهم مرة ذات اليمين ومرات ذات اليسار، ويكتفون بإعطاء الدروس بعيدا عن كل نضال.

إن النضال من أجل الديموقراطية، يمر بالضرورة عبر راية النضال الوطني، فمن يريد أن يثبت مبادئ وقيم التقدمية والديموقراطية والثورية عليه أن يثبت أولا كفاءة خلال النضال الوطني، الذي يلف كل أعضاء الشعب الفلسطيني أو أغلبه.

إن عدم إدراك طبيعة التناقضات، وعدم إدراك طبيعة العلاقة بين النضال الوطني والديموقراطي أسقط العديد من المناضلين اليساريين في أخطاء فادحة، عندما كانت سوريا تقصف بالصواريخ والطائرات وتغزى من طرف الإمبرياليين وفلول المجرمين من أوروبا بدعمهم لتنظيمات

القاعدة وداعش، حين انطلقوا لمساندتهم ل "الثورة السورية"، **فعن أي ثورة يتحدثون؟ ثورة الرايات السود الظلامية** المدعمة بملايير الدولارات الإمبريالية والخليجية وبدعم لوجستيكي وصحي صهيوني، يا لها من بلاهة !!!

القسم الثاني

الجزء الأول

جوزيف ستالين

ستالين ومفهوم الأمة

(في الأمة، الوطنية والأممية)

تقديم:

تثير مسألة الأمة العديد من الإشكالات نتيجة الضبابية التي تكتنف النقاشات حول مسألة الأمة والشعب والهوية والإثنية وغيرها من المفاهيم، التي فجرت الأنثروبولوجيا الحديثة النقاش حولها، فاختلط الحابل بالنابل، وأصبحت تسود رويدا رويدا مفاهيم فوق التاريخ للعديد من هذه المفاهيم والتصورات خدمة للشوفينية والعنصرية والنزعات الامبريالية التوسعية وغيرها. وبطبيعة الحال، كل هذه المفاهيم والتصورات تعود إلى حقل المثالية التاريخية.

لقد كان الماركسيون– اللينينيون سباقين إلى الإجابة على الموضوع من خلال كتابات ماركس و انجلز و لينين و ستالين، وكذلك عبر مختلف المواقف والأعمال التي دونها التاريخ، ومرة أخرى فإن المادية التاريخية، علم التاريخ الذي أسسه كارل ماركس و فردريك انجلز، هو السلاح الفعال، الذي سمح باقتحام هذا الميدان التاريخي والتأسيس له علميا، وسنرى ذلك من خلال تناول مفهوم الأمة في الفكر الماركسي– اللينيني، وتستوقفنا هنا أعمال لينين و ستالين بالدرجة الأولى، لأنهما صاغا الأجوبة الأكثر علمية في مجال الأمة، وذلك في عصر الامبريالية وانطلاق الثورات الاشتراكية وحركات التحرر الوطني.

الفصل الأول

في مفهوم الأمة

بتوجيه من لينين وبتكليف منه، قام جوزيف ستالين بصياغة المفهوم الماركسي للأمة الأكثر شهرة، والذي لم يجد الفكر البورجوازي بدا من استعماله إلى هذا الحد أو ذاك نظرا لقيمته العلمية. هكذا قام ستالين بصياغة نصين أصبحا جزء لا يتجزأ من كلاسيكيات الفكر الماركسي وهما: **"الماركسية والمسألة القومية"** (1913)، **"المسألة القومية واللينينية"** (1929) (أضاف إليهما لاحقا كتاب **"الماركسية ومسائل علم اللغة"**). ولعل أشهر تعريف قدمه ستالين لمفهوم الأمة، هو ذلك الذي كتب سنة 1913 من خلال النص المذكور أعلاه، ويقول التعريف:

"إن الأمة جماعة ثابتة، تشكلت تاريخيا عبر اللغة والأرض والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي الذي يعبر عن نفسه في الثقافة المشتركة".

إن هذا التعريف لذو قيمة علمية، ويعتمد على التحليل المادي التاريخي والديالكتيكي، ويجمع العناصر الخمسة الخاصة بمفهوم الأمة.

1) ماذا يعني مفهوم "الجماعة الثابتة المتشكلة تاريخيا"؟

بالعودة إلى التاريخ، سنجد أمة كالأمة الفرنسية مثلا لم تتشكل من عرق واحد أو من قبيلة واحدة أو من أقوام وحيدة، سنجد أنه، فقط الإيديولوجيين الفاشيين والعنصريين هم اللذين يبجلون الفكرة القائلة بنشوء الأمة من عرق واحد أو من عرق طاهر، يعتبرونه متفوقا كما هو الحال عند النازية، وعموما، فمثل هذه النظريات تعتبر مثالية وخاطئة، بالإضافة إلى نتائجها الإجرامية.

ويعلمنا التاريخ أن الأمة الفرنسية تشكلت خلال قرون من التاريخ المشترك المعاش من طرف شعوب مختلفة وهي: الليغوريون والإيبريون والغاليون والرومان والجرمانيون والنورمانديون ... وبطبيعة الحال، فقد نشبت بين مختلف هذه المكونات صراعات ومعارك فيما بينها انتهت بإيجاد حلول مختلفة لها، سواء عبر الانتصارات أو الهزائم أو أحيانا التعايش فيما بينها، ثم استقر الأمر على ذلك. ومع ولادة الرأسمالية ظهرت الأمة الفرنسية في حدودها الحالية، واستقرت منذ القرن 19. ودائما بالعودة إلى التاريخ الفرنسي، سنجد أن بونابارت قد شكل

امبراطورية تضم ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا ... ولكنها لم تشكل أمة، بل خليطا من مجموعات قومية غير مرتبطة فيما بينها، لم تعرف أي ثبات أو استقرار، وانتهى زمانها.

2) مفهوم "اعتماد الأمة على اللغة المشتركة"

لقد شكلت اللغة عبر عصور التاريخ أحد أولى الناقلات لكل الأنشطة الإنسانية، وعموما ساهمت في استقرار الجماعات الإنسانية التي تعبر عن وحدتها، وبطبيعة الحال لا يمكن أن تتشكل أمة إلا عبر تجمع من الناس قادر على التفاهم فيما بينهم، بمعنى **حيازة لغة مشتركة، واللغة كائن حي يغتني باستمرار خلال التطور التاريخي للأمة**، وذلك عبر الإسهامات القادمة من شعوب مختلفة، تندمج بالأمة وتساهم في تشكيلها.

وبالاعتماد على مثالنا السابق، فاللغة الفرنسية ذات الأصول اللاتينية تنحدر من اللغة التي كانت مستعملة في إيل دو فرانس، ستغتني وتتطور تدريجيا. إن اللغة المشتركة لذات طابع شعبي، ولا علاقة لها بتأسيس فوقي للغة رسمية للدولة.

في المستعمرات أو عند الأمم المضطهدة، كانت اللغة الرسمية هي لغة المستعمر، بينما اللغة القومية، لغة السكان الأصليين ممنوعة، فمثلا، خلال الاستعمار الفرنسي في المغرب أو الجزائر، كانت اللغة الرسمية هي الفرنسية.

إن وجود لغة مشتركة لأمة لا ينفي وجود استعمال لهجات أو لغات عامية أو محلية، بل حتى استمرار لغة أقلية، لكن اللذين يستعملونها يعتمدون على اللغة المشتركة مع باقي سكان الأمة. بالاعتماد على المثال السابق (حالة فرنسا) فإن الألزاسيين و البروتونيون و الكورسيون و الباسكيون و الكتالينيون ... يتكلمون اللغة الفرنسية بطلاقة رغم استعمالهم لغاتهم الأصلية في بعض المناطق أو لهجات أو عاميات محلية.

3) مفهوم "امتداد الأمة على تراب مشترك"

لم يثبت التاريخ لحد الآن تشكل جماعة بشرية خارج تراب مشترك، وإلى الحدود التي ما زالت فيها الرأسمالية قائمة، **فإن استقرار جماعة بشرية يظل مرتبطا بالأرض المشتركة التي يعيشون عليها.**

بإمكان جماعات من البشر استعمال نفس اللغة كما هو الحال بالنسبة للانجليز و أمريكا و أستراليا و نيوزيلاندا، إن هذا لا يجعل منهم يشكلون أمة واحدة، لأنهم لا يعيشون على أرض مشتركة واحدة، وكذلك بالإمكان أن تعيش جماعة من الناس على أرض مشتركة مؤقتا مع جماعة أو جماعات أخرى لا يشكلون معها جماعة تاريخية، بل حتى لا يتكلمون نفس لغتها، لكنهم لا يساهمون في تشكل أمة، وينتهي بهم الأمر بالرفض أو الطرد من خلال حرب تحرير وطنية (حالة فرنسا بالجزائر سابقا، والكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين حاليا)، لقد كانوا يمثلون السيطرة الاضطهادية للاستعمار، ومن هنا فإن الأرض المشتركة لا وجود لها إلا ظاهريا، فالأرض القومية لدى هؤلاء المعمرين هو ما كانوا يسمونه بالمتروبول بالنسبة للمعمرين الفرنسيين.

4) مفهوم "اعتماد الأمة على الحياة الاقتصادية ضمن الأرض المشتركة"

إن اعتماد الأمة على الحياة الاقتصادية، يضمن الانسجام الاقتصادي بين مختلف أجزاء الأرض المشتركة، **ولا توجد هذه الجماعة الاقتصادية إلا إذا وجد ارتباط اقتصادي تاريخي يلحم كل أجزاء الأرض المشتركة في كل واحد، وهذا الأمر لم يتحقق إلا مع نشوء الرأسمالية وتطورها خلال القرن 19، وقد ساهم في ذلك تطور وسائل النقل عبر مختلف المناطق من سكك حديدية وبواخر ...**

5) مفهوم "اعتماد الأمة في تشكلها على التكوين النفسي المشترك" (الثقافة المشتركة)

إن هذا ما يطلق عليه أحيانا الطابع القومي لأمة معينة، وهو يعبر عن أصالة ثقافة مشتركة لأمة معينة. إن هذه الثقافة المشتركة تعبر عن نفسها في الأدب والفنون ونمط الحياة والعادات والتقاليد، وفي الطابع العام للشخصية، إنه غير جامد ويتحرك باستمرار نتيجة الصراعات الطبقية وتأثير المحيط الإقليمي والدولي.

ملحوظة:

يجب النظر إلى هذه العناصر الخمس التي تشكل الأمة نظرة ديالكتيكية، لأن الأمة تنشأ من خلال التقاء ديالكتيكي للعناصر الخمس، حيث أن تجمعها ضروري حتى تتشكل الأمة، وغياب إحدى العناصر كاف لكيلا تكون هناك أمة.

إن الأمة مقولة تاريخية، بل أكثر من هذا، إنها مقولة تاريخية ارتبط تطورها بمرحلة محددة، المرحلة التي عرفت التطور الصاعد للرأسمالية، المنتصرة على التقسيم الإقطاعي. وفي عصر الامبريالية ميز لينين بين الأمم المضطهدة (بكسر الهاء) والأمم المضطهدة (انظر "الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية" 1916)، ويتعلق الأمر فيما يخص الأمم المضطهدة، وهي أمم وصلت إلى مرحلة ما من تطور الرأسمالية، لكن تمت السيطرة عليها من طرف أمم رأسمالية أقوى منها (حالة إيرلاندا)، ويتعلق الأمر كذلك بالمستعمرات وأشباه المستعمرات، التي لم تعرف بعد الوصول إلى مرحلة من التطور الرأسمالي، ومع ثورة أكتوبر ظهر نوع جديد من الأمة، إنها الأمة الاشتراكية، حيث أصبحت المستعمرات القائمة والأمم المضطهدة من طرف الامبراطورية القيصرية، أمما تنتقل من مرحلة الاضطهاد الاستعماري إلى مرحلة البناء الاشتراكي، وقد ذهبت أمم أخرى صوب الرأسمالية (فلندا و بولونيا)، وبعد انتصار الثورة البلشفية في 1917 تشكل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية كدولة متعددة القوميات، ونفس الحال بالنسبة للصين فهي بلد متعدد القوميات. وتشكلت بعد الحرب العالمية الثانية مجموعة من البلدان المستقلة التي اتبعت طريقا معادية للإمبريالية، لكن لم تكن اشتراكية، فعلى المستوى الداخلي ظلت بنياتها ذات طابع رأسمالي، وطورت بعض القطاعات العامة أطلقت عليها اسم القطاع الاشتراكي، مثال مصر، الجزائر...

وعموما فإن المسألة القومية والمسألة الاستعمارية ينتميان إلى نفس المشكل، وقد طالب ماركس و انجلز بحرية تقرير المصير لشعوب كإيرلندا و بولونيا، وقام لينين و ستالين ببلورة مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وانتقلا به من الأمم الرأسمالية المضطهدة (مثال إيرلندا التي كانت تعرف بداية تطور الرأسمالية وينتمي استعمارها من طرف بريطانيا إلى رأسمالية القرن 19 أي الرأسمالية التنافسية التي عايشها ماركس و انجلز) إلى المستعمرات وشبه المستعمرات(كالصين و الهند، أي بعدما انتقلت الرأسمالية إلى امبريالية، وتم تقسيم العالم بين مختلف الإمبرياليات، ونشأت الامبراطوريات الاستعمارية).

لقد انطلق منظرو الماركسية – اللينينية في بلورة مواقفهم من المبدأ الماركسي القائل أن: "**شعبا يضطهد شعبا آخر لا يمكنه أن يكون شعبا حرا**".

الفصل الثاني:

في القومية الشوفينية و شوفينية الدول الكبرى

انتقلت الدول الرأسمالية إلى المرحلة الامبريالية نهاية القرن 19، فانطلق الصراع بين الأمم المضطهدة من أجل اقتسام العالم، ومن هنا منشأ الحرب الامبريالية الأولى، ولخوض الحروب فيما بينها، جيشت البورجوازيات الامبريالية شعوبها من أجل مساندة مصالحها الامبريالية، واعتمدوا في ذلك على إيديولوجيات قومية شوفينية، و وجدوا دعما من طرف قادة الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية الخائنة، أحزاب الأممية الثانية ما عدا في روسيا، حيث قام لينين بتصنيف هؤلاء الاشتراكيين الخونة كانتهازيين سقطوا في **الاشتراكوشوفينية**.

إن الوطنية الشوفينية كانت هي الشكل الأول للإيديولوجيا الامبريالية التي تم نشرها وسط شعوب الأمم المضطهدة، وسيحصل نوع من التطور في نفس الاتجاه بالنسبة لبعض أحزاب الأممية الثالثة، فمثلا، وقبل 1939، وتحت تأثير **موريس طوريز** تبنى الحزب الشيوعي الفرنسي سياسة لصالح الشركات البورجوازية الاستعمارية داخل بعض المستعمرات. بعد 1945 ازداد هذا الدعم من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي، وتجلى ذلك فيما سمي **بالاتحاد الفرنسي**، و وقف الحزب الشيوعي الفرنسي إلى جانب حكومته إبان الثورة الجزائرية مطالبا بإدماج الجزائر في فرنسا.

وبعد تحول الاتحاد السوفياتي إلى دولة تحريفية، ذات رأسمالية من نوع خاص، مارست الدولة الجديدة ما يطلق عليه ب **شوفينية القوة العظمى**، وهي من نوع **الشوفينية القومية**، وقد تجلى ذلك في سياساتها تجاه أوروبا الشرقية وبعض الدول الأخرى مثل كوبا.

وفي بعض الأحيان قد تظهر قومية محلية بين الأقليات القومية تتصف بالشوفينية، وتعمل على ضرب وحدة القوميات في بلد واحد.

الفصل الثالث:

في الأممية البروليتارية والوطنية البروليتارية

مقابل القومية **الشوفينية** و **شوفينية القوة العظمى**، بلور الشيوعيون ومارسوا **الوطنية البروليتارية**، التي لا يمكن فصلها عن **الأممية البروليتارية**، وسنرى الأشكال التي تأخذها حسب الحالات:

- **الحالة الأولى**: بالنسبة لشعب ينتمي إلى أمة اشتراكية أو إلى **دولة اشتراكية متعددة القوميات**، تتجسد الوطنية البروليتارية في الدفاع عن **الوطن الاشتراكي** ضد كل هجوم كيفما كان شكله.

- **الحالة الثانية**: بالنسبة لشعب يعيش في أمة مضطهدة (بفتح الهاء) تتجسد **الوطنية البروليتارية في النضال من أجل التحرر الوطني** كخطوة على طريق تحقيق الاشتراكية.

- **الحالة الثالثة**: بالنسبة لشعب يعيش في أمة مضطهدة (أمة امبريالية أو اشتراكوامبريالية) تتجسد الوطنية البروليتارية: **في رفض التعاون الطبقي مع بورجوازيته الرأسمالية الامبريالية، وفي حالة الحرب العمل من أجل هزيمة الطبقة المسيطرة والمضطهدة من أجل تعويضها بسلطة البروليتاريا، وهو الطريق الذي اتبعه لينين خلال الحرب العالمية الأولى، والذي انتهى بانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى.**

- **الحالة الرابعة**: بالنسبة لشعب يعيش في أمة اشتراكية فتتجسد **الأممية البروليتارية** في عمل كل شيء لدعم الشعوب، التي تناضل من أجل التحرر الوطني، أو تساهم في النضالات الثورية البروليتارية.

- **الحالة الخامسة**: بالنسبة لشعب يعيش في أمة مضطهدة، فتتجسد الأممية البروليتارية في رفض كل موقف شوفيني اتجاه شعب الأمة المضطهدة، الذي هو نفسه مضطهد من طرف بورجوازيته الخاصة الرأسمالية، وكمثال على ذلك، عندما كانت شعوب الهند الصينية في حرب مقاومة ضد العدوان الامبريالي الأمريكي، فقد كانت تعلن عن تضامنها مع الشعب الأمريكي الذي كان يناضل ضد السلطة الحاكمة في بلده.

- **الحالة السادسة**: بالنسبة لشعب يعيش في أمة مضطهدة امبريالية أو اشتراكوامبريالية، فإن الأممية البروليتارية تتجسد في الدعم الكامل ضد بورجوازيته الخاصة، لكل شعب مضطهد من طرفها، والذي يخوض ضدها حرب مقاومة أو حرب تحرير وطني، الشيء الذي لم يفعله الشعب الفرنسي إلا بالنسبة لقلة خلال الثورة الجزائرية، ويجب أن يفعله الآن بالنسبة لمالي والنيجر و بوركينا فاسو و الغابون ...

في زمن الردة والتراجع على كل القيم التقدمية والإنسانية غالبا ما يتناسى الناس والعديد من المثقفين أن القيم الأممية الثورية كانت عملا ملموسا مباشرا ينجزه الثوريون البروليتاريون، ونذكر هنا بالعديد من الأمثلة:

1- انتفاضة البحارة الفرنسيين اللذين تم إرسالهم إلى البحر الأسود سنة 1919 لمهاجمة الشعوب الثورية السوفياتية، وقد رفض الجنود بقيادة أندري مارتي إطلاق النار على البلاشفة.

2- الدعم العسكري الملموس بإرسال المتطوعين الصينيين إلى كوريا، التي كانت تقاتل ضد العدوان الامبريالي الأمريكي سنة 1952، وقد استشهد في هذه الحرب أحد أبناء الرفيق ماو تسي تونغ.

3- الدعم القوي والملموس الذي قدمته الصين وألبانيا لشعوب الهند الصينية، التي كانت تخوض حرب مقاومة ضد العدوان الامبريالي الأمريكي.

4 – الدعم الذي قدمته الصين للثورة الفلسطينية، والموقف المبدئي المناهض لوجود الكيان الصهيوني، الذي دافع عنه الرفيق ماو تسي تونغ سيرا على نهج الرفيق لينين.

والأمثلة متعددة، ولعل من أشهرها إرسال الفيالق الثورية إلى إسبانيا إبان الحرب الأهلية الإسبانية.

الفصل الرابع:

في الحقوق الخاصة بالأقليات القومية

في بعض الأمم المضطهدة، فإن الأقليات القومية تتعرض للاضطهاد من طرف السلطة والدولة المركزية للبورجوازية الرأسمالية، **و يكون من واجب البروليتاريا الثورية أن تساند مطالب الأقليات القومية بما في ذلك حق ممارسة تقرير المصير و الانفصال عن الأمة المضطهدة، لكن هذا الموقف يبقى رهينا، بعدم نسيان من طرف الحزب الثوري للبروليتاريا، أن المسألة القومية و الاستعمارية هي في آخر التحليل هي مسألة مرتبطة بصراع الطبقات، و بالصراع بين الإيديولوجيا البروليتارية و الإيديولوجيا البورجوازية، و يجب أن تحل هذه المسألة في إطار المصلحة العامة للبروليتاريا بما فيها مصلحة الأقلية القومية و الثورة العالمية.**

تاريخيا، وفي سياق التجارب التي عرفتها الأمم الاشتراكية فقد حصلت الأقليات القومية على حقوقها، ونتذكر جميعا وثيقة "**إعلان حقوق شعوب روسيا**"، التي صدرت في أكتوبر 1917، وعلى هذه الأسس تشكل الاتحاد السوفياتي كدولة متعددة القوميات، تطبيقا للمبادئ النظرية العامة حول حق الشعوب في تقرير مصيرها، فتفرع عن ذلك ما سمي ب:

1- نظام الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية:

ويضم هذا النظام:

جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية ، و جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية ، و جمهورية بيلاروسيا الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية أذربيدجان الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية ليتوانيا الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية مولدافيا الاشتراكية السوفياتية، و جمهورية لاتفيا الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية قارغزيا الاشتراكية السوفياتية، وجهورية طاجكستان الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية أرمينيا الاشتراكية السوفياتية، وجمهورية تركمانيا الاشتراكية السوفياتية و جمهورية إستونيا الاشتراكية السوفياتية.

وقد تم الاعتراف بالحقوق الكاملة لهذه الشعوب والأمم، وتحتفظ المادة 72 من دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ب "**حق الخروج بحرية من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية لكل جمهورية متحدة**"، ويطلق على هذا النظام اسم "**الجمهورية الاشتراكية السوفياتية المتحدة**".

وهناك نظام أقل درجة من هذا المستوى، ويسمى:

2- نظام "الجمهورية الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم، الذاتي":

هناك فوارق بين النظام الأول والثاني يسمح للنظام الثاني بالبث في المسائل الداخلية ضمن صلاحيتها بصورة مستقلة، خارج نطاق حقوق "**اتحاد الجمهورية الاشتراكية السوفياتية**" و "**الجمهورية المتحدة**".

وينضاف إلى هذه اللائحة:

3- نظام "المقاطعة ذات الحكم الذاتي" و "الدائرة ذات الحكم الذاتي".

أما في الصين، وبعد انتصار الثورة سنة 1949، فقد تشكلت **دولة اشتراكية متعددة القوميات تضم أكثر من 50 أقلية قومية، تمثل6 % من مجموع سكان البلد**، وقد حررت الثورة هذه الأقليات من الاضطهاد الذي كانت تتعرض له من طرف الامبريالية الأجنبية ورجعية الكومنتانغ، وقد صارع ماو تسي تونغ ما سمي ب "**شوفينية الهان الكبار**" وكذلك **الوطنية المحلية** لدى بعض الأقليات.

لقد طبق نظام الحكم الذاتي القومي في كل المناطق التي يوجد فيها أقليات قومية تعيش كجماعات منسجمة، وهناك خمس مناطق من هذا النوع، وهي:

- المناطق المستقلة لمانغوليا الداخلية

- الإيغور في منطقة سانكيانغ

- الهوي في منطقة نينغشيا

- تشوانغ في الكانغ سي

- منطقة تيبت وهي أكبرهم

بفضل الاشتراكية، انتقلت شعوب هذه الأقليات القومية من العبودية والإقطاعية مباشرة إلى الاشتراكية.

سمير أمين

الجزء الثاني

مفهوم الأمة عند سمير أمين

تقديم:

خصص سمير أمين كتابه الشهير **"الطبقة والأمة في التاريخ وفي المرحلة الإمبريالية"**، الطبعة العربية (ترجمة هنرييت عبودي) صدرت في شتنبر 1980 عن دارالطليعة للطباعة والنشر، بيروت) لمناقشة موضوع الأمة من خلال إثارة بعض القضايا الفكرية والتاريخية والمنهجية، التي تقوم على أساس فهمه الخاص لمفهوم الإمبريالية وقانون التطور غير

المتكافئ، وباستعماله بعض الاجتهادات في حقل المادية التاريخية من قبيل مفهوم " نمط الإنتاج الخراجي".

إن كتاب سمير أمين يعتبر امتدادا لكتبه السابقة مثل "**التطور اللامتكافئ**" و"**التراكم على الصعيد العالمي**" وغيرها.... وبغض النظر عن مضمون مشروعه الفكري وطبيعة اجتهاداته، فنحن هنا لسنا بصدد مناقشتها، فسواء اختلفنا مع بعضها أو مجملها، فإثارة مواضيع مثل الأمة والإثنية والقومية والشعب كلها أمور تهم تاريخنا وحاضرنا، خاصة فيما يخص المفاهيم التي تروج لها الشوفينية والإسلاموية وغيرها. فمن باب العصف الفكري واستفزاز العقل من أجل إعماله في معاركنا القادمة، سنحاول هنا تلخيص بعض أفكار سمير أمين في هذا الكتاب خاصة، وأنه، من القلائل الذين اهتموا بهذا الموضوع الشائك.

الفصل الأول:

تعريف الأمة عند سمير أمين:

يقول سمير أمين حول مفهوم الأمة:

"لقد اقترحنا في "التطور اللامتكافئ" وطبقنا في "الأمة العربية" (كتاب لسمير أمين) مفهوما للأمة يتعارض مع **مفهوم الإثنية – اللغة هي القاسم المشترك بين الأمة والإثنية– آخذين بعين الاعتبار وجود أو عدم وجود مركزة على مستوى الدولة، و وجود أو عدم وجود فائض اقتصادي من جراء تدخل الدولة. وهكذا لم يعد بالمستطاع فصل الظاهرة القومية عن تحليل الدولة، وهذا من دون أن يكون ثمة تطابق وتراكب بين الدولة والأمة.**

و قد اقترحنا فيما بعد، و على أساس هذه القاعدة أيضا، رصدا منهجيا للواقعة القومية عبر التاريخ، و تتجلى الأمة بوضوح خاص في **المجتمعات الخراجية المكتملة** من جهة، حيث تمركز الدولة الخراج، و حيث تكون **الطبقة الخراجية دولانية** (الصين، مصر) خلافا **للمجتمعات الخراجية غير المكتملة** (المجتمعات الإقطاعية الأوروبية على سبيل المثال) حيث يظل **الخراج مجزئ**، وفي **الرأسمالية**، من جهة أخرى، حيث **يدار تزاحم الرساميل**، مع ما ينجم عنه من **تعادل في الأرباح، وحراك العمل بتدخل من الدولة** (تشريعات، نظام نقدي، سياسة الدولة الاقتصادية).

وقد فسرنا، بالشروط الملازمة لأوروبا (غياب الأمم في العصر الإقطاعي، الولادة المتزامنة للأمة والرأسمالية) التشويه الذي ألحقه المذهب الأوروبي المتمحور على ذاته بالمفهوم العام للأمة (المفهوم الستاليني، و أيضا الماركسي – الانجليزي و اللينيني."

ويرى سمير أمين أنه:

"يتجلى مفهوم الأمة بوضوح في المجتمعات المكتملة، سواء أكانت خراجية (الصين، مصر) أم رأسمالية (الأمم الأوروبية للرأسمالية المركزية). أما في ظل أنماط الإنتاج غير المكتملة، الطرفية، فإن الواقع الاجتماعي الإثني أكثر ضبابية واختلاطا من أن ينعت بقومي. تلك كانت الحال في أوروبا الإقطاعية، إذ أن النمط الإقطاعي ليس سوى نمط خراجي غير مكتمل. وتلك هي الحال أيضا في الأطراف الرأسمالية المعاصرة. ويختفي كذلك التطابق بين المجتمع والأمة في الفترات الانتقالية."

الفصل الثاني:

المسألة القومية في طرف النظام الامبريالي

يقول سمير أمين:

"1- إن **المسألة القومية** التي كانت في القرن 19 مسألة الأمم الأوروبية المضطهدة بشكل رئيسي، قد انتقلت في القرن العشرين إلى آسيا وإفريقيا حيث أصبحت هي **المسألة الكولونيالية**.

ولم يكن هذا الانتقال جغرافيا فحسب، فبما أنه لازم تكوين النظام الامبريالي، فقد استتبع تغييرا في طبيعة المسألة القومية بالذات. فالمسألة القديمة، **مسألة القوميات الأوروبية المضطهدة (بفتح الهاء) من قبل أنظمة إقطاعية ملكية مستبدة، تندرج في عداد الثورة البورجوازية غير المكتملة.**

أما الجديدة، أي مسألة الشعوب المضطهدة (بفتح الهاء) من قبل الرأسمالية الامبريالية، فهي تشكل جزءا من الثورة الاشتراكية الصاعدة. إنها بتعبير أدق، مطلب من تلك المطالب ذات الهوية "البورجوازية الديموقراطية" (نظير المطالبة الفلاحية بالإصلاح الزراعي)، والتي

لا يمكن أن تلبى إلا خلال المرحلة البورجوازية من ثورة متواصلة ترودها البروليتاريا. إذن فالمحور الرئيسي للمسألة القومية الجديدة يتحدد بطابعها المناهض للإمبريالية.

وسوف ننكب هنا على دراسة طبيعة الأمم المضطهدة (بفتح الهاء) اليوم من قبل الامبريالية، ودراسة سماتها المميزة بالتعارض مع السمات التي كانت تحدد في الأمس أمم أوروبا المضطهدة (بفتح الهاء).

2-لا يكفي أن نؤكد بأن التطور الرأسمالي يتمخض بالضرورة عن تحول الإثنيات إلى أمم (ولا سيما أن هذه السيرورة لم تكن الطريق الوحيد إلى تكوين الأمم)، بل ينبغي أن نوضح أن **تكون الرأسمالية المركزية** كفيل وحده بأن يتيح للتشكيلة القومية فرصة التبلور. **بالمقابل، فإن التطور الرأسمالي في أشكاله الطرفية يحكم على المجتمع بالتفكك والتحلل، ويحول دون تبلوره المرتقب في صورة أمة. وعلة ذلك أن هذه الرأسمالية لا تقوم على أساس الدعم للسوق المحلية للبضائع، وللرأسمال والعمل، كمحور لتطورها، الذي هو تطور متمحور على ذاته.** فالاندماج بالنظام الدولي على أساس تقسيم دولي لا متكافئ للعمل، وعلى أساس الطابع المتجه نحو الخارج للاقتصاد، المحدث (بتشديد الدال) بدءا من قطاعاته التصديرية الجديدة، هذا الاندماج لا يخلق سوقا داخلية حاسمة. وبقدر ما يمكن لهذه السوق أن تتشكل، تغدو قاعدة لصناعة بديلة عن الاستيراد، متمحورة على طلب الطبقات المستغلة، وعليه وحده. أما الإنتاج المعد لتلبية حاجات الجماهير العريضة فهو يظل، في معظمه، منظما في إطار الاكتفاء الذاتي الفلاحي، بحكم كيفيات السيطرة الشكلية السائدة.

إن السيطرة الساحقة للرأسمال الأجنبي، تفرغ عبارة "سوق الرساميل" من مضمونها: فالرأسمال المحلي، المفتت والتابع، يعجز عن بلوغ الجمهور اللازم لتكوين مثل هذه السوق، ويظل النظام النقدي والمالي هو الآخر متجها إلى الخارج، جزئيا، ومحدودا في وظائفه. وتحول أخيرا هيمنة الرأسمال الأجنبي الشكلية دون إمكانية الكلام عن سوق معممة لقوة العمل، على الرغم من الأهمية النسبية للجيش الاحتياطي للبطالة المدينية ....

وتدعي الأطروحة الأكثر تطرفا في هذا المجال، أن الدولة في الطرف لا تعدو أن تكون جهازا إداريا، استطالة للدولة الامبريالية المهيمنة، وأنه لا يجوز بالتالي أن نطبق عليها التحليل الماركسي الكلاسيكي، الذي يعرف الدولة بدءا من الكتلة المهيمنة والمؤلفة من الطبقات المحلية المستغلة (بكسر الغين).

لكن هذه الأطروحة لا تتيح لنا أن نفهم نقاط التباين والخلاف التي تفصل الدولة الإقطاعية – الكمبرادورية (الدولة الامبراطورية الصينية على سبيل المثال) عن الدولة البورجوازية التابعة (مصر الحديثة)، أو تفصل الدولة الكولونيالية الجديدة (التي تحكمها بيروقراطية كومبرادورية قريبة من الإدارة الكولونيالية) عن الدولة الشعبوية، القومية، الخ. **فهي تستعيض عن تحليل التحالفات (ما بين الرأسمال الامبريالي المهيمن والطبقات المستغلة (بكسر الغين) المحلية التابعة والمؤدية دور أداة الوصل) المتحولة (بالأمس، التحالف الإقطاعي – الكومبرادوري، واليوم التحالف مع البورجوازية التابعة) بتحليل آخر، مصطلحه الأساسي هو "العمالة للخارج"**. لكن لهذه الأطروحة، رغم ذلك، الفضل في لفت الانتباه إلى خضوع الطبقات المستغلة (بكسر الغين) في التحالف الدولي وإلى تمثيلها المباشر لمصالح الطبقات الأجنبية.

يتعين على الأطروحة الصحيحة بصدد وظيفة الدولة في الرأسمالية الطرفية المعاصرة، أن تنطلق من التحليل العيني للكتلة المحلية المهيمنة، والقائمة بدور صلة الوصل للهيمنة الامبريالية. ولأن هذه الكتلة ثانوية وتابعة، فإن بلدان الطرف تشكل الحلقة الضعيفة في السلسلة الامبريالية. وهذا ما ييسر تشكيل التحالف الثوري ويسهل عليه أن يعقد، في إطار الاستراتيجية العامة للثورة المستمرة على مراحل، تحالفات تكتيكية فعالة، قمينة بأن تضعف وتفتت التحالف المسيطر."

3- من جملة السمات المميزة التي يتجلى من خلالها غياب البناء القومي الهوية الأجنبية لثقافة البورجوازية المحلية. فهذه الطبقات المسيطرة، التي فقدت قوميتها وثقافتها، تكتسب بالتدريج ملامح الغرباء في ديارها بالذات، بسبب طراز حياتها اليومية، المنسوخ عن طراز حياة الإنسان المستهلك العام. وفي الحالات القصوى نجد أنفسنا أمام كاريكاتور ازدواجية اللغة: فالطبقة الحاكمة تستخدم لغة السادة المستعمرين القدامى، بينما يثابر الشعب على استخدام لغته الأصلية. فكيف يمكننا أن نتكلم، في مثل هذه الشروط، عن أمة وعن ثقافة قومية؟

4- أن شعوب الطرف، التي تفصل بينها حدود هي في كثير من الأحيان اعتباطية واصطناعية، لا تشكل إذن، في إطار غالبية الدول التي تحدد وجودها الدولي، لا أمة واحدة ولا عدة أمم. إنها تتألف من إثنية واحدة أو من عدة إثنيات، متقاربة تارة (على صعيد اللغة على سبيل المثال) ومتباعدة طورا، منفصلة جغرافيا عن بعضها بعضا أحيانا، ومتشابكة ومتعايشة في اتحاد وثيق أحيانا أخرى (مثال على ذلك: المزارعون ومربو المواشي المنتمون إلى إثنيات مختلفة والمتعايشون فوق أرض واحدة)، علاوة على أنها متفاوتة أشد التفاوت أيضا من حيث تعدادها

البشري. وقد حافظ بعض هذه الإثنيات على أشكال من التنظيم الاجتماعي متفاوتة في قدمها (تنظيمات عشائرية أو قبلية)، في حين تحول بعضها الآخر إلى إثنيات ما قبل رأسمالية خراجية متقدمة (أي إلى أشباه أمم).

إن كيفيات مختلفة من الاضطهاد، عائدة إلى عهود قديمة أو حديثة، تسم بميسمها العلاقات بين هذه الإثنيات. فهنالك الشعوب الفاتحة والشعوب المقهورة المتحدرة من العصور السابقة، شعوب تمثل الغالبية وأخرى الأقلية، شعوب استفادت من التطور الرأسمالي الطرفي وأخرى تضررت منه، شعوب تستأثر بالنخبة المدينية وأخرى مقصية عنها، الخ. وتخلق هذه الوقائع مجتمعة شروطا غير مواتية لنضوج الوعي الطبقي، فكثيرا ما تفصح الصراعات الطبقية عن نفسها في صورة صراعات إثنية، وهذا ما يجعلها قابلة لأن تتلاعب بها من الداخل ومن الخارج الطبقات الرجعية والقوى الامبريالية.

5- كثيرا ما تكون حركة التحرر القومي في هذه الشروط حركة قومية من دون أمة. ومن المحقق أن وحدة الطبقات المناهضة للإمبريالية قد توفر، في مرحلة من المراحل، الوسيلة للتغلب على هذه الانقسامات. ومذهب نكروما في الوحدة الإفريقية، الذي انبثقت عنه "منظمة الوحدة الإفريقية"، و وحدة عموم الهند، أو بالعكس وحدة باكستان المصطنعة، تشهد جميعها على هذه الإمكانية. بيد أن هذا النوع من الوحدة القومية، أو شبه القومية، يستمر بصعوبة بعد زوال الظروف التي سمحت به في فترة من الفترات. فبعد الحصول على الاستقلال، ترجح من جديد كفة التناقضات الداخلية. وتستأهل دراسة هذه التناقضات قدرا من الاهتمام أكبر من ذاك الذي حازت عليه حتى الآن: انفجار باكستان وتشظيها، الخطر الدائم الذي يتهدد الهند في وحدتها، حروب الكونغو الأهلية في الستينات الأخيرة، الحرب الأهلية في نيجيريا، أحداث القرن الإفريقي والصحراء الغربية، الانتفاضات القبلية (في جنوب السودان على سبيل المثال)، هذه الأحداث جميعها تدل على هشاشة هذه الوحدات الدولانية، لا القومية.

لكن أي موقف يتعين على الطليعة الشعبية أن تتبناه، في مثل هذه الشروط، إزاء مسائل القوميات؟

إنها لا تستطيع بكل تأكيد أن تنفي وجودها، إسوة بالعديد من المواقف الرسمية. كما أنه لا يجوز لها أن تكتفي بالمطالبة بالقضاء على الاستغلال الطبقي: بل هي مدعوة لأن تدرج في برنامجها، على نحو واضح وصريح، النضال الفعال والمباشر ضد جميع أشكال التمييز، والتفاوت، والاضطهاد، القائمة على الإثنية، أو اللغة، أو الدين، أو العادات. لكن هل يتعين عليها أن تذهب إلى حد المناداة بحق الأمم كافة في حرية تقرير مصيرها، ولو أدى ذلك إلى الانفصال؟

ثمة مبدآن يطرحان نفسيهما هنا (المبدأ الأول أعلاه):

أما المبدأ الثاني فيتلخص في استبعاد هذا الانفصال وعدم القبول به إلا في حال فشل سائر الحلول الأخرى، أي في حال فشل الطليعة في حمل الجماهير المستغلة على النضال من أجل استقلال ذاتي محلي حقيقي في إطار دولة موحدة واسعة إلى أقصى ما يمكن، ذلك أن الكفاح المناهض للإمبريالية لن يستفيد بتاتا من إضعاف دول الأطراف عن طريق البلقنة، أن يكن لها من بداية فقد لا يكون لها من نهاية.

الشيء الأكيد على كل حال، أنه لا يجوز لنا أن نطلق قبليا على أي جماعة اجتماعية - إثنية أسم "قومية" أو "لا قومية"، لنعمد بعد ذلك إلى تحديد حقوقها استنادا إلى هذه التسمية. فهل لغير المعنيين بالأمر الحق في منح هذا الاعتراف؟

إن النضال من أجل القضاء على الاستغلال الطبقي يقتضي مناهضة جميع أشكال الاضطهاد أيا كانت، فالاشتراكية تعني ديموقراطية جماهيرية فعلية، أي ديموقراطية لا ممركزة إلى أقصى حد مستطاع في كل مرحلة من مراحل تطورها.

6 - ... وقد يكون ماضي هذه الدول ماضي أمم، أو شبه أمم خراجية، أو إثنيات قوية التلاحم، وقد يكون ماضي تفتت قبلي بلا وحدة تاريخية ولغوية. وقد تتكون الكتلة الحاكمة تارة حول طبقة كبار الملاكين الزراعيين، التي ترسي جذورها البعيدة في التاريخ القومي ما قبل الكولونيالي، وطورا حول بورجوازية صناعية واضحة التكوين وإن كانت حديثة، وقد تتشكل تارة ثالثة بصورة شبه حصرية من شريحة بيروقراطية كومبرادورية لا وزن لها ولا جذور، شريحة هي من صنع المستعمر.

= إن الاقتران بين التفتت الإثني والسلطة البيروقراطية الكومبرادورية يحدد نمطا دولانيا يتسم على وجه الخصوص بعدم الثبات وعدم الاستقرار.

7- إن حركة التحرر القومي قد انطلقت وكافحت أحيانا في وضع مختلف، في إطار أمم ما قبل رأسمالية حقيقية (خراجية مكتملة) أو أشباه أمم من هذا القبيل، تتسم بالقوة والتجانس.

8- إن المساجلات الماركسية بصدد المسألة الكولونيالية والقومية لا تزال محدودة النطاق، فوجهات النظر التي أفصح عنها ماركس و انجلز لا تؤلف في الواقع وحدة متكاملة يمكن أن نستخلص منها اليوم استنتاجات مفيدة (الأبحاث الجديدة تثبت العكس: تذكير من طرفنا (انظر كتاب "ماركس في الهامش"). أما وجهات النظر التي عرضت و طورت لاحقا في مؤتمرات الأممية الثانية و الثالثة من قبل روزا لوكسمبورغ، لينين، تروتسكي و ستالين، فقد تناولت سلسلتين من المسائل: المسائل المتعلقة بأنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية. (....) وقد جاءت المساجلات الأولى مخيبة للآمال في معظم الأحيان، إذ أن المعنيين بها مباشرة، أي شعوب آسيا وإفريقيا، كانوا شبه غائبين عنها، فتأويل بعض نصوص ماركس و انجلز إلى ما لا نهاية ("المقدمة في نقد الاقتصاد السياسي" و بعض المقالات الصحفية و المراسلات)، لم يكن كافيا على الإطلاق.

أما المساجلات الثانية، فقد زودت الأممية الثالثة بإطار عام لينيني صحيح بالإجمال، لكنها لم تسد النقص في التحاليل العينية.

9- إن الوضع اليوم يقتضي دراسة عينية ومنهجية لتمفصل الصراعات الطبقية والصراعات القومية، ويفترض في هذه الدراسة أن تقوم على المبادئ الخمسة التالية:

ا- أن النضال من أجل الاشتراكية في طرف النظام الامبريالي ليس غريبا عن النضال من أجل التحرر القومي، ولا يتعارض معه بأي حال.

إن الواقعة الامبريالية تحتم فهم الانتقال إلى الاشتراكية على أنه محصلة التلاحم التاريخي لأهداف التحرر الاجتماعي مع أهداف التحرر القومي.

ب- إن التحالف الشعبي، الذي تروده إيديولوجيا البروليتاريا كفيل وحده بأن يقود هذا النضال المزدوج إلى تحقيق أهدافه. وينبغي توكيد الاستقلال الذاتي للاستراتيجية الشعبية على الصعيدين النظري والعملي. فهذا الاستقلال يضمن النجاح المرتقب لاستراتيجية الثورة المتواصلة على مراحل. وفي حال غيابه ينحصر دور القوى الشعبية في مساندة الاستراتيجيات البورجوازية التي لا تؤدي إلا إلى المآزق والطرق المسدودة.

ج – يتعين على التحالف الشعبي أن يبذل قصاراه من أجل التغلب على التناقضات القومية في صفوف الشعب، مع محافظته على أوسع إطار ممكن للدولة.

د – يدعى هذا التحالف أيضا إلى تبني تكتيك مرن قائم على تحليل معمق لطبيعة التحالف المحلي المهيمن على الدولة، ولنقاط ضعفه وللتناقضات التي تعتمل فيه، وعليه أن يتحين الفرص لإضعاف هذا التحالف.

هـ – على التحالف الشعبي أخيرا أن يكون متنبها ومتيقظا إزاء الدول الأجنبية.

ففي كل مرة تهمل فيها، إن نظريا أو عمليا، المبادئ الخمسة الآنفة الذكر، تتحول الحركات القومية، وحتى الشعبية منها موضوعيا إلى ألعوبة بين الدولتين العظميين.

الفصل الثالث:

التحرر القومي والاشتراكية

"... لقد أدى هذا الانتشار العالمي للرأسمالية في طورها الامبريالي إلى تحولات جوهرية فيما بعد. وهنا على وجه التحديد تكمن النقطة الساخنة في النقاش: النقطة المتعلقة بمكان مختلف الطبقات الاجتماعية في المركز وفي الأطراف. هذه التحولات في العلاقات القائمة بين الطبقات الاجتماعية داخل المركز وفي الأطراف، والمكان الذي تحتله مختلف الطبقات الاجتماعية في الصراع الطبقي، لا يمكن أن تصبح في متناول الإدراك إذا ما نظرنا إلى كل قطر بمنأى عن الآخر، إمبرياليا أو واقعا تحت سيطرة الامبريالية، لا يسعنا أن ندركها إلا في علاقاتها العالمية، ومن خلال استراتيجية شاملة.

... لكن الإقرار بهذه الحقيقة المبتذلة – مبتذلة بالنسبة إلينا، وليس بالنسبة إلى اللذين ينكرونها - لا يعني على الإطلاق الاتفاق على الاستراتيجية: أي تحديد العلاقات القائمة بين شتى البروليتاريات وبين شتى البورجوازيات والطبقات الأخرى الخاضعة للإمبريالية، إن في المركز أو في الأطراف – و في الأطراف بدالة أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية – و تحديد الكيفية التي تتواجه بها هذه الطبقات كلها من خلال استراتيجية ثورية شاملة."

"فمع دخول الرأسمالية طور الامبريالية، تحدث تحولات هامة يمكننا تلخيصها باختصار على النحو التالي:

انتقال مركز ثقل الاستغلال الرأسمالي من مكان إلى آخر، نتيجة تنامي الكتلة النسبية لفائض القيمة الممركزة لصالح احتكارات الدول الامبريالية، ففائض القيمة بات يتأتى أكثر فأكثر من استغلال شعوب الأطراف، وفائض القيمة هذا يتولد مباشرة عن بروليتاريا الأطراف، وإما – وحجمه هنا يكون أكبر- عن الفوائض الناتجة عن أنماط إنتاجية متنوعة وعن استغلال طبقات متباينة، وعلى الأخص جماهير الفلاحين الواسعة في ظل سيادة أنماط إنتاج ما قبل رأسمالية، فلاحية أو إقطاعية، الخ.

وانتقال مركز الثقل على هذا النحو لا ينجم عن القياس الكمي لكتلة فائض القيمة المولدة هنا أو هناك، وفي داخل النظام برمته، إذ أن كتلة فائض القيمة لا تزال، على الصعيد الكمي، تتولد في المركز أكثر منها في الأطراف. بيد أن مركز الثقل، النقطة الحساسة، هو الذي ينتقل باتجاه استثمار الأطراف واستغلالها.

على هذا النحو استطاعت رأسمالية الاحتكارات أن تقدم قاعدة موضوعية لهيمنة الاشتراكية – الديموقراطية في أوساط الطبقات العاملة في الغرب. وقد أدان لينين هذه الهيمنة، الجلية والتي لا جدال فيها في الأممية الثانية، بدالة ارتباطها بالظاهرة الامبريالية على وجه التحديد. وانتشار الرأسمالية الامبريالية على صعيد الكرة الأرضية يؤدي، علاوة على ذلك، إلى قطع طريق انتشار الرأسمالية بواسطة ثورات بورجوازية في الأقطار المتأخرة.

إن البورجوازية ما عادت تنمو في الأطراف إلا في ركاب الامبريالية، وقد أمست عاجزة عن قيادة ثورة بورجوازية تتميز بالجذرية، بيد أن هذا لا يعني بالطبع أن النظام الرأسمالي يكف عن التطور والنمو، فهو يتطور، وإنما في الإطار الامبريالي. أما الحركة الفلاحية التي كانت تاريخيا في المركز جزءا من الثورة البورجوازية، فتصبح في الأطراف جزءا من الثورة الاشتراكية. المطالب الفلاحية لن تقود إذن إلى ثورات بورجوازية، بل هي مطالبة موضوعيا بأن تصبح جزءا من الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمي. هذا لا يعني أنها تقود إليها، أي إلى الثورة الاشتراكية، بصورة آلية، فكي يتحقق ذلك ينبغي أن تكون هنالك قيادة بروليتارية، ومنظور مفتوح على هذا الاتجاه. وبعابرة أخرى، أن تطور الرأسمالية في الأطراف، في ركاب الامبريالية، وصعود حركة التحرر القومي لا يحتلان مكانهما في منظور نمو الرأسمالية والبورجوازية، وإنما في منظور أزمتهما."

أما بالنسبة:

"لتحديد المعسكرين الأساسيين للقوى الاجتماعية، و معرفة من ثمة ما هو أساسي و ما هو ثانوي ، من زاوية هذه الأطروحة، لا يكفي أن نذكر بأن بروليتاريات المركز (حتى في ظل هيمنة الاشتراكية – الديموقراطية) و الأطراف و الطبقة الفلاحية المستغلة في الأطراف تقف إلى جانب القوى الاشتراكية، في حين يتواجد في الطرف الآخر، في معسكر قوى الرأسمالية، رأسمال الاحتكارات و سائر البورجوازيات التابعة و الطبقات الاستغلالية الحليفة في الأطراف، **بل ينبغي أن نضيف أن رأس حربة قوى الاشتراكية قد انتقل، في هذا التحالف الطبقي على الصعيد العالمي، من البروليتاريا في الغرب إلى الأنوية البروليتارية في الأطراف، توازيا مع الظاهرة الامبريالية، من هنا كانت هيمنة الاشتراكية–الديموقراطية لدى البروليتاريا في الغرب، ومن هنا أيضا كانت إمكانية قيام تحالف ثوري عمالي–فلاحي في الأطراف.**

إن حجة اللذين يذكروننا باستمرار بالتناقض الجوهري بين البورجوازية والبروليتاريا، لا تفيدنا بشيء في هذا الجدال: فالبروليتاريا موجودة هنا وهناك على الصعيد العالمي. والحال أنه في برهة محددة من التاريخ تكون بعض قطاعات البروليتاريا أكثر تقدما من غيرها. والاستشهاد بماركس لن يفيدنا في شيء ما دامت ظاهرة الامبريالية قد رأت النور بعده، وقد يفيدنا الاستشهاد بلينين بعض الشيء، ما دام هو أول من حلل الامبريالية جذريا ... غير أنه توفي منذ عام 1924 ... وقد استمر النظام من بعده، وتطورت الصراعات، وتبدلت الأمور، كما أن لينين كان مهتما بالدرجة الأولى بالصراع ضد النزعة التحريفية داخل الأممية الثانية، وبالتهيئة للثورة الروسية، وقد وضع التحريفية في إطار صحيح هو إطار الامبريالية، غير أنه لم يعط جوابا لكل ما حصل في عصره، فبالأحرى لما بعده.

..... أود هنا أن أتجنب التباسا إضافيا: إن التنبؤ بمجرى التاريخ أمر مستحيل، كل ما في الأمر أنه يتوجب علينا أن نشدد على علاقة جدلية بين الصراعات في المركز والصراعات في الأطراف. **ففي ظرف محدد، أي من، من هذه الصراعات يكون هو الرئيسي؟ وأيها يكون هو الثانوي؟ بتعبير آخر، من منها يؤثر نوعيا على الآخر؟**

لقد كان الميل الأساسي حتى الآن (أي بين 1870 و 1979) كما يلي : إن صراعات التحرر القومي بدرجاتها المختلفة – من أعلى درجاتها المتمثلة بقبض البروليتاريا على زمام الأمور و بالقطيعة مع الامبريالية، إلى أضعف تلك الدرجات المتمثلة بسيطرة البورجوازية و بانتزاعها بعض التنازلات التي يجري استردادها عن طريق التكيف المتجدد للنظام الامبريالي – هي محرك التاريخ المعاصر، إذن فتوسع القاعدة الموضوعية للاشتراكية – الديموقراطية في المركز، أو تقلصها، كان منوطا في جوهره بنضالات التحرر هذه على امتداد قرن من الزمن، بما رافقها، بطبيعة الحال، من حركات مد و جزر، و ذلك ما دامت هذه المقاومات و هذه الصراعات لم تتطور وفق خط مستقيم، بل كانت تحرز الانتصارات تارة، و تمنى بالهزائم طورا، سواء أكانت بقيادة البروليتاريا أم بقيادة البورجوازية.

2) لكن هل حركة التحرر القومي هي فعلا ما أدعيه: محرك التاريخ، والقوة الرئيسية لبزوغ الاشتراكية؟
... فمنذ عام 1880 باتت الواقعة الامبريالية تتحكم بسائر الأحداث الهامة، وتثقل بوطأتها على سائر المواجهات، وتعين حلولها. ومنذ عام 1880 أيضا، برز نضال التحرر القومي وراح يكتسب بالتدريج وزنا وأهمية.
في طور اول، من1880 إلى 1914، لم يكن نضال التحرر القومي قد أصبح بعد المحرك المباشر للتاريخ، غير أن ثورة الطبقة العاملة في مركز النظام كانت قد كفت عن أن تكون كذلك، أعني محرك التاريخ المباشر. لهذا السبب كان هذا الطور "**العصر الذهبي**" للإمبريالية. فقد خضعت الطبقات العاملة لبورجوازياتها الامبريالية، وإن كان المدى المأساوي لهذا الخضوع لم يتضح إلا في عام 1914.
.... وكانت حركات التحرر قد دخلت طور التكون، غير أنها لم تكن قد خرجت بعد من الطور ما قبل الرأسمالي، فقد كانت تلح على "مقاومة العدوان" أكثر من إلحاحها على "التحرير". لهذا السبب انفردت التناقضات ما بين الدول الامبريالية باحتلال واجهة الأحداث في تلك الحقبة الزمنية: إنه العصر الذي أسمته البورجوازية ب "العصر الجميل"، حيث كانت دبلوماسية الدول العظمى هي المحرك المباشر للتاريخ. وقد اختتمت هذه الحقبة بالحرب العظمى، وبالثورة الروسية، وبحركة 4 مايو في الصين، وبكمال أتاتورك، وبإنشاء حزب الوفد المصري، وحزب المؤتمر الهندي، الخ.

بين عامي 1918 و1945: لم تعد التناقضات ما بين الدول الامبريالية، التي كانت لا تزال قائمة بين المنتصرين والمهزومين في عام 1918، لم تعد هذه التناقضات تنفرد باحتلال واجهة الأحداث، فقد انشغل هذا العصر أيضا بصعود الثورة الروسية، ثم بمراوحتها مكانها وتراجعها، وبصعود الثورة الصينية، وبصعود حركات التحرر في القارات الثلاث (النزعة الشعبوية الأمريكية – اللاتينية، الفتن والثورات الاستقلالية الحديثة المقموعة في آسيا وإفريقيا).
... وجاءت أزمات ما بعد الحرب، ثم أزمات 1930 لتدفع بهذه التناقضات الاجتماعية إلى المقدمة. وقد انتهت هذه المرحلة بالحرب العالمية الثانية، التي سجلت نهاية الصعود الجديد للحركة العمالية الغربية، في حين استمر تطور القوى الأخرى، قوى الاتحاد السوفياتي وقوى التحرر القومي.
بعد عام 1945 بدأت مرحلة ثالثة، تأكد خلالها رجحان كفة حركة التحرر القومي، واحتلالها واجهة الأحداث. فقدت التناقضات بين الدول الإمبريالية الكثير من حدتها، نتيجة الهيمنة الأمريكية – إلى حد أن الأطروحة الاقتصادوية القائلة بوجود "**الامبريالية العليا**" تبدو وكأنها ثبتت صحتها: فالدولة تصبح أداة طيعة للشركات المتعددة الجنسيات التي تجبل العالم على صورتها. ونلاحظ في الوقت نفسه أن الحركة العمالية الغربية قد عجزت عن تجاوز هزيمة الثلاثينات والأربعينات وتخطيها: فتبعيتها ليست أقل مما كانت عليه قبل عام 1914.

أما الاتحاد السوفياتي – المحصور داخل حدود منطقة نفوذه – فهو لا يظهر على الحلبة الدولية إلا بالاتصال مع حركة التحرر القومي، ولا يكتسب بعدا عالميا إلا بالتحالفات التي يعقدها معها. وخلال ربع القرن من الزمن هذا اكتمل التحرر القومي في آسيا الشرقية وفي كوبا، مفسحا المجال أمام انتقالات اشتراكية ممكنة، في حين لم تحقق حركة التحرر في مناطق أخرى سوى هدفها الأول – الاستقلال السياسي – من دون أن تفسح المجال أمام مثل هذه الانتقالات.

هل إنجاز هذا الهدف – أي الاستقلال السياسي – من شأنه أن يضع حدا لحركة التحرر القومي ولطاقاتها الكامنة على إحداث تحول اشتراكي؟

تلك هي أطروحة **جيرار شاليان** ... لكن هذه الأطروحة خاطئة في نظري، إذ أنها تجعل هدف التحرر القومي مقتصرا على الاستقلال، والحال أن الاستقلال لا يحل تناقضات رأسمالية الأطراف ... ("**نمط الإنتاج الكولونيالي**") ... ("**نمط الإنتاج الكولونيالي الجديد**") ... لهذه الأسباب يفترض شاليان أن زمن حركة التحرر قد ولى، ويقترح إطلاق اسم "**الصراع الطبقي الداخلي**".

... والخطأ هنا يكمن في التعامي عن أن هذا الصراع الطبقي يدور في إطار التحرر القومي الذي لم يكتمل بعد، وبورجوازيات العالم الثالث تحاول "الاستمرار" بهذا النضال – نضال التحرر القومي – مع احتفاظها بقيادته، ولا يسع الطبقات الشعبية أن تتجاهل هذا النضال، تماما كما لم يسعها في الماضي أن تتجاهل هدف الاستقلال. لكن عليها، بفضل استقلالية حركتها، أن تفرض قيادتها له، وأن تفسح بالتالي المجال أمام الانتقال إلى الاشتراكية. أجل، إن التحرر القومي لا يزال يشغل مقدمة الأحداث، والتاريخ –التاريخ وحده (لا "النظرية"، فبالأحرى "الماركسولوجية") - هو الذي سيقول إن كان التحرر القومي سيتوافق مع نهوض جديد للحركة العمالية في الغرب.

3) تأخذ المناقشات حول استراتيجية المرحلة الجديدة للتحرر القومي أهمية عملية عندما يعاد وضعها في هذا الإطار، إطار الثورة المتواصلة والمتدرجة مرحليا.

إن الطابع التناقضي للتحرر القومي يفصح عن نفسه من خلال هذه الواقعة المزدوجة: فمن جهة أولى يخلق كل انتصار جزئي شروط تعمق جديد في تطور الرأسمالية، وهذا التطور عينه، من جهة أخرى، باعتباره تطور الرأسمالية الطرفية التابعة، لا يخفف من حدة التناقضات بين الجماهير الشعبية، وبين الامبريالية وحلفائها، وإنما بالعكس فهو يزيده حدة.

على صعيد آخر، فإن مقاومة الأطراف المظفرة قد أدت إلى تسارع هبوط معدل أرباح احتكارات المركز، وإلى نقل التناقض إلى الطبقات العاملة في المركز، وإلى رسم سياسة اقتصادية هادفة إلى إعادة إنشاء جيش احتياطي في المركز، ولو جزئيا على الأقل. وقد عمدت الامبريالية في نفس الوقت إلى رص صفوفها: فالبورجوازيات الامبريالية المتروبولية الثانوية انضوت من جديد تحت لواء الشطر الأمريكي المسيطر، بغية

تشكيل جبهة مشتركة تسمح بالحد ما أمكن من انتصارات حركات التحرر القومي في الأطراف، وبالتالي، التخفيف من حدة التناقضات في المركز.

... فخلال قرن من الزمن كان الميل الرئيسي هو أداء نضال التحرر القومي دور محرك التاريخ. وهذا يعني أن سائر النضالات الأخرى، بما فيها النضالات في المركز، قد تحددت بالارتباط بهذا النضال الرئيسي في النظام الرأسمالي العالمي وبالنسبة إليه. لا ريب في أن نضالا طبقيا على هذا الصعيد لا يمكن أن يفهم على أنه مجرد تجميع لجملة من الصراعات الطبقية في بلدان مختلفة، ولأنماط إنتاج مختلفة، الخ، لا تربط بينها سوى علاقات عابرة أو ناجمة عن المصادفة، بل هذه الصراعات منظمة قياسا إلى تحالف طبقات على مستوى عالمي، و وفق موقع مختلف أجزاء الطبقات في هذا التحالف العالمي، الذي يحدد ما هي الأقسام الطليعية، و ما هو "سواد الجيش"، و العدو الرئيسي، الخ.

لكن هناك رؤية ثانية للأمور، تقف على طرفي نقيض من سابقتها، فتؤكد أن التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية في مركز النظام لا يزال التناقض الرئيسي للنظام برمته، وهذه الأطروحة تعتبر أيضا أن حركة التحرر القومي تشكل جزءا لا يتجزأ من الثورة البورجوازية العالمية. وهذه الأطروحة السائدة علنا، لا داخل التيارات العمالية الاشتراكية – الديموقراطية فحسب، وإنما أيضا داخل تيارات الشيوعية التحريفية، بل كذلك داخل المعارضة "اليسارية" في الغرب ضمنيا، إنما تشهد على الهيمنة الإيديولوجية الاشتراكية – الديموقراطية، ولقد كانت في الماضي هي أطروحة الأممية الثانية، التي كانت تبرر على هذا النحو انحيازها إلى الإيديولوجيا الامبريالية. وكان من المفروض أن يكون لينين قد حرر منها الحركات التي تقف "على يسار" الاشتراكية – الديموقراطية: لكن ذلك لم يحصل على الإطلاق. وسوف يظل أنصار هذه الأطروحة مغمضين أعينهم عن تطور رأسمالية الأطراف، وهم لا يرون – ما دامت أطروحتهم مطالبة بإنكار الامبريالية– أن رأسمالية الأطراف رأسمالية تابعة وعاجزة عن تحقيق هدف التحرر القومي، وغير قادرة بالتالي على تحريك سائر الطاقات الكامنة للثورة الاشتراكية. بالمقابل فإنهم يصرون على عزو هيمنة الاشتراكية – الديموقراطية في الغرب إلى عوامل ذاتية وظرفية. لهذا السبب أزعم أن هذه الرؤية الثانية تطور صيغة من الإيديولوجيا الامبريالية، قد تأخذ أشكالا "يسراوية" بل "يسراوية" متطرفة.

الفصل الرابع:

من جديد حول النزعة الغربية المتمحورة على ذاتها

1- إن النزعة الغربية المتمحورة على ذاتها هي من نتاج الرأسمالية ... وتتجلى هذه النزعة على نحو مباشر في انعدام كل اهتمام بالمجتمعات غير الغربية، الأمر الذي يلحق تشويها خطيرا بتاريخ الغرب نفسه، ذلك أنه يتعذر فهم الغرب من دون العودة إلى الشرق، إن في الماضي، في العصر المركنتيلي، وإن اليوم، في العصر الامبريالي. فالمكاسب التي تحققها شعوب الغرب من وراء استغلال الأطراف،

في الإطار الامبريالي، تشكل القاعدة الموضوعية لتوغل النزعة الغربية المتمحورة على ذاتها داخل صفوف الحركة العمالية، مفسحة بالتالي المجال أمام إيديولوجيا البورجوازية كي تصبح إيديولوجيا المجتمع بأكمله، الأمر الذي لم تكن قد تمكنت من تحقيقه تماما قبل المرحلة الامبريالية.
لقد غدت الأمم الغربية أمما لبورجوازيات أصغر فأصغر، بمعنى أنه تتركز فيها شرائح متوسطة يتعذر فهم وظائفها بمعزل عن اشتغال النظام العالمي بأكمله، كما أوضح ذلك بولانتزاس. إن تضخم القطاع الثالث الذي غدا غير منتج، واحتمال تركز القطاع الرابع في حال حصول تقسيم دولي جديد يحيل بعض الصناعات إلى الأطراف، يقابلان بتركز تولد فائض القيمة في الأطراف من جراء الاستغلال المباشر بمعدلات أكثر ارتفاعا لفائض القيمة، والسيطرة الشكلية على القطاعات ما قبل الرأسمالية ونهب الموارد الطبيعية إلخ. إن إعادة البناء التي يقتضيها الانتقال الاشتراكي بالنسبة إلى المجتمعات المركزية، ستخلق، في مثل هذه الشروط، مصاعب جمة.
إن الالتباسات التي تحيط بمواقف الحركات الشعبية والعمالية في الغرب تفضح تراجعها الانتهازي أمام هذه المشكلات.
فالسؤال الذي يطرح نفسه في الواقع، يتلخص في معرفة من سيتحمل في النهاية فاتورة فائض أرباح الاحتكارات ...؟
إننا نرى اليسار الغربي يقف، بلا تردد إلى جانب الامبريالية ... وقد عرفت البورجوازية الغربية تماما كيف تستغل نقطة الضعف هذه، فقد توصلت، دون مواجهة صعوبة تذكر، إلى ترويج فكرة مفادها أن للأمم الغربية الحق في ثروات العالم الطبيعية، وأنه لا يتعين على شعوب البلدان المتقدمة أن تكابد من أطماع مشايخ الطرف و بيروقراطيته.
إن النزعة الغربية المتمحورة على ذاتها تلحق بالماركسية تشويها شاملا."

يقول سمير أمين:

"أن عطاء اللينينية يتلخص قبل كل شيء في نظرنا في تطبيقها المنهج الماركسي على شروط العصر الامبريالي الجديد. وقد سمح هذا الإطار للينين بأن يحلل تحليلا سليما تحريفية الأممية الثانية، بردها إلى أساسها الموضوعي، وبأن يصوغ، انطلاقا من هذا الموقف، استراتيجية الثورة الاشتراكية وفق الشروط الجديدة للتطور اللامتكافئ داخل النظام الإمبريالي.
أما عطاء الماوية فهو يتلخص في المقام الأول في استخدام المنهج الماركسي لتحليل شروط الصراع الطبقي في المرحلة الانتقالية.

الجزء الثاني

ا - كرونولوجيا حول فلسطين

يعود تاريخ الشعب الفلسطيني إلى الماضي البعيد للشرق الأوسط، وهو شعب متجدر في أرضه تشهد على ذلك كل العناصر المكونة من لغة وثقافة وتكوين نفسي وجماعة ثابتة في الأرض تشكلت تاريخيا كجزء من الأمة العربية التي عانت من الاستعمار بكل أنواعه القديم والحديث حتى ذلك الذي كان يسمى "خلافة عثمانية". ومنذ القدم كانت أرض فلسطين هدفا للمطامع الإمبراطورية والاستعمارية وجرت فوق أرضها معارك طاحنة وحاسمة في التاريخ، من بينها، **معركة عين جالوت التي جرت يوم 3 سبتمبر 1260م وتم فيها الانتصار بقيادة سيف الدين قطز على جيش التتار المغولي بقيادة هولاكو**، وكذلك **معركة حطين التاريخية بقيادة صلاح الدين الأيوبي** (تلال حطين توجد قرب قرية المجاودة القائمة بين مدينتي طبريا والناصرة في فلسطين) **التي جرت أطوارها يوم4 يوليوز1187م، وتم فيها هزم الصليبيين، وعلى إثرها حررت العديد من المدن الفلسطينية وفي مقدمتها بيت المقدس**. وبعدما وضعت الحرب الامبريالية الأولى أوزارها، قام الاستعمار البريطاني والفرنسي بتقسيم الدولة العثمانية ضمن ما سمي **باتفاقيات سايس – بيكو**، وبقرار من "**عصبة الأمم** " وضعت فلسطين تحت **الانتداب البريطاني.**

فرانسوا جورج بيكو مارك سايكس

لقد كان الشعب الفلسطيني في القرن العشرين، على موعد مع أخطر مؤامرة في تاريخه الطويل، حبكت على يد الاستعمار البريطاني الخبيث وربيبته الحركة الصهيونية العالمية.

هكذا بدأت حكاية أكبر سرقة في التاريخ، سرقة بلد بكامله وطرد شعب وانتزاع أرض أجداده والعمل على محو تاريخه واضطهاده وسن الإبادات الجماعية المستمرة في حقه بمشاركة القوى الامبريالية والرجعية.

سنعمل هنا، على سرد أهم أحداث **المسألة الفلسطينية تجديدا للذاكرة وانعاشا لها** بالنسبة للمناضلين الذين بدأ خطاب **صهاينة العرب** الجدد يجد طريقه إليهم، وذلك **عسى أن تنفع الذكرى،** وفي نفس الوقت تنوير للمناضلين الجدد بوضع أهم المعطيات ذات

الصلة بأهم مسألة يعيشها العالم المعاصر، مسألة شعب يقاتل منذ ما يزيد عن مائة سنة ضد احتلال استعماري استيطاني عنصري وصهيوني بغيض، وذلك من أجل **حريته واستقلاله الوطني ودولته الديموقراطية على كامل تراب فلسطين**.

منطلقات النزاع:

ماذا تعني فلسطين؟

1) فلسطين جزء من الشعب العربي الفلسطيني، جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، والشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية.

2) فلسطين في حدود الانتداب البريطاني تشكل كيانا ترابيا لا يتجزأ.

3) وحده الشعب الفلسطيني له الحقوق الشرعية على وطنه، وبعد تحرير وطني سيمارس حقه في تقرير المصير حسب متمنياته وإرادته وحدها.

4) الهوية الفلسطينية ميزة أصيلة ومتأصلة ودائمة تنتقل من الآباء إلى الأبناء، لا الاحتلال الصهيوني ولا شتات الشعب العربي الفلسطيني الناتج عن الآلام التي عاناها، بإمكانها مسح هذه الهوية الفلسطينية.

5) الفلسطينيون هم المواطنون العرب المقيمين بشكل عادي بفلسطين حتى 1947، سواء فرض عليهم التهجير أو بقوا على أرضهم، كل شخص ولد بعد هذا التاريخ من آباء فلسطينيين، سواء في فلسطين أو خارجها فهو فلسطيني.

6) اليهود المقيمون بشكل عادي في فلسطين حتى حدود بداية الغزو الصهيوني، فهم فلسطينيون.

1896: صدور كتاب" الدولة اليهودية"

أعلن الصحفي اليهودي **تيودور هرتزل** أن إنشاء دولة يهودية في فلسطين ضروري لليهود، ونشر في عام 1896 كتابه **"الدولة اليهودية".**

1897: مؤتمر بازل

يعتبر مؤتمر بازل (سويسرا) الحدث التأسيسي للحركة الصهيونية. دعا المؤتمر إلى **إنشاء صندوق قومي يهودي لشراء الأراضي في فلسطين.**

1915: اتفاقية حسين مكماهون

حسين بن علي — هنري مكماهون

اتفاقية حسين مكماهون: وعد البريطانيون العرب بإنشاء مملكة على شبه الجزيرة العربية بأكملها، بعد انتصارهم على الإمبراطورية العثمانية.

1916: اتفاقيات سايس بيكو

اتفاقيات سايكس بيكو السرية: بريطانيا العظمى وفرنسا تتفقان على تقسيم الشرق الأوسط في انتهاك لاتفاقية حسين مكماهون. ومن المخطط وضع فلسطين، مقر المشاعر المقدسة، تحت **المكانة الدولية.**

وثيقة وعد بلفور

1917: وعد بلفور

وعد بلفور: اصدار وعد بلفور الذي تعد فيه بريطانيا الحركة الصهيونية **بمساعدتها في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.**

الانتداب البريطاني

1922: الانتداب

عصبة الأمم تسند الانتداب على فلسطين إلى بريطانيا العظمى.

وثيقة اتفاقية هآرفا

1933: اتفاقية هآرفا (اتفاقية التهجير)

تم تعيين هتلر مستشارا لجمهورية فايمار. حفزت السياسات المعادية للسامية للرايخ الثالث الهجرة اليهودية إلى فلسطين. توقيع **"اتفاقية هآرفا"** التجارية بين الوكالة اليهودية الصهيونية وهتلر لتسهيل تهجير اليهود إلى فلسطين مقابل تكسير المقاطعة الاقتصادية اليهودية في أوربا للاقتصاد الألماني، إضافة إلى تصدير بضائع وممتلكات اليهود المهجرين إلى فلسطين كبضائع ألمانية لإنعاش اقتصاد ألمانيا المتدهور في فترة ما بين الحربين العالميتين. انتقل 60 ألف من اليهود الأشكناز الى فلسطين وتضاعف الرقم بعد ثلاث سنوات ليصل إلى 385الف يهودي الماني وأوربي.

ثوار فلسطينيون

1936 –39: الثورة الفلسطينية الكبرى

اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى ضد الاحتلال البريطاني والاستعمار الصهيوني. القمع يقضي على النخبة الفلسطينية، والميليشيات الصهيونية، **الهاغاناه والإرغون**، تتنظم كجيش حقيقي.

1937: أول خطة لتقسيم فلسطين: خطة بيل

اقترحت خطة التقسيم الأولى هاته **منح 30٪** من فلسطين **لليشوف** (الجالية اليهودية).

خطة بيل لتقسيم فلسطين، 1937

1938: مؤتمر ايفيان

فشل مؤتمر إيفيان، الذي كان يهدف إلى مساعدة اللاجئين اليهود الألمان والنمساويين الفارين من النظام النازي.

1939: الكتاب الأبيض البريطاني

PALESTINE
Statement of Policy

دعا الكتاب الأبيض البريطاني إلى **استقلال فلسطين بحلول عام1947**، وخضوع الهجرة اليهودية لموافقة السكان العرب، واتخاذ تدابير للحد من استحواذ الصهاينة على الأراضي.

1941 –45: إبادة اليهود

قام النظام النازي بإبادة جماعية لليهود الأوروبيين.

Zionist Conference held at the Biltmore Hotel in New York City

1942: برنامج بلتمور

تم اعتماد برنامج **بيلتمور** في نيويورك الذي طالب الصهاينة فيه **بدولة يهودية على كل فلسطين الانتدابية**.

1946: تأجج الاشتباكات

اشتباكات واسعة النطاق تعرفها فلسطين.

إنشاء كيان صهيوني تحت اسم "إسرائيل" وعواقبه على الفلسطينيين

1947: قرار تقسيم فلسطين

أصدرت الأمم المتحدة **القرار181**، الذي يقسم فلسطين إلى **دولة يهودية (56٪ من الأراضي)**، **ودولة عربية (44٪ من الأراضي) ومنطقة تحت الوصاية الدولية (القدس وبيت لحم)**. قبل الصهاينة بالقرار ورفضه الفلسطينيون.

1948: خطة دليث أو الخطة د

في مارس من هذه السنة، نفذ بن غوريون **خطة دالت للتطهير العرقي**. وضعت الخطة منظمة الهاجانه الصهيونية الإرهابية. وكان الهدف منها الاستيلاء على أكبر عدد من الأراضي وطرد أكبر عدد من الفلسطينيين وفرض **سياسة الأمر الواقع** على كل الأطراف.

14 ماي: اعلان "دولة الكيان الصهيوني"

أعلنت "**دولة إسرائيل**" في 14 أيار/مايو. في اليوم التالي، اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى بمبادرة من الدول العربية المجاورة. وانتهت الحرب بهزيمة الجيوش العربية، واحتلت "إسرائيل" 78 في المائة من فلسطين الانتدابية.

في المجموع، تم **تدمير400 قرية عربية**، مما أدى إلى نزوح **800000 فلسطيني**، و**كانت النكبة، الكارثة**.

وفي 11 ديسمبر/كانون الأول

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة **القرار رقم 194** الذي ينص:

"على أنه ينبغي السماح للاجئين الذين يرغبون في ذلك بالعودة إلى ديارهم في أقرب وقت ممكن".

1950: قانون العودة

تم تمرير قانون العودة، بحسبه يمكن لأي يهودي يتقدم بطلب، أن يهاجر إلى "إسرائيل" ويصبح مواطنا. إسرائيل تصبح عضوا في الأمم المتحدة.

1956: أزمة قناة السويس

قامت فرنسا وبريطانيا إلى جانب "إسرائيل" بشن حرب عدوانية ضد مصر وتصدى لها الشعب المصري ببطولة، وشارك فيها الشيوعيون المصريون ببسالة. وسميت **بالحرب العربية الإسرائيلية الثانية**.

قام الصهاينة بارتكاب مجزرة رهيبة بحق سكان **قرية كفر قاسم** الفلسطينية. (قتل شيوخ ونساء وأطفال)

المقاومة الفلسطينية

1959: تأسيس فتح

جرت في غزة والكويت لقاءات سرية بين مجموعة من المناضلين الثوريين الفلسطينيين من أبرزهم ياسر عرفات وصلاح خلف وخليل الوزير. وقد تمخض عن اللقاءات تأسيس حركة التحرير الوطني "فتح".

1964: تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية

تأسست منظمة التحرير الفلسطينية في القدس، تحت رعاية مصر، وذلك سنة1964، وأول رئيس لها، هو أحمد الشقيري الذي هو أول من أسسها.

فاتح يناير1965: أول عملية مسلحة

انطلاق أول عملية مسلحة **لحركة التحرير الوطني "فتح"(قوات العاصفة)** في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

خامس يونيو1967: الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة

المعروفة باسم حرب **"الأيام الستة"** و**"هزيمة حزيران"**، قام الكيان الصهيوني بشن حرب عدوانية على مصر وسوريا والأردن، وانتهت الحرب بهزيمة الجيوش العربية واحتلال القدس الشرقية والضفة الغربية وغزة، فضلا عن الجولان السوري وسيناء المصرية. وأعلن الصهاينة **"القدس الموحدة"** عاصمة لإسرائيل. نزوح 200,000 فلسطيني و150,000 سوري من الجولان وبداية استعمار الضفة الغربية.

11دجنبر1967: تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كامتداد " لحركة القوميين العرب، فرع فلسطين" الذي حل نفسه بعد هزيمة حرب 1967.ومن أبرز القادة المؤسسين: جورج حبش(الحكيم)، مصطفى الزيبري (أبوعلي مصطفى)، وديع حداد (أبو هاني، الخال)، نايف حواتمة، أحمد جبريل، أحمد اليماني...تعتبر الجبهة أول فصيل فلسطيني يساري ماركسي لينيني.

1968: استقلال منظمة التحرير

منظمة التحرير الفلسطينية تحصل على استقلالها عن الدول العربية.

1969: الدولة الديموقراطية

حركة فتح وجبهة التحرير الفلسطينية تعلنان عن تأييدهما ل "**دولة فلسطينية ديمقراطية وعلمانية**" يتساوى فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون.

22فبراير1969: تأسيس الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين

تأسست الجبهة الديموقراطية في 22فبراير1969 على إثر انشقاق داخل الجبهة الشعبية قاده نايف حواتمة وياسر عبد ربه وآخرون. وشكلت الجبهة الديموقراطية وقتها ثاني فصيل فلسطيني يساري ماركسي لينيني.

1970: أيلول الأسود

وقعت أحداث **سبتمبر الأسود** في الأردن، عندما قام الملك حسين، ملك الأردن، بتصفية المقاومة الفلسطينية في البلاد، بناء على طلب من الولايات المتحدة. وهرب المقاتلون الفلسطينيون إلى لبنان.

1972: عملية الكوماندوز "أيلول الأسود" في أولمبياد ميونيخ تسفر عن مقتل عدد من الرياضيين "الإسرائيليين".

1973: الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة المعروفة باسم حرب "**يوم الغفران**" (صادفت يوم عيد ديني يهودي) **وحرب أكتوبر التي** بدأتها مصر وسوريا وشكلت اول هزيمة عسكرية لجيش الاحتلال الصهيوني....

1974: الأمم المتحدة والاعتراف بتمثيلية منظمة التحرير الفلسطينية

جامعة الدول العربية، والأمم المتحدة، تعترفان بتمثيلية منظمة التحرير الفلسطينية وبالحقوق المشروعة للفلسطينيين.

1975: الحرب الأهلية في لبنان.

قاتل الفلسطينيون إلى جانب القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ضد حزب الكتائب اليميني المسيحي الفاشي المدعوم من "إسرائيل ".

صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 3.379 الذي يساوي الصهيونية مع شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري. تم إلغاء هذا القرار في ديسمبر 1991 بموجب قرار 48\46 الجمعية العامة للأمم المتحدة.

1976: يوم الأرض

أثارت موجة جديدة من مصادرة الأراضي مظاهرة كبيرة وإضرابا عاما تم قمعها بعنف. وللذكرى، يتم تخصيص لهذا التاريخ "**يوم الأرض**" كل عام في 30 مارس.

أنور السادات يصل مطار "بن گوريون" حيث يستقبله مناحم بيگن، في 19 نوفمبر 1977.

1977: صعود "الليكود" والزيارة الخيانية لأنور السادات

فوز الليكود في انتخابات الكيان الصهيوني وتزايد المستوطنات في الأراضي المحتلة. **مناحيم بيغن** يؤكد رغبته في تحقيق "**أرض إسرائيل**" أو "**إسرائيل الكبرى**".

زيارة خيانية للرئيس المصري أنور السادات، الذي أصبح أول زعيم عربي يزور الكيان الصهيوني.

الكيان يعرف ولادة حركة "**شالوم أخشاف**" ("**السلام الآن**").

من اليمين بيگن، كارتر، السادات

1978: غزو لبنان وكامب دافيد

الكيان يغزو جنوب لبنان.

عقد **اتفاقيات كامب دافيد** بين مصر والكيان الصهيوني، الموقعة في واشنطن تحت رعاية رئيس الولايات المتحدة، وهي ما يعرف "**بالسلام المنفصل**" بين مصر والكيان.

1980: ضم القدس الشرقية من قبل الكيان الصهيوني.

1981: ضم الجولان السوري.

اغتيال الرئيس المصري أنور السادات.

1982: إسرائيل تخلي سيناء وتغزو لبنان.

1982 –83: الجيش الصهيوني يحاصر **بيروت**، واضطرار منظمة التحرير الفلسطينية إلى مغادرة لبنان. **الكتائب**، وهي **ميليشيا لبنانية**، تذبح الفلسطينيين في مخيمي **صبرا وشاتيلا** في لبنان، بدعم من الجيش الصهيوني.

1987 –1989: ثورة الحجارة

انطلاق **الانتفاضة الأولى** ("الانتفاضة")، المعروفة باسم "**ثورة الحجارة**"، وهي مقاومة شعبية استمرت أكثر من أربع سنوات. وقد أسفرت حملة القمع التي شنها الجيش الصهيوني عن مقتل أكثر من 2000 فلسطيني.

ياسر عرفات، أمام المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في العاصمة الجزائرية، يعلن "استقلال فلسطين"، في 15 نونبر 1988.

1988: إعلان دولة فلسطين المستقلة

في الدورة 19 **للمجلس الوطني الفلسطيني**، أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية **دولة فلسطين المستقلة**، وأعلنت **التزامها بقرارات الأمم المتحدة181و242و338**، وأكدت من جديد إدانتها للإرهاب.

ياسر عرفات يؤكد الاعتراف بإسرائيل في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

زمن المفاوضات

1991: حرب الخليج.

"مؤتمر السلام العربي الإسرائيلي" في مدريد ينعقد بمبادرة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

1992: فوز حزب العمال في الانتخابات. **اسحاق رابين** يصبح رئيس وزراء الكيان.

1993: "اتفاقات أوسلو"، بعد مفاوضات سرية بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة رابين. وقد تم وضع حد للانتفاضة الأولى.

ياسر عرفات، بيل كلينتون و رابين خلال التوقيع على "اتفاقية أوسلو"

1994: تأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية في غزة وأريحا.

مستوطنون صهاينة يذبحون 29 فلسطينيا في الحرم الإبراهيمي في الخليل.

اتفاقيات باريس بشأن القضايا الاقتصادية.

معاهدة سلام بين الكيان والأردن.

1995: اتفاق طابا، "أوسلو الثانية". رسم المناطق (أ) و(ب) و(ج) في الأراضي المحتلة.

اغتيال إسحاق رابين على يد قومي صهيوني متطرف.

1996: إنشاء وانتخاب المجلس الوطني التشريعي الفلسطيني. انتخاب احمد قريع رئيسا له..

السلطة الوطنية الفلسطينية تحذف المواد التي تشكك في وجود إسرائيل من **الميثاق الوطني الفلسطيني.**

فوز بنيامين نتنياهو (الليكود) في الانتخابات.

1997: بروتوكول إعادة الانتشار "الإسرائيلي" في الخليل. تكثيف المستوطنات في القدس الشرقية.

1998: خطة "إسرائيلية" لبلدية واحدة للقدس، تعادل ضم مستوطنات "القدس الكبرى".

1999: نهاية فترة الحكم الذاتي المؤقت التي كان على الأطراف خلالها إيجاد حل نهائي للقضايا الرئيسية (القدس واللاجئين والحدود وما إلى ذلك). فوز انتخابي لإيهود باراك، رئيس حزب العمل ورئيس الوزراء "الإسرائيلي".

2000: الانسحاب "الإسرائيلي" من لبنان. فشل قمة كامب ديفيد. استفزاز أرييل شارون لساحة المساجد أثار الانتفاضة الثانية. "إسرائيل" تدمر مرافق السلطة الفلسطينية في غزة. وحدوث العديد من التفجيرات الانتحارية في "إسرائيل". فشل اتفاقات أوسلو.

2001: تعنت إيهود باراك بشأن القدس والحدود وقضية اللاجئين يؤدي إلى فشل مفاوضات طابا. أريئيل شارون يفوز في الانتخابات ويصبح رئيسا للوزراء. ياسر عرفات يجبر على البقاء في رام الله. الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك.

2002: أريئيل شارون يرفض مبادرة السلام العربية التي اعتمدتها دول الجامعة العربية بالإجماع. وفي اليوم التالي، أدت عملية "سوروارك" إلى إعادة احتلال مناطق الحكم الذاتي الفلسطينية بوحشية. بداية بناء جدار "الفصل" العنصري. اشترط جورج دبليو بوش إنشاء دولة فلسطينية ب "قيادة فلسطينية جديدة ومختلفة".

2003: الولايات المتحدة تفرض ترشيح محمود عباس رئيسا لوزراء السلطة الوطنية الفلسطينية. عرض ميثاق جنيف. وضع الاتحاد الأوروبي الجناح السياسي لحماس على قائمة "المنظمات الإرهابية". قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الداعي إلى وقف بناء الجدار. الغزو الأمريكي للعراق.

2004: اغتيال الكيان للشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي، الزعيمين الروحيين لحماس. حكم على مروان البرغوثي، وهو ناشط فلسطيني وعضو في البرلمان، بالسجن مدى الحياة خمس مرات. إعلان محكمة العدل الدولية أن تشييد الجدار يتعارض مع القانون الدولي. وفاة ياسر عرفات. انسحاب "إسرائيلي" أحادي الجانب من غزة.

2005: انتخاب محمود عباس رئيسا للسلطة الوطنية الفلسطينية. انسحاب "إسرائيل" من قطاع غزة، وسيطرتها على جميع المخارج، وتحويل غزة إلى غيتو. المجتمع المدني الفلسطيني يطلق دعوة إلى المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات على الكيان الصهيوني.

2006: حماس تفوز في الانتخابات البرلمانية في الأراضي المحتلة. وعلى الرغم من الاعتراف بنزاهة العملية الانتخابية، يعلق الاتحاد الأوروبي دعمه للسلطة الوطنية الفلسطينية. إسرائيل تعلق إعادة الرسوم الجمركية إلى السلطة الوطنية الفلسطينية. الجيش "الإسرائيلي" يطلق عملية "أمطار الصيف" ضد قطاع غزة وعملية "العقاب المناسب" ضد لبنان.

2007: على الرغم من الاتفاق على تشكيل حكومة وحدة وطنية، أدت الاشتباكات الفلسطينية في غزة بين حماس وفتح إلى سيطرة حماس على القطاع.

المأزق:

فشل أوسلو واستمرار الاستعمار والاحتلال مع الإفلات التام من العقاب

2008: بعد هدنة دامت خمسة أشهر، استأنفت "إسرائيل" عمليات القتل خارج نطاق القانون لنشطاء حماس، الذين ردوا بإطلاق الصواريخ. حملة "الرصاص المصبوب" ضد قطاع غزة.

2009: الجيش "الإسرائيلي" يستخدم أسلحة محظورة ضد سكان غزة.

تقرير القاضي غولدستون عن الهجوم الإسرائيلي على غزة.

الأمم المتحدة ترضخ لضغوط الولايات المتحدة وتؤجل التصويت على الإحالة إلى المحكمة الجنائية الدولية.

2010: الجيش "الإسرائيلي" يهاجم أسطول الحرية الذي أطلقته الحركة الدولية للتضامن مع الشعب الفلسطيني من أجل كسر الحصار المفروض على غزة. أسفر الهجوم عن مقتل تسعة ركاب على الأقل.

باراك أوباما يجبر أبو مازن على استئناف المحادثات المباشرة مع بنيامين نتنياهو في واشنطن، ولكن دون جدوى.

2011: "الدولة الفلسطينية" تتقدم بطلب للانضمام إلى الأمم المتحدة. تصويت فلسطين للانضمام إلى اليونسكو.

فيتو أمريكي في مجلس الأمن الدولي بشأن إدانة المستوطنات.

2012: فلسطين تصبح" دولة ملاحظة" في الأمم المتحدة.

اغتيال الأجهزة "الإسرائيلية" لأحمد الجعبري، زعيم حماس والمحاور الرئيسي للحكومة "الإسرائيلية."

إطلاق عملية "عمود السحاب" "الإسرائيلية" ضد قطاع غزة.

2013: استئناف المحادثات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية في واشنطن.

2014: فشل آخر لمفاوضات السلام الفلسطينية "الإسرائيلية" بقيادة وزير الخارجية الأمريكي جون كيري. عملية الجرف الصامد الإسرائيلية ضد غزة.

انتفاضة الفلسطينيين في القدس احتجاجا على الاحتلال.

2015: بنيامين نتنياهو يفوز في الانتخابات تحت شعار "لا لدولة فلسطينية".

صدور تقرير كسر الصمت حول جرائم الحرب "الإسرائيلية".

تزايد الهجمات على القرى الفلسطينية في الضفة الغربية من قبل مجموعات المستوطنين.

أصبحت فلسطين العضو رقم 123 في المحكمة الجنائية الدولية. وبذلك يمكنها الآن، أن تعمل كدولة في هذه المنظمة الدولية، وأن تصوت هناك.

2016: مجلس الأمن الدولي يتبنى القرار رقم 234 الذي يدين الاحتلال "الإسرائيلي" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما في عام 1980.

2017: الحكومة "الإسرائيلية" والجيش والمستوطنون يصعدون العنف.

الفلسطينيون، من خلال التعبئة غير العنيفة، يدفعون الحكومة إلى الوراء. وحصلوا على وجه الخصوص، على إزالة بوابات التحكم عند مداخل ساحة المساجد.

اعتراف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل، لكن الجمعية العامة للأمم المتحدة ترفض بأغلبية ساحقة هذا الاعتراف الأحادي الجانب.

2018: في 30 آذار/مارس، بمناسبة يوم الأرض في فلسطين (يوم احتجاج على مصادرة "إسرائيل" للأراضي الفلسطينية)، بدأت "مسيرات العودة الكبرى" في غزة. هذه المظاهرات، التي جرت كل يوم جمعة حتى كانون الأول/ديسمبر 2019، قمعها الجيش "الإسرائيلي" بعنف. تم قتل 348 فلسطينيا بنيران الجيش "الإسرائيلي"، وأصيب 7,800 آخرون بطلقات نارية، وفقا لمنظمة الصحة العالمية.

14ماي: افتتاح الولايات المتحدة رسميا لسفارتها في القدس.

19 يوليو: أصدرت إسرائيل ما يسمى بقانون "الدولة القومية للشعب اليهودي"، الذي يجعل الاستعمار قيمة وطنية يجب تشجيعها ويميز ضد عرب "إسرائيل"، الذين يشكلون 20٪ من السكان، ولا سيما حرمان اللغة العربية من مكانتها كلغة رسمية بنفس الطريقة التي تعامل بها اللغة العبرية.

2019: محكمة العدل التابعة للاتحاد الأوروبي تؤكد أن منتجات المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة يجب أن تتضمن إشارة صريحة إلى مصدرها.

2020: كانون الثاني (يناير): رفض الفلسطينيون على الفور خطة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للسلام، التي تدعو إلى ضم المستوطنات.

17 مايو: أعلنت حكومة الوحدة الوطنية برئاسة نتنياهو وغانتس أن "إسرائيل" تخطط لضم غور الأردن والمستوطنات في الضفة الغربية، في يوليوز 2021.

|| - ثورة 1936 الفلسطينية

لقد كانت هذه الثورة نموذجا لثورة فلسطينية جماهيرية حقيقية فشلت بسبب **قيادتها البورجوازية والعشائرية**. وفي نفس الوقت، نموذجا لمقاومة شعبية تكذب مزاعم المطبعين **وصهاينة العرب الجدد** القائلة أن الفلسطينيين باعوا أراضيهم للصهاينة و تخلوا عنها.

التاريخ: أكتوبر1936 – مارس 1939

المكان: فلسطين تحت الانتداب البريطاني

قيادة الثورة:

قادت "**اللجنة العربية العليا**" الثورة إلى حدود أكتوبر 1937، ثم أخذت مكانها "**اللجنة المركزية للجهاد الوطني في فلسطين** "ابتداء من أكتوبر 1937، ساهم فيها فلسطينيون ومتطوعون من العالم العربي.

من الجهة الأخرى، في مواجهة الثورة: الجيش البريطاني، الشرطة الفلسطينية، البوليس الاستعماري اليهودي ومنظمات صهيونية، مثل **الهاغانا والإرغون**.

قادة الثورة:

عبد الرحيم الحاج محمد

من أبرز قادتها: عبد الرحيم الحاج محمد، حسن سلامة، أمين الحسيني، جمال الحسيني، راغب النشاشيبي، سعيد العاص و فوزي القاوقجي.

بدأت الثورة بأعداد قليلة، ما بين 1000 و3000 خلال سنة 1936- 1937، **ثم ارتفع العدد** إلى ما بين 2500 و7500 سنة 1938، بالإضافة إلى 6000 و15000 قدماء المحاربين.

الطرف الآخر: كان يضم ما بين 25 ألف و50000 جندي بريطاني، إضافة إلى 20 ألف شرطي يهودي و15 ألف من أعضاء **الهاغانا** و2000 من أعضاء **الأرغون** (منظمات إرهابية صهيونية).

كان مطلب الثورة: إنهاء الانتداب البريطاني وخلق دولة عربية مستقلة، وإنهاء الهجرة اليهودية الصهيونية. لقد كانت هذه الثورة لحظة قوية في تاريخ النضال الفلسطيني، وكانت لها نتائج على أحداث الصراع الفلسطيني – الصهيوني.

سحقت الثورة مخلفة وراءها حوالي 5000 قتيل، من بينها 1000 نتيجة الاقتتال الداخلي، 15 ألف جريح، و108 تم إعدامهم، واعتقل 12622، بينما قتل في صفوف البريطانيين 262 شخص وجرح 550، و300 قتيل يهودي.

أدت الهزيمة العسكرية للثورة إلى تفكيك القوى العسكرية الموازية الفلسطينية، واعتقال قادتها ونفيهم، مما عزز القوى الموازية الصهيونية التي دعمتها بريطانيا. ومع ذلك كانت قد تحققت بعض النتائج مع هذه الثورة، فقد جاء في **الكتاب الأبيض البريطاني سنة 1939 قرار بالحد من الهجرة اليهودية، ومن انتقال الأراضي العربية إلى اليهود، ووعد الكتاب الأبيض بخلق دولة موحدة في أفق عشر سنوات، حيث يتقاسم اليهود والعرب حكومة تعمل على الحفاظ على مصالح كل جماعة، وقد رفض اليهود والمنظمات الموازية مطلب الدولة الواحدة، وانطلقوا في تمرد عام توقف نتيجة الحرب العالمية الثانية.**

في جذور الصراع الصهيوني الفلسطيني:

في نهاية القرن 19، بدأ التيار الصهيوني يتبلور وسط الجماعات اليهودية في أوروبا مطالبا بخلق **دولة يهودية**، وأعلنت بريطانيا **سنة1917** من خلال **وعد بلفور مساندتها الرسمية للمشروع الصهيوني**، وسارت على نفس المنوال **عصبة الأمم**، التي أعطت لبريطانيا **حق الانتداب** على فلسطين، **من أجل تشجيع الهجرة اليهودية، وخلق وطن قومي يهودي.**

وقد عارضت الجماهير الفلسطينية والعربية هذا المشروع، فانطلقت المظاهرات في عموم فلسطين، ابتداء من 1919، وسنة 1920، وأدت هذه الانتفاضات الفلسطينية إلى سقوط عشر قتلى و250 جريحا في القدس، وذلك عشية مؤتمر سان ريمو، الذي كان عليه أن يصادق ويمهد لقيام الانتداب البريطاني، وبعد فشل محاولة الملك فيصل ملك الأردن في السيطرة على سوريا، حيث كانت فلسطين ستشكل إقليما للدولة.

عرف النضال الفلسطيني مدا كبيرا، فانطلقت انتفاضات جديدة سنة 1921، وطالب العرب الفلسطينيون باستقلالهم وبتوقيف الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وتم توقيف إطلاق النار وتشكيل **"لجنة بيل"** التي كان من أهدافها تحديد أسباب الانتفاضة ومستقبل فلسطين، وستتبنى **"لجنة بيل" فكرة خلق دولتين، دولة فلسطينية ودولة يهودية، واتفق اليهود على الفكرة**، وظهر قادة للصهاينة من بينهم **دفيد بن غوريون وحاييم وايزمان**، بينما رفضها الفلسطينيون، فأعلن **العوني عبدالهادي**:

"سنناضل وسنقاتل ضد تقسيم البلد وضد الهجرة اليهودية، إننا لا نقبل أي توافق".

وسمح **مؤتمر بلودان** في سوريا في شتنبر 1937، برفض مقترحات تقسيم فلسطين تحت الانتداب وتشكيل دولة يهودية على أرضها، وأعلن أن **فلسطين كل لا يتجزأ من الأمة العربية**، وتشكلت مجموعة من اللجان للبحث عن طريقة لمنع "لجنة بيل". لقد شكل مؤتمر بلودان فرصة للمساندة العربية للحركة المناهضة للصهيونية.

واستمرت الثورة سنة 1938 إلى درجة أن البريطانيين فقدوا السيطرة على المدن الكبرى الفلسطينية لمدة خمسة أيام منها القدس، وهاجم الثوار الفلسطينيون اليهود الصهاينة والقوات والشرطة البريطانية، وكذلك الموظفين البريطانيين أو الفلسطينيين اللذين كانوا يعملون لصالح الإدارة.

ولإخماد الثورة أدخلت بريطانيا فرقتين عسكريتين يبلغ تعدادها 25 ألف رجل.

انطلاق الثورة:

بعد إطلاق إضراب عام، أعلن الفلسطينيون أنهم لن يؤدوا الضرائب، في هذه اللحظة، انطلقت انتفاضة مسلحة عفوية ستتنظم فيما بعد، و هاجم الثوار خط الأنابيب الذي يربط كركوك بحيفا، وهاجموا خطوط السكة الحديدية والقطارات، وعرفت مدينة تل أبيب مواجهات عنيفة بين الفلسطينيين واليهود الصهاينة، ودخل على الخط **الشيخ عزالدين القسام مؤسسا** حركة جديدة **(العصبة القسامية)**، بدأت عملياتها المسلحة في 15 أبريل 1936، حيث قتل الثوار تسعة صهاينة و فر 12 ألف منهم إلى تل أبيب، وتم قتل عاملين فلسطينيين كانتقام من الصهاينة، فانطلق إضراب عام تحول إلى انتفاضة.

في يوم 25 أبريل 1936، يعلن رؤساء الأحزاب تشكيل **"اللجنة العليا العربية** يرأسها مفتي القدس **محمد أمين الحسيني، ودعت اللجنة إلى الاستمرار في الإضراب حتى تحقيق المطالب الوطنية والتوقيف الكامل للهجرة اليهودية، ومنع شراء الأراضي من طرف اليهود، وتشكيل حكومة وطنية مسؤولة أمام البرلمان. وهدأت الأوضاع نسبيا بسبب المجهودات الدبلوماسية البريطانية بمساعدة الدبلوماسية السعودية واليمن.**

هوامش:

-انطلقت الصراعات بين العائلات الكبرى والعشائر الفلسطينية خاصة بين عائلة النشاشيبي وعائلة الحسيني، حيث سقط 1000 قتيل.

- لقد اعتبر البريطانيون الثوار إرهابيين ومتمردين ولصوص وعصابات إجرامية، بينما كان الثوار يخوضون ثورتهم باسم الأمة العربية، ومن أجل الفلاحين، انطلاقا من مفهوم الجهاد الذي أسس لأسلوبه عز الدين القسام.

وفي 16 يونيو 1936، قام البريطانيون بتفجير من 220 إلى 240 عمارة بيافا، الشيء الذي أدى إلى فقدان 6000 فلسطيني لمساكنهم وممتلكاتهم، وتم تدمير يافا في جزء منها، واعتقال لآلاف من المناضلين الفلسطينيين، أعدم العشرات منهم، كما حصل في قرية مير، التي تم تدميرها عن آخرها في أكتوبر 1938.

وقد عرفت المواجهات أوجها في 26 شتنبر 1938، حيث تم اغتيال **لويس آندريوز** مندوب قطاع الخليل، مما أدى إلى تصعيد في شراسة القمع، وتم تعيين **شارل تيغارت** كمسؤول عن مواجهة الإرهاب والحفاظ على الأمن في فلسطين، وتم نفي أعضاء اللجنة العليا العربية إلى جزر **السيشيل**، وقام البريطانيون ببناء 70 قلعة لتشكل سجونا في مختلف القرى، وتم الإتيان **بكلاب دوبرمان** من إفريقيا الجنوبية للبحث عن الإرهابيين المنتفضين في قراهم، كما بدأ تصنيف القرى الفلسطينية بين **قرى جيدة** و **قرى** أخرى **سيئة**، وتتعرض القرى السيئة إلى **عقاب جماعي**، ولجأ الفلسطينيون إلى طرق **حرب العصابات** في المناطق القروية و**طرق الإرهاب** في المناطق الحضرية : تفجير قنابل و اغتيالات، وقامت السلطات البريطانية بإعدام 140 منتفض، واعتقال 9000 مشبوه ، وطرد القادة المحليين، وإعلان حالة الطوارئ.

وقد بدا تأثير الانتفاضة على البريطانيين، حيث بدأوا ينسحبون من فلسطين، واستهدفت الثورة مجموعة من العائلات خاصة الغنية (مثال حيفا) وذلك لبيعهم لأراضيهم لمنظمات وأفراد صهاينة، وكذلك مجموعة من الخونة والعملاء من قبيل **فتاح البلاوي**، الذي كان يعمل مع البريطانيين في عكا، و شيخ قرية الجوني، و كذلك الشيخ محمد حودة الأنصاري في القدس، وعناصر تعمل في الشرطة الفلسطينية، وقد وجد فلسطيني مقتولا و لسانه مقطوع و ورقة على جسمه مكتوب عليها "**هذا ثمن الخيانة**".

|||- المقاومة الفلسطينية من مجزرة الأردن 1970 (أيلول الأسود) إلى طوفان الأقصى أكتوبر 2023

1 - فلسطين: مجازر الأردن 1970

لا يمكن تناول تاريخ القضية الفلسطينية خارج محيطها الجغرافي العربي والإقليمي، ومن تمة لا يمكن اختزال القضية الفلسطينية فقط في مسألة العلاقة بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني، أي مجرد اغتصاب للأراضي و استعمار صهيوني، وشكل من أشكال الفصل العنصري الممارس ضد الشعب الفلسطيني، فهناك لاجئون فلسطينيون هاجروا قهرا سنة 1948 ظل أغلبهم يراوده حلم العودة إلى وطنه لحد الحفاظ على مفاتيح منزله، ولذلك كان اللاجئون هم أكثر من عانق الإيديولوجيات المختلفة أملا في تحقيق ذلك الحلم، وهناك من هاجر قسرا بعد هزيمة يونيو 1967 واستيلاء الكيان الصهيوني على باقي فلسطين (الضفة وقطاع غزة).

إن المسألة الفلسطينية لا تهم فقط فلسطينيي الضفة والقطاع، إنها تهم كذلك اللاجئين، اللذين يعيشون في مخيمات بلدان الجوار أو بلاد الشتات، ويتزايد عددهم يوما عن يوم نتيجة الوضع السيء الذي يعيشونه، ومجرد التأمل في هذه المسألة، يظهر ألا حل توافقي ممكن بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين، خاصة وأن الفلسطينيين عامة، واللاجئون منهم خاصة، متشبثون **بحق العودة**، الذي تكفله القرارات الأممية.

حسب بعض الأرقام الخاصة بسنة 2014، يعيش في الكيان الصهيوني مليون و600 ألف فلسطيني، وهم اللذين يطلق عليهم عرب إسرائيل (الآن حوالي مليونين)، ويعيش في الضفة مليونان و800 ألف، بينما يعيش في غزة مليون و800 ألف، وهناك ستة ملايين موزعين على بلدان العالم خاصة دول الجوار العربية.

إن عدد سكان الكيان الصهيوني يبلغ 9،7 مليون، منهم 7،1 مليون يهودي، والباقي عرب فلسطينيين.

إن مشروع الدولتين لشبه مستحيل لأن عودة اللاجئين ستقلب المعطيات الديموغرافية لصالح الفلسطينيين، وهو ما يرفضه مطلقا الكيان الصهيوني، ويتجلى ذلك في معاداته لحق العودة.

1-أماكن تواجد اللاجئين وأعدادهم:

* **الأردن:** عشر مخيمات رسمية، عدد اللاجئين 2070973، المجموع 2154486

* **لبنان :**12 مخيما رسمية. عدد اللاجئين 447328، المجموع 483375

* **سوريا:** تسع مخيمات رسمية. عدد اللاجئين 517255، المجموع 569645

* **الضفة الغربية:** 19 مخيما، عدد اللاجئين 754411، المجموع 914192

* **قطاع غزة:** ثمان مخيمات. عدد اللاجئين1240082، المجموع 1307014

إن هذا التوزيع سيكون له الأثر الكبير على الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد انعكس ذلك في **تغير مركز الثقل حسب المراحل**، كما تنعكس المسألة على بلدان الجوار، خاصة حالة الأردن، الذي يصل عدد سكانه سنة 2023 إلى 11300000، **نصفها فلسطيني**.

إن هذا الوضع الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني هو نتيجة للهزائم التي منيت بها الجيوش العربية سنة 1948، وسنة 1967، حيث قام الكيان الصهيوني بإلحاقات مختلفة آخرها الاستيلاء على الضفة والقطاع، اللذان كانا تابعان للأردن ومصر، وقد قام الكيان بضم القدس الشرقية والجولان السوري.

2-اليسار الفلسطيني من 1960 إلى 1970:

وديع حداد

لقد ولدت هزيمة 1948 أولى المنظمات الفلسطينية المستقلة في شكل **تنظيم مسلح** كان يعتبر جزءا من "**حركة القوميين العرب**"، وقد ساهم في تأسيسه كل من الدكتور جورج حبش، الملقب بالحكيم(الطبيب) و وديع حداد، و ماهر اليمني و غيرهم، و هؤلاء هم أنفسهم، الذين سينشقون عن التنظيم، ليؤسسوا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد هزيمة 1967، وينتقلون بذلك من الفكر القومي إلى الفكر الماركسي اللينيني.

جورج حبش

في سنة 1964، تم تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، التي كان يقودها أحمد الشقيري ذو التوجه القومي، لكن بعد هزيمة 67، و فشل الفكر القومي البورجوازي الصغير في تحقيق مهمة تحرير فلسطين، و بعد تحقيق المقاومة الفلسطينية لانتصارها الأول على الكيان الصهيوني في **معركة مخيم الكرامة بالأردن سنة1968**، و ذلك ضد الدبابات الصهيونية، التي لاذت بالفرار، و بعد حصول التفاف جماهيري كبير حول حركة التحرير الوطني فتح، و حول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، استطاع ياسر عرفات أن يستولي على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بحكم الأغلبية التي تتوفر عليها حركة فتح داخل منظمة التحرير.

لقد ولدت حركة فتح سنة 1959، على يد مجموعة من القادة، أبرزهم ياسر عرفات و أبو إياد و أبوعلي إياد و أبو جهاد وغيرهم، و بعد ست سنوات من الإعداد السياسي و العسكري شكلت فتح جناحها العسكري تحت اسم **"قوات العاصفة"**، التي فجرت أولى العمليات العسكرية في فاتح يناير 1965.

وتعتبر حركة فتح آنذاك إحدى الفصائل اليسارية الفلسطينية، فرغم تأثير بعض بقايا الفكر القومي، استطاعت أن تصل إلى **مقاربة علمانية للقضية الفلسطينية**، وتبنت **مفهوم الثورة الوطنية الديموقراطية** و**الدولة الديموقراطية**. والتحقت الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية بمنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد انعكس وضع الشتات والتجزئة على حركة التحرير الفلسطينية تاريخيا، تولد عن ذلك وضع هش أضعف القدرة على التعبير الوطني مباشرة، لذلك **وجد الفلسطينيون في الفكر القومي** ضالتهم وتكئتهم، ذلك أن هذا الفكر كان يبشر **بالثورة العربية** و**التحرير الشامل لفلسطين**. كان لكل هذا تأثير كبير على نشأة اليسار الفلسطيني، ونقصد بهذا الفصائل الثلاثة الأساسية لليسار الفلسطيني الذي تشكل في ستينيات القرن الماضي، ونعني به **حركة التحرير الوطني فتح**، و**الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين**، و**الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين**.

هكذا، كانت **الأرضيات التأسيسية** تنطلق من تصورات تعتبر **المقاومة الفلسطينية نواة للثورة العربية، ومفجرا لها**، من مهامها كذلك المساهمة في مواجهة المعسكر الامبريالي، **وكل نصوص الفصائل الثلاثة تعتبر أنه بدون دعم عربي بشكل عام، لا يمكن تحقيق تحرير فلسطين، وهذا مما يشرح اختيار اليسار الفلسطيني تحمل مسؤوليته كطليعة معادية للإمبريالية العالمية، وهو الأمر الذي جعل الصين تدعم المقاومة الفلسطينية واليسار الفلسطيني بالسلاح والتكوين، وبرفض ماو تسي تونغ لوجود الكيان الصهيوني.**

وبطبيعة الحال، بما أن اليسار الفلسطيني، الذي كان أكثر تأثيرا داخل المقاومة الفلسطينية كان **يتبنى برنامج الثورة الوطنية الديموقراطية،** جعله على **طرفي نقيض** مع الرجعية العربية، فكانت المجازر والمذابح في **الأردن في شتنبر1970** و**لبنان 1982**.

3 - الثورة الفلسطينية ومسألة يهود الكيان الصهيوني

من الناحية التاريخية تميز اليسار الفلسطيني **بطرح متقدم لمسألة العلاقة مع اليهود في الكيان الفلسطيني**، ويتجلى ذلك في ثلاث نصوص أساسية، وهي:

1- الثورة الفلسطينية واليهود (وثيقة خاصة بحركة فتح)

2- من أجل حل ديموقراطي 1970 (وثيقة خاصة بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين).

3- الحل الديموقراطي للمسألة الفلسطينية (وثيقة خاصة بالجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين)

سنضع الوثيقة الأولى جانبا، ونتحدث عن النص الثاني، ومما جاء فيه:

"وعلى الوطن العربي أن يواجه تحديا كبيرا، وتبني شعارات نظرية ليس هو الحل، إننا نعرف أن الحركة الوطنية الفلسطينية التزمت بتحرير العرب واليهود.

خلال النضال علينا أن نكسب اليهود ضحايا الاستغلال الصهيوني ودعائمه الامبريالية لصالح قضيتنا. لكن المشكلة ليست بالبسيطة، فهناك وضع يتميز باستغلال مزدوج لطبقتين، من جهة، و من جهة أغرى وجود استغلال واحد إذا صح هذا التعبير، فبالرغم من أن البروليتاريا اليهودية في مصلحتها التحرر من الاستغلال ومن السيطرة والإيديولوجيا الصهيونية، فإن هذه البروليتاريا تستفيد من الاستغلال الصهيوني للعرب، الذين يعانون من استغلال أكثر عمقا و اتساعا، إن هذه الحالة تعني أن البروليتاريا اليهودية في إسرائيل توجد في وضع أكثر تعقيدا من أي بروليتاريا أخرى في بلد امبريالي (بهذا المعنى، فإنها تستفيد من فتات موارد شعوب أخرى)، و يعني هذا كذلك أن التحريض الثوري، الذي على المقاومة الفلسطينية القيام به وسط المجتمع الإسرائيلي يجب أن يكون أكثر بلورة من أي مكان آخر".

"إن حركة التحرر الفلسطيني لا يمكن أن تكون ثورية، وفي نفس الوقت تتحدث عن حل فاشي وشوفيني لليهود. لا يمكنها إلا أن تكون حركة ملتزمة بحل ديموقراطي بمعناه التقدمي، وليس الفدرالي، كل هذا يرتبط على المدى البعيد بممارسات حركة المقاومة والتزاماتها العسكرية والإيديولوجية".

أما النص الثالث، والذي يخص **"الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين"**، الذي صدر سنة 1971، والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين، كما جاء أعلاه، قد انشقت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سنة 1969، ومنذ البداية أكدت على الأسس الإيديولوجية، وبدرجة أقل على القومية العربية، ومنذ البداية كانت ترى أن الثورة يجب أن تقع على مستوى الشرق الأوسط لضمان الطابع الديموقراطي للثورة الفلسطينية، وفي الوثيقة ألمعنية نقرأ ما يلي:

"إن انتصار القضية الفلسطينية مشروط ببناء أداة ثورية عربية موحدة ذات استراتيجية مشتركة ومنسجمة، تأتي بنضال مكمل على مستوى المنطقة، لكن بناء هذه الأداة يفترض وجود قوى طبقية قادرة على خوض النضال المعادي للإمبريالية. إن المشكل الأساسي للثورة العربية في مجموعها، و المقاومة الفلسطينية جزء منها، يعود إلى واقع أن هذه القوى تكاد لا توجد، ذلك أن الإفلاس التاريخي للقومية البورجوازية الصغيرة، أي عدم قدرتها على إنجاز مهام هذه الفترة (الثورة الوطنية الديموقراطية)، لم يكن مصاحبا بظهور تلك الطبقة على الساحة السياسية العربية، من هنا ،فإن المهمة المركزية للثوريين الجدد هي بناء قوة شعبية مشكلة من العمال والفلاحين ومن الفئات الأكثر فقرا من البورجوازية الصغيرة، وخوض النضال تحت قيادة إيديولوجية الطبقة العاملة وبرنامجها وشعاراتها. هكذا، فإن روابط هذا التحالف الكبير ستتعزز، وسيصبح ممكنا إيجاد الأدوات الثورية.

بقدر ما أن انتصار القضية الفلسطينية مشروط ببناء الأداة الثورية العربية الموحدة لا يمكننا أن نتخيل حلا ثوريا للقضية الفلسطينية إلا في سياق الثورة العربية الشاملة، و على مستوى المنطقة، فكل حل يبقى على المستوى الفلسطيني فقط سيكون بالضرورة حلا إصلاحيا، و جزئيا ، منبني على الرغبة في إيجاد حل للمشكل بدون تغيير جذري على مستوى المنطقة، و على العكس من ذلك، فكل حل على مستوى المنطقة عليه أن يأخذ بالاعتبار_واقع أن شرط انتصار القضية الفلسطينية، هي ذلك الذي يضع نهاية للتجزيء المصطنع الذي تعاني منه المنطقة، الشيء الذي يعني في المعنيين صعود القوى الشعبية بقيادة الطبقة العاملة و حزبها" .

4 - أيلول الأسود وهزيمة الأردن:

بعد سنة 1967 (هزيمة يونيو 67)، و خاصة بعد معركة الكرامة في الأردن ،استطاع اليسار الفلسطيني الثوري أن يحول مخيمات اللاجئين إلى قواعد ثورية ستصبح قواعد للتكوين بالنسبة لليسار الثوري العالمي، حيث تتلمذ فيها أهم **كوادر "اليسار البروليتاري" في فرنسا** (أهم تنظيم ثوري في فرنسا بعد 1968، وكذلك أهم أطر "**جماعة الجيش الأحمر" الألمانية**، و أشهرهم :و **أندرياس بدر** و **غودرون إنسلين** ...)

أولرايك ماينهوف

و أدى هذا التطور في الأردن إلى وضع أطلق عليه البعض اسم "**دولة داخل دولة**"، و أمام تردد المقاومة و فصائلها اليسارية، و بعد محاولات متكررة، هاجم النظام الأردني العميل المخيمات الفلسطينية، و ارتكب أفظع الجرائم في حق الفلسطينيين و المقاومة، الشيء الذي أجبر المقاومة على مغادرة الأردن و الالتحاق بلبنان. وبعد سنوات من التواجد في لبنان، عرف لبنان اندلاع **حرب أهلية إثنية وطائفية**، وارتكبت المجازر في المخيمات الفلسطينية من طرف **حزب الكتائب اللبناني الفاشي**، وذلك بدعم من الكيان الصهيوني. وفي سنة **1982سيتم طرد المنظمات الفلسطينية** من لبنان بعد غزو صهيوني أمريكي للبنان، وبعد فقدان هذا الموقع الأخير **كنقطة ارتكاز للمقاومة تكون المقاومة الفلسطينية قد فقدت آخر موطئ قدم للانطلاق نحو فلسطين المحتلة**.

أندرياس بدر

بعد 1970 ومجازر أيلول، فقدت المقاومة الفلسطينية بشكل عام حريتها واستقلاليتها، وبدأ، من أجل الحفاظ على بقائها البحث، في كل فترة، عن **مظلة للحماية**، تارة تكون سوريا وتارة العراق وتارة ليبيا وتارة تونس وتارة الاتحاد السوفياتي، وحتى الصين بعد 1970، بعد تقييمها لحركة المقاومة الفلسطينية وخطها العام، ستوقف دعمها لليسار الفلسطيني.

خلال حقبة التواجد في لبنان عرفت المقاومة الفلسطينية و معها اليسار كارثة كبرى، حيث عرفت الفصائل الفلسطينية، و التي أصبحت في أغلبها ذات علاقة بهذا النظام العربي أو ذاك ، إضافة إلى الاتحاد السوفياتي (نظام تحريفي) ،وكان ذلك سببا في تأجيج الصراع بين الفصائل، فانفجرت الخلافات و الانشقاقات و اندلعت حرب أهلية كان و راءها أنظمة عربية، التي كانت لها فصائل تتبع لها، فسوريا مثلا كان لها ذراعها الفلسطيني المتمثل في "**منظمة الصاعقة**"

و "**جبهة التحرير العربية**" بالنسبة للعراق، كما دفع العراق إلى انشقاق في حركة فتح، فنشأت "**حركة فتح المجلس الثوري**" بقيادة **أبو نضال**، ثم انشقت عن فتح "**جبهة النضال الشعبي**"، و ذلك في 1967، و **سيرتبط اسمها بالنظام الليبي**.

إن هذه المنظمات هي التي ستشكل **جبهة الرفض** (أي اللذين يرفضون الحلول الاستسلامية) وقد تولد هذا الاتجاه كرد فعل عن المنحى الذي سارت فيه منظمة التحرير الفلسطينية، حيث بدأ **التلويح بحل الدولتين** خاصة، بعد حرب 1973.

و عرف لبنان سنة **1975** انطلاق حرب أهلية فجرت شرارتها المواجهة بين منظمة التحرير الفلسطينية و المليشيات المسيحية، و حصل تدخل لسوريا في لبنان مناهض لمنظمة التحرير الفلسطينية، و قامت سوريا بدعم جناح خاص داخل فتح ،هو جناح أبو موسى، الذي كان ينافس قيادة فتح على الشرعية بعد اتهامها بالاستسلام، و في هذه الحقبة كذلك، بدأت إيران تتدخل في لبنان، فنشأ حزب تابع لها وسط الشيعة، فدارت معارك بين **منظمة أمل** بقيادة نبيل بري و **حزب الله** التابع لإيران، و في سياق حرب أهلية شاملة دارت معارك أيضا بين المليشيات المسيحية تجاه **آلجميل** وبين مليشيات **سليمان فرنجية**.

غسان كنفاني

يوسف النجار

وخلال حقبة التواجد في لبنان، تدخل الجيش الصهيوني ودشن عمليات الاغتيال عن طريق السيارات المفخخة، فسقط مجموعة من أبرز قادة اليسار الفلسطيني ومن بينهم **غسان كنفاني** و **يوسف النجار** و **أبوعلي إياد وكمال عدوان**. وخلال سنة 1982 دخل الجيش الصهيوني لبنان بتحالف مع المليشيات المسيحية، وانتهت الملحمة الفلسطينية داخل لبنان **بانتقال القيادة الفلسطينية إلى تونس**، فاستمر الكيان الصهيوني في ملاحقة الأطر الفلسطينية، وبعد هجوم منظم من طرف المخابرات الصهيونية، قام الكيان الصهيوني باغتيال أطر الثورة الفلسطينية البارزين، ولعل أشهرهم **أبو إياد**، وتبعه **أبو جهاد** (خليل الوزير) على طريق الاستشهاد، وهو منظم الانتفاضة الأولى.

أبوعلي إياد

5 - اليسار الفلسطيني في مهب الريح

لقد كان من نتائج الخروج من لبنان أن جعلت منظمة التحرير الفلسطينية مقرها بتونس، ابتداء من 1982، فقام الكيان الصهيوني بقنبلة المقر عن طريق الطيران، و إدخال الكوموندوهات، هكذا أصبحت منظمة التحرير بعد مغادرة الأردن أولا، و لبنان ثانيا ،بدون قاعدة خلفية جماهيرية، و قد ساهمت هذه العوامل المختلفة، إضافة إلى انهيار الاتحاد السوفياتي، إلى **تنامي اتجاه البحث عن حلول مع "إسرائيل" وساد تيار استسلامي داخل منظمة التحرير، ومن ثمة انطلاق المفاوضات مع الكيان الصهيوني تحت قيادة الإمبريالية الأمريكية**، و اضطرت الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين، باستثناء فرعها في سوريا ،أن تلتحق بهذا المسار تحت اسم **"الاتحاد الديموقراطي الفلسطيني"**، و**انطلقت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، التي استمرت من1987إلى1993**، لكن اليمين الفلسطيني استفاد من الوضع ليقدم للفلسطينيين على طبق من الخيانة **اتفاقات أوسلو1991، التي جعلت من المشكل الفلسطيني، كما يقول نايف حواتمة، مجرد مشكل نزاع حول الأرض بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين، وبطبيعة الحال كان هدف المفاوضين الأول هو إدماج حركة فتح كمدبر للأراضي الفلسطينية الملحقة بالدولة الصهيونية، وهو ما سمي بمفهوم "السلطة الفلسطينية" ومناطق "الحكم الذاتي".**

كمال عدوان

أبو جهاد

وبشكل عام، سارت الأمور على أحسن حال بالنسبة للكيان الصهيوني، وذلك عن طريق إرشاء كبير لهذه الدولة الفلسطينية المزيفة، التي ستسقط في انتخابات 2006 أمام حماس، فانفجر صراع مسلح بين فتح وحماس، فعادت الضفة لفتح وغزة لحماس. وفي ظل هذه الأوضاع الجديدة التي جاءت بها اتفاقات أوسلو، **رفضت الفصائل المشكلة لجبهة الرفض الانضواء تحت لواء الإمبريالية الأمريكية والكيان الصهيوني،** و اختارت التحالف مع إيران و قطر، خاصة ، و أن العراق قد تم ضربه من طرف القوات الأمريكية، **فتشكل سنة 1993 ما سمي ب "تحالف القوى الفلسطينية" الذي ضم إضافة إلى منظمات جبهة الرفض كل من حماس و الجهاد الإسلامي، بينما غادرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و الجبهة الديموقراطية**

لتحرير فلسطين هذا التحالف وذلك سنة 1998، و حققت تقاربا مع منظمة التحرير الفلسطينية، و قد كان موقفا سياسيا تكتيكيا، و دون قطع مع النظام السوري، و قد استطاعت الجبهة الشعبية و هي أكثر قوة من الجبهة الديموقراطية أن تستفيد من إيران، و هي حليف لسوريا. ومنذ 1990 إلى 2020 كانت الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية تعتمدان على سوريا، على المستوى المادي، وذلك للاستمرار في الدفاع عن موقف علماني، واستطاعت قطر أن تؤثر وتجعلهما يتحالفان مع حماس والجهاد الإسلامي، وهنا نصل إلى طوفان الأقصى أكتوبر 2023، حيث ساندت المنظمتان الشعبية والديموقراطية حماس في مبادرتها المسلحة.

إن هذا الواقع المأساوي الذي عاشه الفلسطينيون انتهى إلى تقسيم الأراضي المحتلة سنة 67، الضفة الغربية من جهة، وغزة من جهة أخرى، كما قضم الكيان الصهيوني جزءا كبيرا من الضفة لبناء المستوطنات الصهيونية، ويعاني الفلسطينيون اليوم من الانقسام السياسي مع استعمال القوى الإقليمية لهم في هذا الاتجاه أو ذاك.

IV - وثائق الثورة الفلسطينية

الوثيقة الأولى

الميثاق الوطني الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية (1968)

الوثيقة عبارة عن توافق، بين مختلف القوى السياسية الفلسطينية، لم يكن جذريا، وطرح تصورا لتحرير فلسطين وطنيا و دولتيا، و مما جاء فيه:

في التعريف بفلسطين:

1) فلسطين جزء من الشعب العربي الفلسطيني، جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، والشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية.

2) فلسطين في حدود **الانتداب البريطاني** تشكل كيانا ترابيا لا يتجزأ.

3) وحده الشعب الفلسطيني له الحقوق الشرعية على وطنه، وبعد **تحرير وطني** سيمارس **حقه في تقرير المصير** حسب متمنياته وإرادته وحدها.

4) **الهوية الفلسطينية** ميزة أصيلة ومتأصلة ودائمة تنتقل من الآباء إلى الأبناء، لا الاحتلال الصهيوني ولا شتات الشعب العربي الفلسطيني الناتج عن الآلام التي عاناها، بإمكانها مسح هذه الهوية الفلسطينية.

5) الفلسطينيون هم المواطنون العرب المقيمين بشكل عادي بفلسطين حتى 1947، سواء فرض عليهم التهجير أو بقوا على أرضهم، كل شخص ولد بعد هذا التاريخ من آباء فلسطينيين، سواء في فلسطين أو خارجها فهو فلسطيني.

6) اليهود المقيمون بشكل عادي في فلسطين حتى حدود بداية الغزو الصهيوني فهم فلسطينيون.

8) الشعب الفلسطيني يجتاز حاليا فترة نضال وطني من أجل تحرير وطنه، لهذا السبب فالاختلافات بين القوى الوطنية الفلسطينية يجب أن توضع في المستوى الثاني، وإعطاء الأولوية للتناقض الأساسي، الذي يوجد من جهة، بين الصهيونية والامبريالية، ومن جهة أخرى الشعب العربي الفلسطيني.

تعريف الصهيونية من طرف منظمة التحرير الفلسطينية

الفصل 22

"الصهيونية حركة سياسية مرتبطة عضويا بالإمبريالية العالمية، وتعارض كل عمل تحرري، وكل حركة تقدمية في العالم، إنها عنصرية متطرفة بطبيعتها، عدوانية وتوسعية واستعمارية في أهدافها، وفاشية في وسائلها، وإسرائيل هي أداة الحركة الصهيونية، والقاعدة الجغرافية للإمبريالية العالمية، متموقعة استراتيجيا في قلب الوطن العربي، من أجل محاربة آمال الأمة العربية من أجل تحررها و وحدتها وتقدمها.

إن إسرائيل هي مصدر دائم يهدد السلام في الشرق الأوسط، وفي العالم كله، وبما أن تحرير فلسطين سيقضي على الوجود الصهيوني والامبريالي، ويساهم في تحقيق السلام في الشرق الأوسط، فإن الشعب الفلسطيني يبحث عن دعم كل القوى التقدمية والمحبة للسلام في العالم، ويدعوها باستمرار، بغض النظر عن انتسابها ومعتقداتها لتقديم المساعدة والدعم للشعب الفلسطيني في نضاله العادل من أجل تحرير وطنه".

(القرارات المتخذة من طرف المجلس الوطني الفلسطيني من 1 إلى 17 يوليوز 1968).

الوثيقة الثانية

مشروع قرار مقترح على المجلس الوطني الفلسطيني السادس (القاهرة، شتنبر 1969)

ميزة هذا المشروع، نقده للمفاهيم والتصورات العنصرية والشوفينية، التي كانت تحملها بعض التيارات الفلسطينية، ويتطرق المشروع لمستقبل النضال السياسي فيما يخص العلاقة مع اليهود، وقد كان المشروع **بمثابة كابوس** بالنسبة للصهاينة وللأنظمة العربية الرجعية.

بعد هزيمة 1948، حافظت المنظمات الفلسطينية والأنظمة العربية على نفس الحلول الشوفينية والعنصرية **(رمي اليهود في البحر، ذبح اليهود)**.

بعد هزيمة 1967، انهارت كل النداءات الشوفينية لتترك مكانها للحلول الامبريالية الرجعية القائمة على **"الاعتراف بإسرائيل في حدود آمنة"**.

المجلس الوطني الفلسطيني، انطلاقا من الطموحات الديموقراطية للشعب الفلسطيني، يقرر:

- رفض الحلول الشوفينية الفلسطينية والعربية القائمة، سواء قبل أو بعد يونيو 1967، والداعية إلى ذبح اليهود ورميهم في البحر، وكذلك رفض الحلول الرجعية القائمة على القبول بدولة إسرائيل في حدود آمنة ومعترف بها **حسب القرار الشهير ل 22 نونبر**. كل هذه الحلول تتعارض مع حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه، وتقوم بغرس **دولة رأسمالية عنصرية توسعية بالشرق الأوسط مرتبطة بالرأسمالية العالمية المعادية لحركات التحرر الفلسطيني والعربي، ولقوى التحرر والاشتراكية في العالم**.

- النضال من أجل حل ديموقراطي شعبي للمسائل الفلسطينية والإسرائيلية، ويقوم على إلغاء الواقع الصهيوني المجسد عبر مجموعة المؤسسات الدولتية (الإدارة، البوليس والجيش) وحل كل المنظمات السياسية والنقابية الشوفينية والصهيونية، وخلق سلطة ديموقراطية وشعبية في فلسطين، حيث يتعايش اليهود والعرب بدون تمييز ولا اضطهاد وطني أو طبقي. إن هذا الحل الديموقراطي قادر

على تحرير العرب واليهود من كل الإيديولوجيات الصهيونية والعربية، إن هذا الحل سيحول المنطقة إلى قاعدة ثورية تشكل جزءا من الثورة العالمية.

الوثيقة الثالثة

من أجل دولة ديموقراطية في فلسطين

إن هذا النص هو الأكثر اكتمالا وتفصيلا، وهو قرار ل **"الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين"**، وقد تم التصويت عليه سنة 1970. ومعلوم أن هذه النقابة كانت **رأس رمح اليسار الفلسطيني**، وهو نص أكثر وضوحا، يقوم بتحديد معنى مشروع **"فلسطين الديموقراطية"**، وذلك ضمن أفق سياسي واجتماعي تحرري، يقوم على قاعدة نضال **التحرر الوطني**.

1-التراب الوطني:

إن فلسطين الجديدة التي تمت مناقشتها هنا، ليست الضفة الغربية لنهر الأردن المحتلة أو قطاع غزة ،أو هما معا، إنهما **منطقتان محتلتان** من طرف الإسرائيليين منذ 1967، **إن وطن الفلسطينيين، الذي تم الاستيلاء عليه واستعماره سنة1948، ليس أقل أهمية من الجزء المحتل سنة1967**، من جهة أخرى، **فإن وجود دولة عنصرية ومضطهدة** (إسرائيل) **قائمة على المغادرة والهجرة المفروضة على جزء من مواطنيها لا يمكن قبوله من طرف الثورة**، ولو تعلق الأمر بقرية صغيرة فلسطينية، فكل توافق لصالح الدولة الاستعمارية والعدوانية مرفوض، ولا يمكن له أن يستمر، **وليس من أمر دائم سوى سكان فلسطين اليهود والمسيحيون والمسلمون في بلد يدمجهم جميعا**.

2-المكونات:

كل اليهود أو المسلمين والمسيحيين، اللذين يعيشون في فلسطين أو منفيين بالقوة لهم الحق في المواطنة الفلسطينية. إن هذا المبدأ يضمن لكل الفلسطينيين المنفيين العودة إلى وطنهم، سواء ولدوا في فلسطين أو المنفى، ومهما تكن جنسيتهم الحالية، وهذا يعني كذلك أن كل اليهود الفلسطينيين حاليا، هم إسرائيليون، لهم نفس الحقوق بطبيعة الحال بشرط رفضهم الشوفينية الصهيونية والعنصرية، ويقبلون بالكامل أو يعيشوا كفلسطينيين في فلسطين الجديدة.

إن الثورة ترفض المبدأ الذي حسبه فقط، اليهود اللذين كانوا يعيشون بفلسطين قبل 1948 أو قبل 1914، وأحفادهم، وحدهم يقبلون. بعد كل هذا، فديان و آلون قد ولدوا في فلسطين قبل 1948، وهم، وكذلك الكثير من زملائهم، هم صهاينة عنصريون ليست لهم صفة الفلسطيني.

3- الإيديولوجيا:

إن الفلسطينيين خلال نضال تحررهم، ولحظة تحررهم، يقررون نظام الحكم والتنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي لوطنهم المحرر (نذكر هنا أن مصطلح فلسطين يضم الفلسطينيين العرب المنفيون، أو أولئك اللذين يعيشون في الأرض المحتلة، وكذلك اليهود المعادين للصهيونية).

إن فلسطين الديموقراطية والتقدمية ترفض، عبر استئصال، كل شكل حكومة تيوقراطية فيودالية أرستقراطية استبدادية أو عنصرية شوفينية، ستشكل بلدا ،لا يسمح باضطهاد أو استغلال جزء من السكان من طرف مجموعة أخرى أو أشخاص، من دولة توفر الحظوظ

المتساوية لكل مواطنيها من أجل العمل أو القيام بالشعائر الدينية والتعليم، وحق القرار السياسي والتعبير الثقافي والفني: إن هذا ليس حلما طوباويا، ذلك أن النضال من أجل تحقيق فلسطين الجديدة يخلق من ذاته المناخ الضروري لنظام المستقبل للحكم، أي أن الحرب الشعبية للتحرير، تولد قيما جديدة، وسلوكا جديدا، يشكلان ضمانة للديموقراطية التي ستستتبع التحرر.

الوثيقة الرابعة

بيان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، من ضمن عشر منظمات، ومن بينها حماس، اللذين رفضوا **اتفاقيات منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل (أوسلو)**، وقاموا بخلق **جبهة الرفض** في دمشق، **ويظهر البيان مواقف اليسار الفلسطيني الذي تم طمسه.**

رغم أهمية البيان، فهو لم يقدم بديلا لخيانة منظمة التحرير الفلسطينية، ودعا إلى انطلاق الانتفاضة بدون هدف سياسي، والاعتقاد أن خلق جبهة الرفض، خاصة مع حماس، سيقوم بذلك، وهو أمر واهم، وفي نفس الوقت اتسم موقف الجبهة الشعبية برفض الاقتتال الفلسطيني، الشيء الذي يتناقض مع خيانة البورجوازية البيروقراطية الفلسطينية المتحالفة مع الصهيونية والإمبريالية. **إن هذا الموقف ما كان له ليستمر، فإما أن يهمش أصحابه كما وقع للجبهة الشعبية، أو يتجذر في اتجاه فئات راديكالية، لكنها رجعية.**

البيان

أمام التطور الدراماتيكي الذي عرفه النزاع في الشرق الأوسط، خاصة بين إسرائيل والشعب الفلسطيني، وبهدف دراسة الأحداث الأخيرة، **اجتمع المكتب السياسي للجبهة الشعبية من أجل تحرير فلسطين يوم 6و 7شتنبر**، وتوقف طويلا، وعميقا عند الاتفاق الكارثي والاستسلامي المعروف باسم **"غزة – أريحا أولا"**، والذي تم توقيعه بين العدو الصهيوني والجزء المسيطر من منظمة التحرير الفلسطينية، وقد استخلص المكتب السياسي بالنسبة لهذا الاتفاق، الخلاصة التالية:

يتعلق الأمر **باختراق استراتيجي** حققه الكيان الصهيوني ومشروعه السياسي في النزاع بين دولة إسرائيل والشعب الفلسطيني، **إنه استسلام تام أمام الشروط السياسية المطروحة من طرف التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل**. إن هذا الاتفاق هو نتيجة منطقية لدخول القيادة المسيطرة لمنظمة التحرير الفلسطينية، في **مسلسل مدريد، الذي تم إطلاقه بعد التحول الكارثي، الذي تم على الصعيد العالمي**.

إن المكتب السياسي للجبهة الشعبية يسجل المخاطر التالية في اتفاق "غزة – أريحا أولا":

1-تخلي القيادة المسيطرة في منظمة التحرير الفلسطينية عن برنامجها الوطني، أي الحقوق التالية:

- حق تقرير المصير

- حق عودة اللاجئين

- حق خلق دولة مستقلة عاصمتها القدس

2- لقد أعطى الاتفاق الحق بدون مقابل لكل مطالب إسرائيل، نلاحظ هذا خاصة عن طريق الحفاظ الدائم على قوات الاحتلال تحت تسمية جديدة **"إعادة توزيع القوى" عن طريق الحفاظ على مجموع المستوطنات وسكانها، عن طريق الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي في أيدي المحتل الإسرائيلي**، وأخيرا، **عن طريق استغلال الخيرات الطبيعية من طرف إسرائيل**.

3- هذا الاتفاق يؤدي إلى **تقسيم الشعب الفلسطيني**، و**تمزيق الأرض الفلسطينية**

4- إن هذا الاتفاق **يتخلى عن مسألة مدينة القدس**، التي لن يتم مناقشتها إلا في مستقبل بعيد بدون أية ضمانة. **إن الاتفاق يمزق الأرض المحتلة في 1967 إلى سلسلة وحدات ترابية متميزة بدون ضمانة فيما يخص طبيعة الحل النهائي**.

5- إن هذا الاتفاق يعوض المؤسسات القمعية للاحتلال بمؤسسات قمعية فلسطينية، **"الشرطة الفلسطينية". إن دور هذه الشرطة هو ضمان أمن القوات المحتلة، وقمع معارضة الجماهير الفلسطينية، وكذلك، المعارضة السياسية المنظمة**.

6 – إن هذا الاتفاق يهدف إلى توقيف الانتفاضة، وتصفيتها نهائيا.

7 – إن هذا الاتفاق يقوم **بتصفية الحق في العودة**، ويفتح الباب للإقامة النهائية للاجئين الفلسطينيين في البلدان التي تستقبلهم.

8 – هذا الاتفاق يعترف نهائيا بالدولة الصهيونية لإسرائيل مقابل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بعد التخلي عن الميثاق الوطني وبرنامج الوحدة الوطني والكفاح المسلح.

وبكلمة أخرى، هناك اعتراف بالدولة الصهيونية، بعد تحويل منظمة التحرير الفلسطينية إلى حزب سياسي، والتخلي عن طابعها كحركة تحرر وطني.

9 – إن الاتفاق يحقق **اختراقا تاريخيا** للمشروع السياسي الصهيوني في العالم العربي، وذلك عن طريق توقيع **اتفاقات التطبيع الشامل** مع كل بلد من الدول العربية، والمستفيد الوحيد من ذلك، هو الدولة الصهيونية. إن تحقيق هذا الاتفاق سيضع **نهاية للمشروع الوطني الفلسطيني**، ويقوم بتصفية مجموع المكتسبات المحققة بفضل نضال شعبنا:

أن توقيع اتفاق "غزة – اريحا أولا"، يقود الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إلى اعتبار القيادة المسيطرة في منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى رأسها ياسر عرفات، خارج الإجماع الوطني الفلسطيني.

إن هذه القيادة تتخلى بوضوح عن مجموع **حقوقنا التاريخية والشرعية**، وتتجاوز كل الشروط التي وضعها المجلس الوطني الفلسطيني، التي وضعها كثمن للمشاركة في مسلسل مدريد – واشنطن.

إن هذه الخلاصة السياسية تقودنا إلى اعتبار هذا الجزء من البورجوازية البيروقراطية المسيطرة خارج الخط الوطني. إن هذا الجزء البيروقراطي القائد لمنظمة التحرير الفلسطينية، قد أصبح حليفا للعدو الصهيوني في مشروعه لتصفية القضية الوطنية لشعبنا. إن هذا الجزء القائد، يمتلك قاعدة اجتماعية تشكل أقلية في المنظمة، لا ترى إلا مصالحها الاقتصادية والسياسية، وتجد نفسها في تحالف مباشر مع المشاريع الامبريالية والصهيونية.

إن التعاون في ميادين الأمن والاقتصاد المقررة في هذا الاتفاق، ليست إلا الدليل على هذا التحالف.

إن استسلام هذه الفئة البيروقراطية في منظمة التحرير، لا يعني استسلام البورجوازية الوطنية الفلسطينية في مجموعها.

أمام هذا الوضع الخطير، الذي تعرفه منظمة التحرير الفلسطينية، تقترح الجبهة الشعبية على مجموع القوى الفلسطينية المعارضة لهذا الاتفاق التصفوي بإعادة النظر في مختلف مؤسسات منظمة التحرير ومكوناتها، نقترح خوض مجموعة من الأنشطة الشعبية والجماهيرية، هدفها إعطاء شعبنا في الأراضي المحتلة، كما في أراضي الشتات، إمكانية اختيار بحرية وديموقراطية، ممثليهم اللذين سيشكلون مؤسسات منظمة التحرير، وخاصة مجلسا وطنيا جديدا. إن الأسس السياسية لمختلف هذه الأنشطة ستكون **الارتباط بالميثاق الوطني الفلسطيني، واحترام برنامج الوحدة الوطنية الفلسطينية، ومواجهة اتفاق** "غزة –أريحا أولا".

إن منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها جبهة وطنية ذات تمثيلية واسعة بالنسبة لنا، كما بالنسبة لشعبنا، تمثل الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، إنها شأن لكل الفلسطينيين، وليست ملكية لقائد واحد أو قيادة واحدة.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ستعزز تحالفاتها في إطار **القيادة المشتركة للجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية**، وفي إطار **تحالف المنظمات العشر المناهضة لهذا الاتفاق**، ونقترح على مجموع الشخصيات الفلسطينية الوطنية، اللذين عبروا عن معارضتهم لهذا الاتفاق، **تشكيل جبهة واسعة** ستنقد منظمة التحرير الفلسطينية، وستعطي لشعبنا ممثلا في مستوى كفاحه وتضحياته وآلامه، وكذلك طموحاته المشروعة والتاريخية. إن الجبهة الشعبية توجه **نداء إلى أعضاء وأطر وقادة فتح، اللذين عبروا عن معارضتهم لهذا الاتفاق الكارثي، إلى تعزيز الروابط مع مجموع القوى الفلسطينية الوطنية. إن الجبهة الشعبية لن تسقط في الفخ المنصوب من طرف العدو، الذي يهدف إلى حرب مدينية فلسطينية، وتستمر الجبهة وتعزز دورها في الانتفاضة، إنه أحسن جواب نقدمه لأولئك اللذين وقعوا الاتفاق التصفوي لحقوقنا، وندعو كل القوى الفلسطينية إلى فعل نفس الشيء.**

إن الجبهة الشعبية تدعو الجماهير العربية والقوى الطليعية إلى خلق وضع معارض لسياسة التطبيع الشامل بين الدولة الصهيونية والأنظمة العربية، إن الشعب المصري أعطانا المثال بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد.

إن يوم توقيع هذا الاتفاق سيكون يوم حداد وطني، وأولئك اللذين وقعوه يفقدون شرعيتهم، وليس لهم الحق في الكلام باسم شعبنا. إن هذا التوقيع لا يلزم شعبنا في نضاله المشروع ضد الاحتلال الصهيوني.

الوثيقة الخامسة

نحو حل ديموقراطي للمسألة الفلسطينية

طرحت الوثيقة في المجلس الوطني الفلسطيني السادس – القاهرة شتنبر 1969

وعرفت نقاشا واسعا داخل المجلس.

التمايز، والعلاقة المحددة ما بين الصهيونية والإمبريالية

جاءت الصهيونية بصورة رئيسية نتيجة رد فعل، من جانب البورجوازية الصغيرة والمتوسطة اليهودية، (وهي التي تشكل لب اليهودية)، تجاه أمرين، هما:

1-تردي أوضاع اليهود في أوروبا الشرقية، ذلك أن اليهود كانوا يمثلون **الرأسمالية البدائية** (أي **التجارية والربوية**)، فكان لابد أن يوجه لهم انهيار الاقتصاد الإقطاعي وأشكال الرأسمالية البدائية ضربة قاصمة، زادها ضراوة انتقال التوازن بين تطور الرأسمالية وانهيار الإقطاعية

والرأسمالية البدائية، بحيث كان من الصعب جدا على اليهود الاندماج ببنية النظام الاقتصادي الجديد ضمن علاقات الإنتاج الجديدة التي تتطور ببطء شديد لا يتفق مع سرعة انهيار العلاقات القديمة.

2- تعاظم موجة العداء للسامية في أوروبا الغربية، إذ أن التمركز الرأسمالي، أي ظهور الرأسمال الاحتكاري **حطم الطبقات الوسطى**، فارتدت هذه ضد العناصر اليهودية، فرأت في هذه الطبقات على أنها تنافسها على موارد رزقها، و**تزيد أوضاعها ترديا**. **غير أن الصهيونية كإيديولوجيا ليست إلا انعكاسا مشوها للواقع وتنظيرا مموها لحاجة مادية.**

والصهيونية، من حيث، هي انعكاس مشوه للواقع تغني نفسها عن عناصر البحث عن الدوافع والأسباب الكامنة وراء العداء للسامية وعن الأشكال المتنوعة لهذا العداء، والوظيفة الاجتماعية التي كان يؤديها، وعن طبيعة النظام الاقتصادي – الاجتماعي الذي أوجدها، وتذهب إلى أن "الطبيعة البشرية" لا تتغير، وأن النزعة البشرية ذاتها، هما بالتالي خالدان لا يمكن الوقوف في وجههما والقضاء عليهما.

وتنتقل الصهيونية بعد افتراض خلود العداء للسامية لتحل المشكلة بالقفز من فوقها، أي بالقول أن الخلاص، هو في قبول اللاسامية واضطهاد الأقليات هما أمران من صلب الطبيعة اللاسامية كأمر واقعي طبيعي وعادي، والهجرة إلى فلسطين لتتحول الأقلية فيها إلى أكثرية تحكم نفسها بنفسها في دولة قومية.

كذلك، فإن الصهيونية، من حيث هي تنظيم مموه لحاجة موضوعية مادية، ليست إلا تعبيرا عن فعل "**الشعب- الطبقة**" اتجاه الضغوط الاقتصادية أساسا، تلك الضغوط التي تهدد بإحداث تمايز داخلي، أي **تحويله إلى طبقات**، وبالتالي **إنهاء دوره الاجتماعي كطبقة موجودة، ومن ثمة كشعب ذو خصائص ناجمة بالتحديد من هذا الدور الاجتماعي.**

كما أن الصهيونية، انعكاس لرفض البورجوازية الصغيرة والمتوسطة، السقوط إلى مصاف البروليتاريا، وحاجتها إلى سوق قومية مستقلة في دولة قومية، والصهيونية ككل إيديولوجيا قومية تحاول أن تطمس معالم نشوئها الحديث نسبيا، بأن تخلق لنفسها أصلا أسطوريا يعود إلى الماضي السحيق (أسطورة تعلق اليهود عبر التاريخ بأرضهم الأم – فلسطين)، وعرض مطالبها ومطامحها القومية على أنها تجديد لملكية قديمة (الحق التاريخي لليهود في فلسطين).

ومن الطبيعي، أن يكون الحل الذي تقدمه الصهيونية للمسألة اليهودية –**إقامة دولة يهودية في فلسطين**– "**وهما طوباويا بورجوازيا صغيرا**". والمسألة اليهودية التي تتخذ شكل مسألة عالمية لوجود اليهود في مختلف الأقطار، لا يكون حلها على هذا المستوى ضمن النطاق الرأسمالي، فالقضاء على اللاسامية لن يتم إلا بالقضاء على مسبباتها، أي بالقضاء على النظام الاقتصادي الذي أوجدها. و **بالفعل فإن إقامة إسرائيل لم يحل المسألة اليهودية، حيث أن اللاسامية لم تنته**، و إن كانت قد دفعت بفعل ظهور أشكال أخرى من الاضطهاد العرقي والعنصري في الغرب (العنصرية تجاه السود، العنصرية تجاه العمال و خاصة من العرب).

"لكن الحل الوهمي الذي تقدمه الصهيونية للمسألة اليهودية ، هو الذي يحدد الطبيعة الخاصة للاستعمار الصهيوني لفلسطين، وهو الذي يجعل هذا الاستعمار مختلفا عن الاستعمار النموذجي المعتاد، فالاستعمار النموذجي يلجأ عن تعمد إلى تحطيم الاقتصاد البدائي للبلاد المستعمرة ليتمكن من استغلال السكان الأصليين في التعدين والصناعة والزراعة الرأسمالية، أما الاستعمار الصهيوني، فهو من طبيعة خاصة، فرضها هدفه المحدد (إقامة دولة يهودية) الذي جعله يعمد إلى استملاك واغتصاب الأرض، واحتلال هذه الأرض وإفراغها من سكانها الأصليين (وفي أحسن الأحوال إلى إقامة دولة أحادية العنصر)، والاستعمار الصهيوني يختلف حتى عن أقرب أشكال الاستعمار إليه، وهو الاستعمار الأبيض في جنوب إفريقيا. فهذا الأخير يقوم على إقامة مجتمع مغلق للبيض منعزل عن مجتمع السود

(فصل مناطق السكن، والمدارس، و وسائل النقل، وكافة مرافق الحياة الخاصة بالبيض، عن تلك الخاصة بالسود) ولكن ذلك لا يحول دون استغلال البيض للسكان الأصليين، ودمجهم بعلاقات الإنتاج كطبقة مستغلة مضطهدة، أما الاستعمار الصهيوني فيقيم مجتمعا يهوديا مغلقا، ولكنه لا يستغل السكان الأصليين، بل يطردهم كلية.

في الطبيعة العدوانية التوسعية للاستعمار الصهيوني

كان لابد للاستعمار الصهيوني حتى قبل إنشاء إسرائيل، من أن يستعدي الشعب الفلسطيني كله، لأنه يشكل نقضا مباشرا لوجوده الوطني، وتعديا صارخا على حقوقه الوطنية وإنكار لها. ومن جهة أخرى، قامت الاستراتيجية الإسرائيلية منذ البداية على فرض الأمر الواقع.

فمن إنشاء المستوطنات الزراعية المحصنة التي تمثل أمرا واقعا عسكريا – اقتصاديا، و بناء و فرض مجتمع يهودي معزول في فلسطين منذ بداية الاستيطان إلى الاستقلال بهذا المجتمع ، بعد طرد السكان عام 1948، إلى فرض الاحتلال على مثلث النقب الجنوبي أثناء محادثات الهدنة عام 1948، إلى فرض الاحتلال على بئر قطار في مثلث العوجا عام 1950، إلى احتلال المنطقة المجردة الوسطى على الحدود السورية عام 1951 ،إلى انتزاع حقوق الملاحة في خليج العقبة في أعقاب عام 1956 ،إلى احتلال الأراضي العربية عام 1967، و سياسة فرض الواقع هذه ذات طبيعة توسعية واضحة، ليس مردها فحسب إلى محاولة حل مسألة الأمة الإسرائيلية عن طريق التوسع العسكري باحتلال أراضي جديدة لحماية أراضي قديمة، بل هي تعود أساسا إلى القاعدة التي نشأ عليها المجتمع، من حيث كون غايته لم شتات الجاليات اليهودية الموزعة في أنحاء العالم، و بالتالي لابد من التوسع لاجتذاب و توطين يهود الشتات. وهذا التوسع لا يعني فقط توسيع الأرض، بل تأمين حمايتها، مما يدفع إلى مزيد من التوسع.

هذه الطبيعة التوسعية لإسرائيل أدت إلى تناقض حاد، ما بينها وبين الشعوب العربية ككل، التي ترفض مجتمعا غريبا عنها على أرضها، ليصبح تهديدا ماثلا لها أبدا، وقوة تقف في وجه آمالها في التحرر الوطني والوحدة والتقدم الاجتماعي.

في العلاقة بالإمبريالية

يحدد الحل الصهيوني للمسألة اليهودية العلاقة ما بين الصهيونية والإمبريالية.

سياق: ضيق قوى الإنتاج بالحدود القومية الصهيونية خلق دولة قومية مصطنعة، ومعزولة:

= لابد من تحالف مع الامبريالية

فالدولة القومية المصطنعة، لا يمكن أن تقوم إلا كوجود استعماري مرتبط بالإمبريالية التي تسيطر على المنطقة

= تاريخ الحركة الصهيونية هو تاريخ العلاقة مع الامبريالية

-الاتصال بقيصر ألمانيا والسلطان العثماني في بداية الحركة

- التحالف مع بريطانيا بعد عام 1917، ومع الولايات المتحدة بعد 1945

← إنه اختيار فرضته طبيعة الهدف (انظر اليوميات الأولى لتيودور هرتزل).

إن هذه العلاقة المحددة ما بين إسرائيل والإمبريالية، تجعل المسألة الفلسطينية مسألة تدخل في صلب النضال المعادي للإمبريالية في المنطقة، ويجعل إسرائيل أشد تناقضا مع القوى الطبقية التي تخوض هذا النضال. من ذلك كله، نستنتج أن إسرائيل بحد ذاتها فوة استعمارية من طبيعة خاصة، ولكنها في الوقت ذاته، جزء من المعسكر الإمبريالي يرتبط في الوقت الراهن مع الولايات المتحدة الأمريكية، و هي القوة التي تسيطر على المعسكر الامبريالي، غير أن الطبيعة الخاصة للاستعمار الإسرائيلي تعطي إسرائيل **استقلالا نسبيا**، يتمثل في سياسات خاصة تمليها المصلحة الخاصة لإسرائيل، والتي أحيانا لا تكون متطابقة مع المصلحة العامة للمعسكر الإمبريالي، لكن هذا الاستقلال نسبي لأن **تميز إسرائيل لا يخرق وحدة المعسكر الامبريالي، وفي الوقت ذاته لا تغطي الوحدة على هذا التميز**.

الترابط العضوي ما بين النضال الفلسطيني والثورة العربية

إذا كانت الاستراتيجية، كما هي بالفعل، أولويات وتحديد ادوار وتحديد العلاقات المتبادلة، فإن نظرة الفكر القومي البورجوازي الصغير إلى مسألة علاقة النضال الفلسطيني للثورة العربية، وكذلك نظرة الفكر الفلسطيني البورجوازي الصغير إلى المسألة ذاتها، تؤديا لتهافتها النظري، إلى غياب الاستراتيجية الواضحة. يعمد الفكر القومي البورجوازي الصغير إلى معارضة أية محاولة لتحديد دور النضال الفلسطيني ضمن الثورة العربية بكلام عام، وغامض، وغائم، من "الشمولية القومية للثورة العربية". و ليست هذه المعارضة سوى محاولة للهروب من التحديد الذي سيكشف لا محالة عجز البرنامج القومي البورجوازي الصغير، ذلك البرنامج الذي أجل النضال المعادي للصهيونية طويلا حتى تتحرر الأمة العربية من الاستعمار، متغافلا الدور النشيط الذي تلعبه إسرائيل في دعم الوجود الامبريالي في المنطقة العربية، فكانت النتيجة أن وصلت حركة التحرر العربية المعادية للإمبريالية بقيادة البورجوازية الصغيرة حدودا لم تستطيع، لطبيعتها الطبقية أن تتخطاها ، تاركة الخطر الصهيوني يستشري و يكرس، كذلك، تخفي هذه المعارضة في طياتها محاولة لإخضاع

النضال الفلسطيني للبرنامج الراهن للقومية البورجوازية الصغيرة المتمثل في حصر الخطر الإسرائيلي، لا إزالته من ناحية، وكبح جماح التحول الثوري الذي تشهده المنطقة ، و الذي يهدد مواقع البورجوازية الصغيرة من ناحية أخرى.

بالإضافة إلى ذلك، تحاول المعارضة باسم الشمولية العربية أن تتستر على عجز الحركة القومية البورجوازية من الخروج على قوانين لعبة العلاقات العربية، كما تفرضها الأنظمة الرجعية، واضطرار هذه الحركة، نتيجة لهذا العجز، إلى التزام موقف الصمت اتجاه محاولات الأنظمة الرجعية تطويق المقاومة الفلسطينية وإجهاضها والتزام موقف الوسيط ما بين الأنظمة الرجعية والمقاومة.

أما الفكر الفلسطيني البورجوازي الصغير، فيذهب في رده، إلى عجز البرنامج اليومي البورجوازي الصغير إلى حد الفصل التعسفي بين النضال الفلسطيني والثورة العربية، مصورا النضال ضد الصهيونية، على أنه من اختصاص الثورة الفلسطينية، وأن مهمة الجماهير العربية العريضة تقتصر على دعم وإسناد الثورة الفلسطينية، وتشكيل ما يسمى بالجبهة العربية المساندة. إن ذلك، يتغاضى عن الفلسطينيين في التحليل الأخير، غير قادرين بمفردهم على تحطيم الكيان الصهيوني إذا ما اقتصرت الجماهير العربية على الدعم الستاتيكي الجامد، كما أنه يتغاضى عن أن النضال ضد الصهيونية أصبح مهمة مطروحة على جدول أعمال حركة التحرر الوطني العربي ككل بعد حرب يونيو 1967، وانجرار المنطقة كلها إلى الصراع، وهو في النهاية يتغاضى عن الوشائج العضوية التي تربط الصهيونية بالإمبريالية، وذلك كله يؤدي إلى غياب المنظور الاستراتيجي الواضح، وإلى سياسة انتهازية تتعامل مع الرجعية العربية، الحليفة للإمبريالية على حساب النضال المعادي للإمبريالية، وبالتالي على حساب النضال ضد الصهيونية ذاته.

إن الثورة العربية تركيب لنضالين مترابطين و متزامنين ،هما : النضال ضد الصهيونية و النضال ضد الامبريالية، و النضالان مترابطان لترابط الصهيونية و الامبريالية، و هما لابد أن يكونا متزامنين و متداخلين، لأن النصر النهائي على الصهيونية رهين بنشوء أنظمة عربية

ثورية قادرة على تعبئة الطاقات و الموارد العربية في حرب تحرير شعبية تواجه تفوق العدو الصهيوني حضاريا و تكنولوجيا، و هذا يعني أن النصر النهائي على الصهيونية رهين بنزع السيطرة الامبريالية على المنطقة العربية ،أو عن معظمها على الأقل ... و لكن النضال ضد الامبريالية هو أساسا نضال طبقي، فالإمبريالية بحكم سيطرتها و هيمنتها على المنطقة العربية من خلال تحالفها مع الأقليات العربية الحاكمة في الأنظمة الرجعية، و من خلال عجز أنظمة بورجوازية الدولة عن شن نضال حاسم و منهجي و متماسك ضد الامبريالية، و من هنا لابد للنضال ضد الامبريالية من أن يضع الطبقات التي من مصلحتها هذا النضال مقابل الطبقات التي من مصلحتها التحالف مع الامبريالية، و من أن يصبح نضالا لتحطيم الأنظمة المتحالفة مع الاستعمار، و إقامة أنظمة ديموقراطية شعبية تستطيع الطبقات الكادحة بها أن تحقق التحرر الكامل و التقدم الاجتماعي.

← عكس ذلك يعطي أنظمة هجينة تقوم على تحالف طبقي هجين، أدى ويؤدي، إلى الهزائم على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي، مثال التجربة الناصرية والبعثية.

إن التفاعل الجدلي بين النضال الوطني و النضال الطبقي، يؤدي إلى خلق أداة ثورية عربية موحدة ذات استراتيجية متناسقة موحدة، و لكن خلق هذه الأداة يفترض مسبقا وجود القوى الطبقية القادرة على خوض النضال الطبقي المعادي للإمبريالية، لكن المعضلة أن هذه القوى غائبة أو ضعيفة جدا، فلحد الآن، وبعد السقوط التاريخي للقومية البورجوازية الصغيرة، وعجزها عن القيام بالمهام التاريخية في مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية، لم يترافق مع بروز طبقة جديدة على المسرح السياسي العربي، ومن هنا، فإن المهمة المركزية للثوريين الجدد، هو بناء القوى الشعبية من العمال والفلاحين والشرائح الدنيا من البرجوازية الصغيرة، وخوض النضال بقيادة إيديولوجية الطبقة العاملة وبرامجها وشعاراتها.

طبيعة الحلول التي قدمت للقضية الفلسطينية

كل الحلول المقدمة تاريخيا كانت تعبيرا عن الموقف الطبقي:

1-**الرجعيةالعربية،** قدمت حلا لفظيا شوفينيا قوامه ذبح اليهود ورميهم في البحر وتهجيرهم جميعا. إنه موقف شوفيني يبث الشوفينية في الجماهير العربية، هدفه طمس التناقض مع هذه الجماهير، و بالتالي طمس الصراع الطبقي، و قامت هذه القوى بابتزازات تهديدية تجاه القوى الثورية متهمة إياها بأنها تفتت الوحدة الوطنية و القومية، و بالتالي تخدم العدو الصهيوني، علما أن هذه القوى الرجعية تشكل ضمانا للوجود الإسرائيلي لأنها جليفة الامبريالية، و لأنها تحافظ على البنى التقليدية المتخلفة للمجتمع العربي في مواجهة التطور التكنولوجي و الحضاري الإسرائيلي، و هذا التحالف الموضوعي مع الصهيونية هو ما تريد الرجعية أن تخفيه وراء الكلام الشوفيني المهووس، **ويعتبر هذا الموقف أن كل يهودي هو صهيوني، وهذا بالضبط ما سعت الصهيونية، ولا تزال تسعى لإثباته.**

لم تعد الرجعية، بعد 1967، قادرة على طرح هذا الحل، فكان أن قفزت الرجعية بمنطق شوفيني مرة أخرى، مبالغة إلى أبعد الحدود بقوة العدو مصورة الوضع على النحو التالي:

هناك مؤامرة صهيونية يهودية عالمية للسيطرة على مقدرات العالم، وما قيام إسرائيل وتوسعها إلا الحلقة الأولى من هذه المؤامرة، التي ذهبت ضحيتها الرأسمالية الغربية في تأييدها لقيام إسرائيل ودعمها لها.

← من هنا محاولة الرجعية تبرير الهزائم، انطلاقا، من منطق ما دام للصهاينة هذه القدرة في التحكم في الغرب، فطبيعي أن تقع الهزيمة، فالغرب نفسه ضحية للصهيونية. ثم هي محاولة لتبرئة الامبريالية من جريمة دعم إسرائيل ومساندتها، ومن تم تبرير التحالف معها، فالغرب ضحية المؤامرة الصهيونية العالمية، إنه بريء لكنه مخدوع.

خلاصة هذا الموقف، هو حل وديع كالحمامة "النضال ضد الامبريالية والصهيونية ليس هو الحل، بل الحل في تعزيز التحالف العربي مع الغرب، وإفهام الغرب وإقناعه أنه ضحية المؤامرة فيتوقف عن دعم إسرائيل".

2- الحل الذي قدمته أنظمة بورجوازية الدولة

تنظر هذه الأنظمة إلى هزيمة 1967 كهزيمة عسكرية محضة، لا سبيل للخلاص من آثارها إلا بنصر عسكري تحرزه القوات النظامية، و هذه الأنظمة هي نفسها لا تستطيع خوض نضال منهجي متماسك ضد الامبريالية، لأن ذلك يعني التضحية بالامتيازات الحديثة العهد التي أحرزتها الفئة المتبرجزة المتربعة على رأس هذه الأنظمة ، و لا تستطيع التحالف مع الامبريالية لأن لهذه الأخيرة حلفاء أكثر إخلاصا و وفاءا، يعني الأنظمة الرجعية، ثم أنها لا تستطيع الخروج عن قواعد اللعبة السياسية كما تفرضها الأنظمة الرجعية، إضافة إلى تناقضها مع الجماهير الشعبية، و من ثمة إلغاؤها لدور هذه الجماهير في التصدي للمسألة الفلسطينية، وفي التصدي لمشكلة التخلف. وما دام إحراز النصر على العدو الصهيوني يتطلب النضال الحازم ضد الإمبريالية ونسف الهيمنة الرجعية على المسرح السياسي العربي، واستنهاض الجماهير الشعبية،

فلا تجد حلا أمامها سوى اللجوء إلى قرار مجلس الأمن، أي عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل حرب يونيو. إن هذا الحل ليس بحل، فإسرائيل سواء في حدود أضيق أو أوسع، و حتى لو عاد اللاجئون، تشكل خرقا لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وستظل مخفرا أماميا للإمبريالية، وخطرا على حركة التحرر الوطني العربية.

3- هناك حل آخر يتبناه اليسار الصهيوني، والرجعية الفلسطينية في الضفة الغربية، ويقوم على إنشاء دولة فلسطينية في جزء من فلسطين تتعايش مع إسرائيل وتعترف بها. إنه حل يهدف بيع القضية الفلسطينية والنضال الفلسطيني، وخلق دولة دمية في يد إسرائيل، يشكل منفذا اقتصاديا تستطيع إسرائيل من خلاله أن تخضع العالم العربي لسيطرتها.

4- وهناك حل رابع تبنته منظمة "ماتزبين"، ويقوم على إنشاء دولة ثنائية القومية لكل فلسطين، وهذا الحل خاطئ لأنه من ناحية، يضع حاجزا تعسفيا ما بين فلسطين والمنطقة العربية، أي أنه يهدف إلى حل المسألة ضمن حدود التجزئة الراهنة، وضمن حدود الواقع القائم، أي بتسوية مع الصهيونية، ثم إن الدولة الثنائية لا تعطي ضمانا لعدم اضطهاد أي من الطرفين للطرف الآخر، وما دام الحل سيقوم ضمن حدود الواقع القائم، فإن الطرف الإسرائيلي هو الطرف الذي سيمارس الاضطهاد.

ياسر عرفات يوري أفنيري

5- هناك حل خامس ويقوم على اتحاد فدرالي بين إسرائيل ودولة فلسطينية، ويتبناه يوري أفنيري، وهذا الحل من طبيعة إصلاحية بورجوازية صغيرة، فهو لا يذهب إلى القضاء على الصهيونية وإسرائيل، بل يريد فقط أن ينزع منهما بعض مساوئهما، ومن ثمة يغفل جوهر القضية، وهو أن إسرائيل كدولة، وبأي شكل من الأشكال، تشكل نقضا لحق الشعب الفلسطيني في تحقيق مصيره.

3) الحل الديموقراطي

مرتكزات هذا الحل:

1-التمييز بين اليهودية والصهيونية، واعتبار أن التناقض ليس بين اليهود والعرب، بل بين الصهيونية من جهة، والأمة العربية، ومن ضمنها الشعب الفلسطيني، من جهة أخرى، والقضاء على الصهيونية، لا القضاء على اليهود، هو شرط هذا الحل. ولكن ما دامت الصهيونية هي الإسمنت الذي يشد لحمة المجتمع الإسرائيلي، فإن الجالية الاسرائيلية تبقى جالية مضطهدة (بكسر الهاء)، إذن فلابد من تحطيم الصهيونية، وتحطيم الاستعمار الصهيوني في فلسطين.

إن هذا الاستعمار من طبيعة خاصة، يتمثل في السيطرة اليهودية على فلسطين في دولة أحادية الجنس، وعلى اعتبار فلسطين أرضا ليهود العالم، ومن هنا **إلغاء قانون العودة**، الذي يعتبر أي يهودي في العالم ذو حق أصيل في استيطان فلسطين، وفقط بعد القضاء على الكيان الصهيوني وخصائصه البنيوية، يمكن للعرب واليهود أن يعيشوا في فلسطين في ظل مساواة تامة بعيدا عن أي ظل من ظلال القهر القومي والديني.

بطبيعة الحال، لا يكفي القضاء على الكيان الصهيوني، بل يجب أيضا، وضع الأسس الكفيلة بعدم انبعاث الصهيونية، وهذا لن يكون إلا إذا كانت فلسطين المستقبل ضمن دولة اشتراكية تنظم المنطقة كلها. فلو افترضنا أن فلسطين ستشكل بعد القضاء على الصهيونية دولة مستقلة، وستكون هذه الدولة ذات أغلبية يهودية، ولا شيء يمنع أن تتحول هذه الدولة إلى إسرائيل جديدة ذات حضور أكبر وأقلية عربية أكبر، وتمارس اضطهاد الأقلية العربية، وتبعث من جديد كل الخصائص البنيوية لإسرائيل الحالية.

إن الاشتراكية هي وحدها القادرة على حل مسائل الاضطهاد القومي لأنها تلغي الأساس المادي لكل اضطهاد. ليس هناك إمكانية لحل حقيقي ضمن الديموقراطية الليبرالية لأنها لا تشكل بحد ذاتها ضمانا لحل مسألة الاضطهاد القومي، أي، وفي أحسن الأحوال، قد تبدل اضطهادا باضطهاد، وفي هذه الحالة اضطهاد العرب للإسرائيليين.

إن الحل الديموقراطي لن يتحقق إلا عبر النضال الثوري، بالقضاء على الكيان الصهيوني عبر عملية ثورية تتحقق بحرب شعبية طويلة الأمد، يقترن فيها النضال ضد الصهيونية بالنضال ضد الامبريالية.

تناهض الرجعية الحل الديموقراطي باعتباره يؤدي إلى التسوية، وتقوم بتشويه الموقف الديموقراطي، ويطرح الرجعيون السؤال:

ماذا لو وافقت إسرائيل على الحل الديموقراطي؟

إن الموقف الرجعي هنا، مبني على افتراض مستحيل، فكيف يمكن لإسرائيل أن توافق على الحل الديموقراطي، هو يعني زوالها، والقضاء عليها.

هناك وجهة نظر ماركسية شكلية سطحية تقول بكل بساطة بضرورة تحالف البروليتاريا العربية مع البروليتاريا الإسرائيلية، وتغفل هذه النظرة أن حركة التحرر الوطني العربية لا تواجه، لمرحلة قادمة على الأقل، الطبقة الإسرائيلية الحاكمة فحسب، بل تواجه المجتمع الصهيوني برمته، وتغفل أيضا أن العمال الإسرائيليين والمستوطنين الزراعيين قد شكلوا تاريخيا العمود الفقري للاستيطان الصهيوني، الشيء الذي حدد دورهم بالعلاقة مع السكان العرب كنقيض عدائي لهم، فهل يعني هذا استحالة التحالف فوق القومي على المدى البعيد؟

للجواب على هذا السؤال لابد من تحليل طبيعة المجتمع الإسرائيلي باعتباره مجتمعا رأسماليا.

لقد نمت وسائل الإنتاج الصهيونية في معظمها، قبل 1948، تحت شعار الملكية الجماعية، وكان هذا أمرا طبيعيا لأن عملية الاستيطان الصهيوني كانت تنفذها وكالات صهيونية عامة ك "الوكالة اليهودية"، و "الصندوق القومي اليهودي" و "الهستردوت".

لقد اخذت الأمور في البداية طابعا اشتراكيا طوباويا ردا على البؤس اليهودي من جهة، وردا على التهم اللاسامية بأن اليهود بطبعهم غير منتجين. لكن ما أن تأسست دولة إسرائيل حتى بدأت رؤوس الأموال تتدفق، فما لبثت أن نخرت القطاعين الجماعيين اللذين أنشئا قبل 1947، والآن يسيطر القطاع الخاص على 92% من مؤسسات الصناعة، يعمل فيها 76% من الأيدي العاملة، وأصبح دور القطاع العام والجماعي هو مساعدة القطاع الخاص، والحفاظ على توازنه وازدهاره. أما "الكيبوتزات"، فلم يعد يقطن فيها اليوم إلا 3،3% من السكان، و تقدم 3،5% من الإنتاج الصناعي و قرابة ثلث الإنتاج الزراعي، و بدأت الكيبوتزات تستعمل العمل المأجور، وفي هذا المجتمع تشكل الطبقة العاملة 30% من السكان، ويشكل الفلاحون 20%، ويملك 10% من السكان نصف الدخل الوطني عام 1956، ولا يتبع توزيع الدخل والمكانة الاجتماعية معيار الانتماء الطبقي فحسب، فهاذان الأمران يخضعان أيضا للأصول القومية للمستوطنين، والتقسيم في النهاية تقسيم طائفي يتجلى في التمييز بين اليهود الغربيين **الأشكناز** واليهود الشرقيين **السفارديم**، وفي سنة 1964 ، كان متوسط دخل الشرقي لا يتجاوز 49% من متوسط دخل الفرد، وكانت نسبة الشرقيين تصل إلى 10% من مجموع السكان، وبناء عليه، ستعمل الصهيونية عن عمد على طمس التناقضات الطبقية داخل المجتمع الإسرائيلي لتحافظ على تجانسه كمجتمع مستعمر(بكسر الميم).

هكذا تم إنشاء نقابة " **الهستردوت**" باعتبارها نقابة عمالية وموظفين، ومؤسسة للضمان الاجتماعي، في نفس الوقت، وربطت مختلف الأحزاب الإسرائيلية من يمينها إلى يسارها بالوكالة اليهودية، ولا شك أن الدعاية العربية الشوفينية (رمي اليهود في البحر) قد قدمت خدمات في مجال تحقيق مستوى مرتفع من الوحدة الداخلية، وطمس التناقضات الطبقية.

إن طبيعة المجتمع الصهيوني تجعل من التخلي عن الصهيونية أمرا لا يمكن أن يتجه له المجتمع الصهيوني بذاته، بل هو لا يمكن إلا أن ينتزع انتزاعا من خارج دولة إسرائيل. وليس هذا الأمر حالة فريدة في التاريخ، فماركس نفسه قد أشار إلى أمر مشابه بالنسبة لإيرلاندا، فهو يقول: "لقد اعتقدت طويلا أن بالإمكان بفضل نهوض الطبقة العاملة الانجليزية، وقد دافعت دائما عن هذا الرأي في جريدة "نيويورك تريبيون" غير أن دراسة المسالة بمزيد من التعمق أقنعتني بالعكس. إن الطبقة العاملة الانجليزية لن تتمكن من القيام بأي شيء ما لم تتخلص من إيرلاندا ... إن جذور الرجعية الانجليزية في انجلترا قائمة في استعباد إيرلاندا". إن هذا ما يمكن قوله عن الوضع في فلسطين.

إن إمكانية بروز التناقضات الطبقية داخل إسرائيل تعتمد على الوصول بالمجتمع الإسرائيلي إلى الأزمة، أي أنها تعتمد على تغيير ميزان القوى الراهن لصالح حركة التحرر الوطني الفلسطيني والعربي، وعلى النضوج السياسي لهذه الحركة،

بحيث تستطيع مخاطبة سكان إسرائيل وإفهامهم أن الصهيونية لم تحل المسألة اليهودية وأنها تلتقي مع اللاسامية في منتصف الطريق، بحيث أن هدف كليهما إخراج اليهود من مختلف الدول وإرسالهم إلى إسرائيل، بحيث بالإمكان طرح حل ديموقراطي للمسألة

الفلسطينية، يقدم آفاقا ديموقراطية لمصير سكان إسرائيل، وهنا يكون الحل الديموقراطي كشعار استراتيجي لاعبا لدوره في العمل على تفتيت الجبهة الداخلية لليهود.

إن طبيعة الصهيونية تجعل من المستحيل الجمع بين الولاء للصهيونية والموقف الثوري، فلا يمكن اعتبار الإسرائيلي ثوريا ما لم يكن معاديا للصهيونية بحزم ونشاط، وهذا يتطلب النضال ضد الكيان الإسرائيلي من داخله، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، هذا وحده الكفيل بوضع الأسس الموضوعية لتحالف موضوعي بين الثوريين العرب والإسرائيليين.

ملحوظة:

تميل بعض الأوساط اليسارية الأوروبية، وخاصة التروتسكية منها، إلى القول أن من واجب الثوريين العرب الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الإسرائيلي، و تضيف هذه الأوساط أنه ما دام سكان إسرائيل يشكلون شعبا فلا مناص للثوريين من الاعتراف بحق تقرير المصير، و هذا ينم عن عدم فهم للمسألة القومية بشكل عام ،و المسألة الفلسطينية بشكل خاص، فهؤلاء يقفون باسم الأممية الرابعة على بعد متساو من طرفي الصراع القومي ليشجعوا الطرفين و يطالبونهما باعتراف كل طرف بالطرف الآخر ، متصورين أن ذلك يحل المشكلة، متناسين أن هناك مضطهدين (بكسر الهاء) و مضطهدين (بفتح الهاء) و أن من واجب الثوريين الحقيقيين أن يدعموا المضطهد (بفتح الهاء) ضد المضطهد (بكسر الهاء).

وسواء قلنا، أن هناك **شعب إسرائيلي**، أو **كونه في طريق التكون**، فهل يعني هذا ضرورة لحق تقرير المصير للشعب الإسرائيلي؟ ماركسيا، فحق تقرير المصير يعني حق الانفصال، والماركسية تعترف بحق تقرير المصير، ولكن بشكل سلبي فقط، فهي لا تجعل من هذا الحق مقدسا طوباويا، بل تجيب بنعم أو لا.

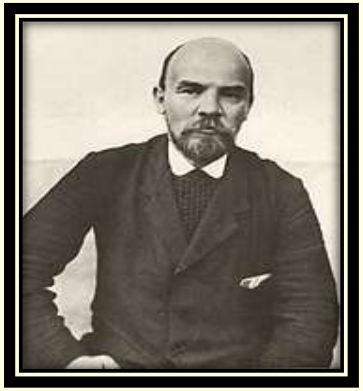

فلاديمير لينين

لكل مسألة من مسائل الانفصال طبقا لكل حالة على حدى، مخضعة المسألة لمسألة الصراع الطبقي و الثورة الاشتراكية، هادفة إلى تحقيق السلم القومي ليتخلص الصراع الطبقي من القيود التي يفرضها عليه موضوعيا التناقض القومي، و يقول لينين:

"البروليتاريا تعترف بالمساواة في الحقوق وتقر لجميع الأمم حقا متساويا في إنشاء دولة قومية، ولكنها تضع مصلحة التحالف بين البروليتاريين في جميع الأمم فوق كل اعتبار آخر، وتنظر إلى كل مطلب قومي، وإلى كل انفصال قومي، على ضوء نضال العمال الطبقي. (لينين "مسائل السياسة القومية والأممية البروليتارية").

إن وجود إسرائيل كدولة يشكل إلحاقا بالمعنى الذي يؤكده لينين، فهو يقول " "مفهوم الإلحاق، يفترض عادة:

1-مفهوم العنف، مفهوم الاضطهاد القومي الأجنبي (ضم منطقة أجنبية)، وأحيانا:

2-مفهوم خرق الوضع الراهن

ثم يؤكد، أن الإلحاق، كما يفهمه الماركسيون، هو:

"خرق لحق حرية أمة من الأمم في تقرير مصيرها" وتعيين حدود دولة من الدول خلافا لإرادة السكان".

ومن هنا يصبح من واجب الثوريين الإسرائيليين الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، يصبح واجبا عليهم النضال ضد الإلحاق، فهذا هو السبيل الوحيد لتخطي الطابع القومي للمواجهة العربية – الإسرائيلية، ويقول لينين:

"لكي نتمكن من القيام بالثورة الاشتراكية، ومن إسقاط البورجوازية، ينبغي على العمال أن يتحدوا اتحادا وثيق العرى، والنضال من أجل حرية تقرير المصير، أي ضد الإلحاق يسير هذا الاتحاد".

أما مطالبة الثوريين العرب بالاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الإسرائيلي، فذلك فهم معكوس للمسألة، ذلك أننا إذا نظرنا إلى المسألة على ضوء مصلحة الثورة الاشتراكية العالمية، كما يجب أن نعمل، فإننا نجد أن هذه المصلحة تقتضي القضاء على الصهيونية ككيان و وجود، أي كدولة أحادية العنصر في فلسطين، و لكن هذا لا يكفي، بل يجب أن توضع الأسس الكفيلة بعدم انبعاث الصهيونية بعد القضاء عليها، وهنا تكمن المشكلة، فحق الشعب الإسرائيلي في تقرير مصيره يعني تشكيل دولة منفصلة في فلسطين، مما يفسح المجال واسعا أمام انبعاث الصهيونية. فما معنى أن تحل المسائل القومية على حساب امتيازات المضطهد (بكسر الهاء)، إذا لم يتناول ذلك في الحالة التي تبحث الامتيازات الأساسية للصهيونية، ألا وهو تشكيلها لدولة إسرائيلية منفصلة.

يقول لينين:

"إن مختلف المطالب الديموقراطية بما فيها حق الأمم في تقرير مصيرها ليست شيئا مطلقا، بل هي جزء من مجموع الحركة الديموقراطية" (اليوم الحركة الاشتراكية العالمية).

من الممكن في بعض الحالات العينية الملموسة أن يناقض الجزء، الكل، وفي هذه الحالة يجب نبذ الجزء. إن أي حل للمسألة الفلسطينية يجب أن يضع في الاعتبار أن تشكيل اليهود لدولة مستقلة في فلسطين (حق تقرير المصير، يعني حق الانفصال) هو خرق في حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

← إن الحل الديموقراطي للمسألة الفلسطينية هو الحل، وما عداه هو تكريس للأمر الواقع، وهذا الحل يضع التقدميين الإسرائيليين أمام مسؤوليتهم في دعم النضال الفلسطيني في النضال ضد إسرائيل من الداخل. إن وضع هذا الحل محل التنفيذ يتطلب عملية ثورية، نضالا، هو حرب التحرير الشعبية بقيادة تحالف عظيم ما بين قوى النضال الفلسطيني وقوى الثورة العربية.

عن نشرة "الثوري"

"نحو حل ديموقراطي للمسألة الفلسطينية" 1970

وثيقة من إنجاز "الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين"

الوثيقة السادسة

الأرضية المشتركة للمجلس الوطني الفلسطيني السابع (1970)

1. إن الجماهير الفلسطينية العاملة والكادحة، وكذلك كافة القوى التي لها مصلحة في المشاركة في مرحلة التحرر الوطني الهادفة إلى التحرير الكامل للأرض الفلسطينية، هي القوى المكونة للثورة الفلسطينية.

2. النضال الفلسطيني ينطلق من الإيمان بوحدة الشعب على **الأرض الفلسطينية الأردنية**، ومن الإيمان بأن الشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية، وأن الأرض الفلسطينية جزء من الأرض العربية.

3. إن الثورة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العربية المعاصرة، وحركة التحرر العالمية ضد الإمبريالية والصهيونية العالمية.

4. أعداء التحرر الوطني الفلسطيني هم الصهيونية ودولة إسرائيل والإمبريالية **وكل القوى المتواطئة المرتبطة جدليا و وظيفيا بالإمبريالية والاستعمار**.

5. هدف النضال الفلسطيني هو تحرير فلسطين كلها، **والعيش المشترك لجميع مواطنيها، متساوين في الحقوق والواجبات**، في إطار آفاق وحدة الأمة العربية وتقدمها.

6. إن الحرب الثورية الشعبية هي الطريق الأساسي لتحرير فلسطين.

7. يسعى شعب فلسطين وحركة تحريره الوطني إلى التحرر الشامل ويرفضان كافة الحلول التصفوية والإستسلامية السلمية، بما في ذلك المناورات الرجعية والإمبريالية الهادفة إلى إقامة الدولة الفلسطينية على جزء من الأرض الفلسطينية، كما يرفضان قرار التصفية لمجلس الأمن. (قرار المجلس بتاريخ 22 نوفمبر 1967).

8. تعتبر المقاومة الأرض العربية المحيطة بإسرائيل هي ميدان العمل المشروع للنضال الفلسطيني. وأي محاولة لإغلاق بلد عربي أمام المقاومة، هي بمثابة خيانة للأهداف التحررية لشعب فلسطين والأمة العربية.

9. تؤكد المقاومة استقلالها التام عن كافة الأنظمة العربية، **وترفض كل محاولات التطويق أو الرعاية أو التسلل أو الاستعادة.**

10. تتفق كافة فصائل المقاومة على تشكيل لجنة عسكرية موحدة لتوسيع نطاق الكفاح المسلح، والانتقال إلى مرحلة جديدة من العمل الفدائي وحرب الشعب التحريرية.

11. إن تسليح الجماهير الفلسطينية والعربية في الدول المتاخمة للأرض الفلسطينية المحتلة ضرورة حيوية لحماية المقاومة من محاولات التصفية، ولمشاركة هذه الجماهير بشكل مباشر وفعال في مكافحة العدوان الامبريالي الصهيوني.

12. إسرائيل في جوهرها مجتمع عنصري منغلق مرتبط بالإمبريالية. ولذلك فإن القوى التقدمية المحدودة داخلها لا تستطيع إحداث تعديل جذري في طبيعتها الصهيونية والعنصرية والإمبريالية. ويترتب على ذلك، أن هدف الثورة الفلسطينية هو تصفية كيان إسرائيل الصهيوني بمؤسساته المختلفة وتحقيق كافة أهداف الثورة.

=النقاط التي يتم الاتفاق عليها تصبح ملزمة للجميع، أما النقاط التي لم يتم الاتفاق عليها بعد، فهي متروكة لمبادرة كل منظمة في إطار منظورها الخاص، والمصلحة العامة للثورة.

وستشارك كافة الفصائل في المجلس الوطني الفلسطيني المقبل والمؤسسات المنبثقة عن منظمة التحرير الفلسطينية. وأهمية كل منظمة داخل المجلس، لن تكون موضوع نقاش بين المنظمات.

بقرار من المجلس الوطني، تنشأ لجنة مركزية تضم كافة فصائل المقاومة لتتولى دورها القيادي، وتحل محل القيادة الموحدة. وستضم اللجنة المركزية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وممثلي كافة تنظيمات المقاومة، ورئيس المجلس الوطني، وقائد جيش التحرير.

حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح

منظمة التحرير الفلسطينية وكافة المؤسسات التابعة لها (جيش التحرير الشعبي، قوات التحرير الشعبية، اللجنة التنفيذية)

طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة)

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين

المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين

جبهة النضال الشعبي الفلسطيني

المنظمة العربية الفلسطينية

الجبهة الشعبية (القيادة العامة)

جبهة التحرير العربية

منظمة عمل التحرير الفلسطينية

الوثيقة السابعة

فتح: الثورة الفلسطينية واليهود (1970)

I- موقف الفلسطينيين من اليهود

منذ سنة. أصدرت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح برنامجها السياسي رسميا، وحددت الهدف النهائي لنضالها التحرري:

"إننا نناضل اليوم من أجل إنشاء فلسطين الغد الجديدة، فلسطين تقدمية وديمقراطية وغير طائفية، يتمتع فيها المسيحيون والمسلمون واليهود بحرية العبادة والعمل والعيش في سلام، ويتمتعون بحقوق متساوية".

ونقرأ أيضا:

"إن ثورتنا الفلسطينية تمد يدها لكل من يريد أن يقاتل معها للعيش في فلسطين المتسامحة والديمقراطية، دون تمييز في العرق أو اللون أو الدين".

وهذا البيان كان يكرره ويشرحه ويكمله ممثلو فتح في كل مرة يشاركون فيها في تجمع دولي. ونقل عدد من الصحافيين هذه الجملة عن الناطق الرسمي باسم فتح أبو عمار (ياسر عرفات):

"عندما نهزم العدو ونحرر فلسطين، سننشئ وطنا لنا جميعا".

أبو أياد، أحد قيادات فتح أعلن في مقابلة مطولة مع دار النشر "**الطليعة**":

"أن الثورة الفلسطينية أدانت كافة أشكال الاضطهاد والتمييز، وأن فتح، مستعدة لمساعدة اليهود، أينما كانوا، إذا تعرضوا لاعتداءات عنصرية".

لم يكن مثل هذا الإعلان مجرد حجة دعائية بسيطة: بل كان من المقرر أن يتجسد بعد بضعة أسابيع، في **يوليوز/تموز**1969، عندما قام الطلاب المنتسبون إلى فتح بحماية **البروفيسور اليهودي إيلي لوبيل**، في فرانكفورت، ألمانيا، ضد الهجمات ومحاولة القتل التي ارتكبت ضده، من قبل الصهاينة الألمان. وبالمثل، قامت فتح بحماية حياة أعضاء حزب **ماتزبين** اليهودي في ألمانيا الذين تلقوا تهديدات بالقتل في أعقاب هذا الحادث.

فكرة ثورية

وإذا كان كل هذا يبدو صعب التصديق، فذلك بسبب المرارة التي ولدتها المأساة الفلسطينية، منذ وعد بلفور واحتلال فلسطين، من قبل الصهاينة. أدى هذا الاحتلال إلى طرد الفلسطينيين من وطنهم ونزوحهم، من أجل إنشاء "**دولة يهودية على وجه التحديد: "إسرائيل"**.

الكونت برنادوت

إن الدعوة إلى **فلسطين جديدة منفتحة ومتسامحة تجاه اليهود وغير اليهود تمثل نقطة تحول في النضال الفلسطيني**. لكن هذه الفكرة ليست جديدة:

فقد اقترح الفلسطينيون إنشاء مثل هذه الدولة على لجنة بيل عام 1937، وعلى الكونت برنادوت عام 1948.

أما فكرة جعل اليهود والمسلمين والمسيحيين يعيشون في سلام ووئام، فهي أيضا فكرة قديمة جدا.

وأعلنت فتح:

"هذا ليس حلماً طوباوياً أو وعداً كاذباً، لأننا عشنا دائماً بسلام، مسلمين ويهوداً ومسيحيين، في الأرض المقدسة. لقد آوى عرب فلسطين اليهود الفارين من الاضطهاد في أوروبا المسيحية وساعدوهم". كما رحبوا بالأرمن المسيحيين الفارين من اضطهاد تركيا المسلمة، واليونانيين، والقوقازيين، والمالطيين وغيرهم".

الجديد، هو أن العرب غير اليهود المنفيين والمطرودين من ديارهم والمطرودين من وطنهم على يد اليهود المستوطنين في فلسطين، لا يزال بإمكانهم، رغم كل شيء، وبينما يلوحون بالبنادق ويسارعون إلى تحريرهم ووجودهم ذاته، أن يطالبوا بدولة تجمعهم مع الضحايا السابقين والمعتدين والمضطهدين السابقين.

وهذه الفكرة ثورية ونتائجها متعددة ومهمة.

هذه الفكرة ثورية جدًا في الواقع، لدرجة أن قلة من الناس، خارج أولئك المتأثرين بشكل مباشر، يمكنهم الإيمان بها ودعمها. ومع ذلك، **فإن فكرة فلسطين ديمقراطية غير طائفية هي فكرة مرغوبة وممكنة في نفس الوقت**. ويكفي أن نؤمن بها ونناضل من أجل تحقيقها، مهما كانت التضحيات، من أجل إحلال السلام الدائم في فلسطين.

الفلسطينيون المنفيون

ثلاثون عاماً من الانتداب والهيمنة الإنجليزية أتاحت للشعب الفلسطيني أن يعرف عدوه جيدا. في أذهان الناس، كانت الإمبريالية البريطانية والإمبريالية الصهيونية مرتبطتين ارتباطًا وثيقا.

وقد اشتبه العديد من الفلسطينيين بالفعل في المؤامرة التي كانت تحاكها هاتان الإمبرياليتان، وهي على وجه التحديد، إنشاء "وطن قومي يهودي" وطرد العرب الفلسطينيين.

حدثت ست ثورات دموية بين عامي 1919 و1939. وكانت موجهة بشكل أساسي ضد المحتل البريطاني. ولكن مهما كانت مسؤولية الإنجليز - وهي عظيمة - فقد تم طرد الفلسطينيين فيما بعد على يد الإرهابيين اليهود. وفي غضون أشهر قليلة، تم طردهم من بلادهم بسبب مجازر مثل مذبحة دير ياسين وألقوا بهم في الصحراء القريبة. وفي الوقت نفسه، دعا قادة مضطهديهم إلى إنشاء "وطن يهودي حصريًا"، معتبرين إياهم، المنفيين، مواطنين من الدرجة الثانية، يستحقون الطرد من وطنهم.

اليهود والصهاينة

وقد تحمل بعض القادة "المثقفين" عناء التمييز بين اليهود والصهاينة، وكرروا: "نحن لسنا مناهضين لليهود، نحن مناهضون للصهيونية. نحن أيضًا ساميون واليهود أبناء عمومتنا". ولكن بدا من غير الواقعي أن نسمعهم يقولون: "من بين أفضلنا، هناك يهود، نحن فقط ضد دولة إسرائيل".

وفي بؤسهم، لم يعد اللاجئون يميزون: فقد أخبرهم الإسرائيليون أنفسهم أن كل اليهود في العالم هم صهاينة. الضغط "اليهودي" على الولايات المتحدة، والأموال "اليهودية"، والمهاجرين اليهود، كل هذا أعطى الانطباع بأن العدو يفرض نفسه في كل مكان وأن أمل عودة الفلسطينيين كان غير مؤكد للغاية.

فلا نستغرب إذن سيادة المرارة والخوف. أصبحت "**بروتوكولات حكماء صهيون**" أدباً عصرياً ومعادياً للسامية، طورته العنصرية الأوروبية في سياق مختلف تماماً، في الوقت الذي كان فيه اليهود الضحايا، وانتشر في كل مكان تقريباً. وانتشرت هذه الموجة من المرارة والكراهية والارتباك إلى الدول العربية الأخرى، ومساعدة الدعاية الصهيونية التي أرادت إثارة رحيل اليهود العرب من وطنهم للانضمام إلى الأراضي المحتلة.

في الواقع، كان الآلاف من هؤلاء اليهود سيبقون في وطنهم، لو كانت الظروف غير ذلك، وكانوا سيستمرون في العيش، كما كانوا لمئات السنين، في سلام ووئام مع جيرانهم.

الثورة، عهد جديد

في الأول من كانون الثاني (يناير) 1965، أطلقت فتح، بعد ست سنوات من الإعداد العسكري والعمل السياسي، عملية الثورة الفلسطينية. لقد أمضيا العامين الأولين في ترسيخ وجودهما في "الساحة" الفلسطينية. لقد وضعت تجربة عام 1967 المؤلمة والنزوح الثاني الذي أعقبها الفلسطينيين بشكل نهائي على طريق الثورة.

يمكنهم أخيرا حمل السلاح والعودة إلى ديارهم للقتال ضد المحتل. لقد أدركت الجماهير الفلسطينية أن تحريرها لا يمكن أن يأتي من عمل الجيوش العربية، في شكل حرب كلاسيكية، بل من خلال حرب التحرير الشعبية. واستعاد الشعب الثقة، وولدت الأمة من جديد. **الكرامة** (معركة الكرامة) والانتصارات الأخرى، التضحيات والمقاتلون الذين سقطوا على أرض المعركة، والتصعيد المسلح، جسّد وعزّز الشعور بالانتماء إلى فلسطين.

وفي الوقت نفسه، جلبت الثورة النضج للمقاتلين. وعلى الرغم من التناقض الذي قد يبدو عليه الأمر، إلا أن أولئك الذين يقاتلون يصبحون أكثر تسامحا. العنف في الأفكار والكلمات لا يصاحبه إلا الإحباط واليأس.

بدأت الطريقة التي ننظر بها إلى العدو تتغير، وبدأ التمييز بين اليهودي والصهيوني يأخذ معنى. إن الرغبة في الانتقام ليست كافية لشن حرب تحرير. بدأ المقاتلون بالتفكير في أهدافهم النهائية. أدت المناقشات مع المثقفين اليهود التقدميين الذين جاؤوا من جميع أنحاء العالم للدخول في حوار مع الثورة إلى عمق أكبر من أي وقت مضى.

العقيدة الجديدة

وقام قادة الثورة بدراسات ومناقشات أدت إلى تساؤلات جدية: لقد عانى اليهود من الاضطهاد على يد العنصريين المجرمين، النازيين، كما نعاني من الصهاينة. ثم نقوم بإنشاء أوجه تشابه كاشفة. "كيف يمكننا أن نكره اليهود كيهود؟" سأل الثوار أنفسهم، فكيف وقعنا في فخ العنصرية؟

تم إجراء دراسة للتاريخ والفكر اليهودي: غالبية الذين أتوا إلى فلسطين كانوا فارين من معسكرات الاعتقال الألمانية. فقيل لهم: أنتم شعب بلا أرض لأرض بلا شعب. وتم التأكيد لهم أن الفلسطينيين قد غادروا فلسطين بمحض إرادتهم، بعد أوامر القادة العرب، كجزء من خطة غادرة لتنفيذ مذبحة عامة لليهود.

ثم رددت "الآلة" الصهيونية للمهاجرين اليهود الجدد، كما للمستوطنين القدامى، أنه لم يكن هناك سوى بديل واحد: إما القتال من أجل البقاء وحماية "إسرائيل"، أو التعرض للذبح، أو، في أحسن الأحوال، الفرار في زورق خطير على البحر، البحر المتوسط.

وحتى اليهود العرب - الذين يطلق عليهم الصهاينة اسم "اليهود الشرقيين" - الذين كانوا مع ذلك، داخل إسرائيل، عرضة للتمييز من جانب الأوليغارشية الأوروبية الصهيونية، كان عليهم أن ينتهي بهم الأمر إلى قبول الحجة، والنضال من أجل ما اعتبروه بقائهم على قيد الحياة.

كان الهدف من القتال ضد الصهيونية هو الكشف للفلسطينيين عن نقاط قوة وحدود الشخصية اليهودية. لم يكن اليهود وحوشا، ولا رجالا خارقين، ولا أقزاما. وتشكلت صورة إنسانية جديدة لليهودي. مارتن بوبر، إسحاق دويتشر، إلمر بيرجر، وموشيه مينوهيم، كل هؤلاء المفكرين الإنسانيين اليهود تمت قراءتهم وإعادة قراءتهم.

صورة جديدة

لقد حرر الثائر الفلسطيني نفسه من معظم صوره النمطية القديمة. ويدهش الزوار الأجانب عندما يزورون قواعد الكوماندوز، وبشكل خاص معسكرات "الأشبال"، أشبال الأسود المقاتلة. إن الثائر الفلسطيني مستعد للموت من أجل تحرير فلسطين ولن يقبل أي بديل مهما كان الثمن الذي سيدفعه. لكن لديه فكرة واضحة عن العدو والهدف النهائي. عندما جاء الطلاب اليهود من أوروبا لقضاء جزء من الصيف في الأردن في مخيم الفتح، تم تبنيهم بشكل عفوي.

وتتطلع فتح إلى اليوم الذي يأتي فيه آلاف اليهود للقتال إلى جانبها من أجل تحرير فلسطين. ونظراً للأحداث الأخيرة، فمن الممكن أن يحدث هذا في وقت أقرب مما نعتقد.

الخطوة الأولى:

اتخذ الثوار الفلسطينيون الخطوة الأولى **بالمطالبة بإنشاء فلسطين ديمقراطية غير طائفية**. هناك تغيير في الموقف: فالفلسطينيون المنفيون والمضطهدون يعيدون تحديد أهدافهم ويريدون إنشاء فلسطين جديدة تضم أيضًا اليهود الحاليين في إسرائيل.

ولكي يصبح هذا الهدف قابلا للتحقيق، لا بد من البدء بالانتباه للمحاور، ما هو الموقف الحالي لليهود فيما يتعلق بمثل هذا الهدف، وما الذي يمكن أن يغير حالتهم الذهنية؟ سيتم التعامل مع هذا الموضوع الآن. ومن ثم سندرس فلسطين الجديدة، وندرس كيف تظهر نفسها في المرحلة الراهنة من الثورة. ونأمل أن تساعد هذه الطريقة في بدء حوار جدي، ثورتنا شابة وديناميكية، وسيواصل نشطاؤها النضال والتعلم حتى النصر.

II- موقف اليهود من الفلسطينيين

إن الثورة الفلسطينية، كما قلنا، اعتمدت رسميا كهدف نهائي لنضالها التحرري إنشاء فلسطين ديمقراطية غير طائفية، يستطيع المسيحيون واليهود والمسلمون العيش فيها دون تمييز. ويمثل تبني هذا الهدف تغييرا ثوريا في منظور مستقبل فلسطين. الفكرة، بالطبع، ليست جديدة تماما، فقد عاش الفلسطينيون المسيحيون والمسلمون واليهود معا لعدة قرون في سلام ووئام، أو على الأقل مع الحد الأدنى من الاحتكاك.

ومع ذلك، فإن الاحتلال الصهيوني لفلسطين واقتلاع جزء كبير من سكانها، مسلمين ومسيحيين، مدفوعين بالإرهاب والخداع والقوة الغاشمة، قد أحدث تغييرا عميقا في عقليتهم.

لقد تعلم الفلسطينيون المنفيون أن يكرهوا اليهود باعتبارهم مضطهدين، وإمبرياليين، والسبب الوحيد لعذاباتهم. وأشاروا إلى أن اليهود المضطهدين، بعد أن وجدوا ملجأ في فلسطين، أصبحوا بدورهم مضطهدين. وأصبح من الصعب على العديد من الفلسطينيين المضطهدين التمييز بين اليهود والصهاينة، والارتقاء فوق معاناتهم والتمييز بوضوح بين أعدائهم الحقيقيين.

وكانت النتيجة الأهم للثورة الفلسطينية هي تحرير الفلسطينيين من قيودهم وبؤسهم وإذلالهم ويأسهم. ما إن استطاع الفلسطيني أن يحمل البندقية بيده ويتحكم في مصيره، حتى كبر ونضج بسرعة.

بدأت الثورة على الفور بإجراء دراسات عن عدوها ونفسها. إن حركة التحرير التقدمية لا يمكن أن تستلهم الانتقام ولا يمكن أن تحددها العنصرية التي تميز عدوها في رغبته في الغزو. ومنذ ذلك الحين، نظرنا إلى تاريخ معاناة الشعب اليهودي وأهدافه.

ساعدت المناقشات الجادة مع اليهود التقدميين من أوروبا وأمريكا في تشكيل صورة جديدة لليهود بشكل عام، ولكن أيضا لليهود كصهاينة وكمواطنين فلسطينيين: رجال، بعد أن تعرضوا للاضطهاد من قبل بعض الأوروبيين العنصريين والنازيين، تم التلاعب بهم من قبل العنصريين والنازيين، والأوروبيين الصهاينة الذين وجهوهم إلى فلسطين مكان الفلسطينيين المطرودين.

نجحت الثورة في إحداث تغيير جذري في تفكير الفلسطينيين وموقفهم من عدوهم، ولم يعد الفلسطينيون مدفوعين بمشاعر الكراهية تجاه اليهود في حد ذاتهم، ويعتبرونهم أعضاء في مجتمع مثل الآخرين، سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين.

إن سلوكهم وموقفهم من الفلسطينيين وثورتهم، كل هذا يصبح أكثر أهمية من اسمهم، ولغتهم أو معتقداتهم الدينية، ويناضل الفلسطينيون من أجل **إقامة دولة ديمقراطية متسامحة وأرض محررة "لنا جميعا"، يهودا ومسيحيين ومسلمين**. ويعتبر هذا التغيير في الموقف الخطوة الأولى نحو إنشاء دولة جديدة، وسيكون التغيير في موقف اليهود، الذين من جانبهم يفهمون الفلسطينيين وثورتهم، أمرا آخر. **فلسطين منفتحة ومتعددة ومتسامحة تجاه اليهود.**

إن المسلمين والمسيحيين أفضل بكثير من دولة عنصرية خالصة، تأسست على مبدأ الإقصاء والبؤس لجزء من سكانها. ما مدى إمكانية تحقيق هذا الهدف؟

هذا سيعتمد على موقف اليهود داخل فلسطين وخارجها وعلى مدى تقدم الثورة. وكما درسنا موقف الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين، سندرس الآن موقف اليهود وردود أفعالهم.

محاولة لتحليل السلوك اليهودي

إن أي محاولة لدراسة وتفسير السلوكيات وردود الفعل الأخلاقية لمجموعة سكانية ما تخضع لصعوبات، وقد يشتبه في تحيزها وتشويهها. ونحن لا ندعي التحرر من هذا النوع من الضعف، ولكننا سنحاول التقليل من تأثيره.

سنبدأ بالاقتباسات المباشرة وبالرجوع إلى المستندات عندما يكون ذلك ممكنا.

هناك مشكلة أساسية تتطلب دراستنا، وهي أن معظم السلوكيات و"الإيديولوجيات" التي تمت دراستها، بناها الصهاينة، من خلال رعاية منظمتهم الدعائية. ربما لم يتم قبولها من قبل جميع أو أغلبية اليهود في العالم، ومع ذلك، لا بد من الاعتراف بأن الصهاينة نجحوا إلى حد كبير في ربط اليهودية بالصهيونية في نظر غالبية اليهود، وخاصة في الدول الغربية. وقد ساعدت الفظائع التي ارتكبها النازيون والتهديدات المعادية لليهود في العديد من البلدان، على أن يحافظ الصهاينة على قبضتهم على عقول اليهود في كل مكان.

فبدون أموال اليهود، وبدون نفوذهم السياسي، وبدون دعمهم، لم تكن إسرائيل لتتمكن من البقاء، ولما كان الاحتلال الإمبريالي الصهيوني قد استمر. وفي نهاية المطاف، فإن قوة ونفوذ يهود العالم، الذين يتلاعب بهم الصهاينة، هو الذي أدى إلى إدامة مأساة الفلسطينيين وقمعهم واستعبادهم ونفيهم.

ولذلك من المهم جداً أن ندرك المشاعر التي يشعر بها اليهود تجاه الفلسطينيين، وكيف ينظرون إليهم "كشعب" وإلى أي مدى أثرت هذه المشاعر على العمل الذي أدى إلى طرد الفلسطينيين. والأهم من ذلك أن نسأل هل يمكن تغيير هذا الرأي؟

تيودور هرتزل

كيف ينظر الصهاينة إلى الفلسطينيين؟

في البداية، كان موقف الصهاينة تجاه الفلسطينيين هو ببساطة تجاهل وجودهم. العبارة الشهيرة **لإسرائيل زانغويل**:

"**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**" تلخص هذا الموقف.

وقد عبر **حاييم وايزمان** عن حكم أكثر "روعة":

إسرائيل زانغويل

"هناك دولة، على ما يبدو، تسمى فلسطين، دولة بلا سكان، ومن ناحية أخرى، هناك شعب يهودي، وليس لديه هذا البلد. ما الذي يمكن فعله سوى وضع الحجر الكريم في الخاتم، لتوحيد الناس في وطنهم؟ "

ويشير **أوري أفنيري** إلى أن **تيودور هرتزل**، في كتابه "**الدولة اليهودية**" الذي أطلق الحركة الصهيونية الحديثة، اهتم بساعات العمل وسكن العمال وحتى بالعلم الوطني، ولا يقول لنا كلمة واحدة عن عرب فلسطين.

بالنسبة للصهاينة كان العربي هو "**الرجل الخفي**". نفسياً، لم يكن موجوداً، ومع ذلك، فإن هذا الموقف لا يمكن أن يصمد أمام اختبار الحقائق. تم اكتشاف فلسطين لتكون دولة مزدهرة في وقتها، نما عدد سكانها

آحاد هعام، تعني "أحد أبناء الشعب"، واسمه الحقيقي هو "آشير جنتسبورج"

وأنجزت مهمتها، وزرعت ترابها في سلام نسبي، وقدمت مساهمتها بشكل عام للمجتمع العربي. وتؤكد العديد من التقارير التي نشرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أن العرب الفلسطينيين، على سبيل المثال، كانوا ينشطون بشكل مكثف في مجال الحمضيات، لقد أنتجوا برتقالا ذا جودة استثنائية كان مشهورًا بالفعل في القرن الثامن عشر.

أشار **آحاد هعام، وهو يهودي روسي وفيلسوف عبري**، في عام 1891 إلى أن فلسطين ليست فارغة، وأن ذلك يطرح مشاكل، وأوضح بعد رحلة إلى فلسطين، أنه كان من الصعب العثور على أراضٍ عربية هناك، والتي لم يتم العثور عليها بعد تم النعناع البري.

عندما علم ماكس نورداو، الزعيم الصهيوني، بوجود سكان عرب في فلسطين، ركض إلى هرتزل، وهو يصرخ:

"لم أكن أعرف ذلك! ولكن بعد ذلك، نحن نرتكب الظلم..."

ماكس نورداو

ثم يتناول الإنتاج الصهيوني للكليشيهات، موضوعًا آخر قبله عدد كبير من اليهود والمسيحيين في أوروبا وأمريكا، وساهم بشكل كبير في تحديد موقف اليهود من الفلسطينيين.

وبحسب الصهاينة، فقد صادف أنهم عاشوا في فلسطين بالصدفة، كانوا متخلفين، ولم يكن لهم كيان وطني ولا حضارة. وقد تم تبني هذا الرأي في إعلان بلفور سيئ السمعة، حيث وصف الفلسطينيين بأنهم **شعب أصلي**، قد يكون له حقوق دينية ومدنية، ولكن ليس حقوقًا سياسية، ولا يشكل شعبًا حقيقيًا.

لاحقًا، **تم اختراع أنهم في الواقع ليسوا عربًا بل بدوًا، بدوًا متجولين، ينهبون تربة فلسطين الخصبة ويجلبون هذه الأرض الرائعة من الحليب والعسل إلى حالة من الدمار المتزايد.**

وبالتالي، فإن هبوط اليهود الأوروبيين في فلسطين سيكون نعمة هناك، "لأن اليهودي الأوروبي كان حاملا لحضارة متفوقة، وسيّد التكنولوجيا الأوروبية، وكان قادرا على جلب بركات هذه الحضارة إلى السكان البدو في فلسطين". ومن الواضح أن هذه كانت "مهمة حضارية" نموذجية.

علاوة على ذلك، كان هرتزل نفسه مستعمرا أوروبيا، وإمبرياليا ألمانيا، بقدر ما كان يهوديا، ولم يخف ذلك:

"مع اليهود،" كما قال، "سيصل العنصر الثقافي الألماني إلى الشرق، وسيصل إلى الشرق، وسيصل إلى الشرق". "الدليل هو أنه، حتى لو كانوا من أصل يهودي، فإن الكتاب الناطقين بالألمانية هم الذين يقودون الحركة الصهيونية. إن الألمانية هي لغة المؤتمر (مؤتمر بازل) **والغالبية العظمى من اليهود يشاركون في الثقافة الألمانية".**

ويضيف أبعد من ذلك بقليل:

"إذا أراد الله أن نعود إلى وطننا التاريخي، فعلينا أن نعمل كممثلين للحضارة الغربية، وأن نجلب عادات الغرب المصاغة بعناية إلى هذه الزاوية البائسة من الشرق، المثقلة بالمصائب".

صورة القادة الفلسطينيين

لم يتوافق الفلسطينيون مع الصورة التي قدمها لهم الصهاينة، وعلم العالم في نهاية المطاف أن هناك فلسطينيين مستعدين للقتال من أجل العيش أحرارا. وقد وجد صانعو الشعارات الصهيونية إجابة على هذا السؤال بسهولة: كان من الممكن أن يصبح الفلسطينيون مواطنين

مطيعين لو لم يلوثهم المحرضون والمتعصبون. لقد كانت الصراعات الأسرية أو العائلية أو "القبلية" بين الأغنياء، هي التي تسببت وحدها في هذه المشاكل.

هذه الصراعات من شأنها أن تتسبب في دمار عامة الناس وهم الذين سيدفعون الثمن. ويصف **موريس صموئيل** القادة الفلسطينيين بأنهم: **"جيش من الكسالى والفنانين خلف الكواليس ومثرثري المقاهي الطفيليين، الذين هم المسؤولون الأولون عن الأجواء غير المستقرة. ولا يمكن تنفيذ النشاط السياسي في فلسطين من قبل "السكان الأصليين" الذين لا يفهمون هذه الأمور والأشياء، ولكن فقط من قبل المحرضين"**.

الموقف من "اللاجئين" الفلسطينيين

تم إنجاز استعمار فلسطين واقتلاع الفلسطينيين جزئيًا في عام 1948، واكتمل في عام 1967. وقد تحققت أخيرًا كل الأحلام والبرامج الصهيونية. تم إنشاء وطن لليهود في فلسطين، وأصبح **"السكان الأصليون"** لاجئين ومنفيين محرومين من منازلهم وحقوقهم الوطنية. إن هذه المأساة الإنسانية الكبرى، التي جلبت البؤس والذل واليأس لمليون، ثم مليون ونصف رجل، كانت قضية مظلمة، **وجريمة مع سبق الإصرار**.

وقد تم تقديم هذا الوضع الجديد على النحو التالي: لقد باع الفلسطينيون أراضيهم لليهود، ثم فروا من البلاد للسماح للجيوش العربية بقتلهم. وهكذا، فعلها هؤلاء الخونة الأصليون مرة أخرى، رفضوا العيش في سلام مع الأوروبيين الذين جلبوا الحضارة، واستمعوا إلى المحرضين الذين استولت عليهم شهوة فكرة المذبحة اليهودية.

فالفلسطينيون لا يستحقون أي تعاطف في بؤسهم وخسارتهم لوطنهم، بل ينبغي وصمهم أو السخرية منهم. ويمكن أيضًا استيعابهم بسهولة في الدول العربية الأخرى. لقد كان شغفهم بفلسطين سخيفاً وغبياً وفي غير محله. ولم يكن لديهم أي سبب يجعلهم متحمسين للعودة إلى

ديارهم، فربما كانت مخيمات اللاجئين الحالية أكثر راحة من أكواخهم في فلسطين. علاوة على ذلك، ألم يكن هؤلاء البدو دائمًا من البدو الرحل؟ لماذا يشكون؟

وبعد ذلك، يواصلون الغش في الإحصائيات التي يقدمونها للأمم المتحدة: فهم يزيفون الأرقام لزيادة أعدادهم والحصول على المزيد من حصص الإعاشة. باختصار، إنهم فريسة للديماغوجيين والمحرضين الذين يستخدمونهم كبيادق في لعبة سياسية عالمية.

وقبل كل شيء، لا ينبغي لهم أن يتظاهروا بالعودة إلى فلسطين الصهيونية! لقد أصبحت متحضرة، ولم تعد ملكا لهم. لن يشكلوا سوى طابور خامس، جيش من المخربين أو المتعاونين مع العدو. وعلى أية حال، فقد تم تعويضهم إلى حد كبير من قبل "اليهود الشرقيين" من الدول العربية.

إن هذا العرض للأشياء، القائم على مهمة حضارية وعلى تدمير شخصية الفلسطينيين، لا يزال قائما حتى اليوم: هؤلاء الثوار ليسوا سوى إرهابيين، نحن نعلم أن الفلسطينيين ليسوا قادرين على المشاعر والأفعال الشجاعة والشجاعة والوطنية: إنهم لا يجيدون إلا الازدواجية والمؤامرة.

لكن التاريخ يظهر أن الفلسطينيين لم يبيعوا وطنهم: ففي عام 1948، كان اليهود يمتلكون أقل من 6% من الأراضي، وتم شراء أقل من 1% من الفلسطينيين. لم يغادر الفلسطينيون بلادهم بأوامر من الزعماء العرب: لقد غادروا في حالة من الرعب وطاردهم الصهاينة. لذا فإن المشكلة هي كيف تم دفع اليهود إلى قبول مثل هذه النظرة المضللة للأشياء.

المفارقة اليهودية

إن حقيقة قبول الدعاية الصهيونية من قبل يهود العالم أجمع، ونجاحها في تحديد موقف اليهود تجاه الفلسطينيين، هي في الواقع أمر مدهش للغاية، فقد كان هناك دائمًا يهود استمروا في إعلان الحقيقة، **لكنهم كانوا الأقلية**. أما الآخرون فقد قدموا الرجال والمال وثقل نفوذهم لجعل

إسرائيل حقيقة واقعة، وإدامة الجرائم المرتكبة ضد الفلسطينيين، أهل الكتاب، رجال النور، ضحايا المذابح الروسية والإبادة الجماعية النازية وداتشاو ومعسكرات الاعتقال الألمانية الأخرى، يغلقون أعينهم وآذانهم، ويغيرون الأدوار، من المظلومين إلى الظالمين. **هذه هي المفارقة اليهودية في العصر الحديث.**

كتب آحاد هعام، في بداية القرن، أن سلوكهم يظهر أن اليهود لم يتعلموا شيئا من تاريخهم.

ويصرح:

"ماذا يفعل إخواننا في فلسطين؟ على العكس تماما من السابق: لقد كانوا خدما في أرض منفاهم، ووجدوا أنفسهم فجأة في صيف من الحرية غير المحدودة وغير المقيدة، والتي لا يمكن العثور عليها إلا في تركيا. هذا وقد أحدث التغيير المفاجئ ميلا نحو الاستبداد، كما هو الحال دائما عندما يصبح العبد هو السيد، ويعاملون العرب بعدوانية وقسوة، ويقيدون حقوقهم بشكل غير معقول، ويهينونهم بلا سبب، ويأخذون المجد منهم. ولا أحد يتخذ أي إجراء ضد هذا التوجه الدنيء والخطير".

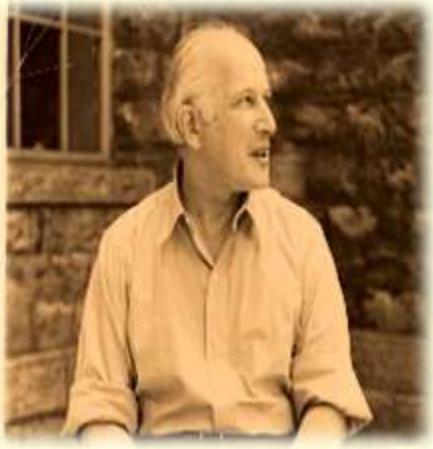

ألكسندر غولدنوايزر

وفي عام 1919، كتب يهودي آخر، وهو **دبليو برون**:

"نحن الذين نعاني من الاضطهاد في جميع أنحاء العالم، والذين يطالبون باحترام حقوق الإنسان في بلادنا، نحن ذاهبون إلى فلسطين لعكس الأدوار هناك".

في عام 1923، لاحظ عالم الأنثروبولوجيا اليهودي الأمريكي **غولدنوايزر** بقلق، أن اليهود في فلسطين متحيزون ضد الفلسطينيين، ويعتبرونهم أقل شأنا، وروى زياراته للمدارس اليهودية، حيث تحدث معه المعلمون عن غباء العرب ودونيتهم الفطرية.

عندما سأل غولدنوايزر أحد المعلمين اليهود، عما إذا كان يعلم هذا لطلابه، أجاب المعلم: "**لكنهم يعرفون ذلك بأنفسهم**".

يقول **آرثر كوستلر** أن "**كل يهودي، سواء كان ماركسيا أم لا، يعتبر نفسه عضوا في العرق المختار، ويعتبر العربي أقل منه**".

آرثر كوستلر

الفصام الأخلاقي

هذه المفارقة، المنتشرة على نطاق واسع بين اليهود في عصرنا، تسمى "**الفصام الأخلاقي**"، "**قصرا لنظر الأخلاقي**"، من قبل الصحفي اليهودي **جيإف ستون**.

هذا الشخص، الذي تم توسيمه من قبل منظمة الإرغون عام 1948، كتب مقالًا ثاقبًا للغاية في عام 1967.

إنه يجري مقارنات دقيقة للغاية بين السلوك الصهيوني وسلوك النازيين، ويستخلص منها استنتاجات نفسية، رافضًا الحجج الإسرائيلية بشأن نزوح الفلسطينيين، يقول السيد **ستون**:

"إن الرأي القائل بأن اللاجئين فروا "طوعًا"، أو لأن قادتهم ضغطوا عليهم للقيام بذلك إلى ما بعد انتهاء القتال، لا يستند إلى أسطورة فحسب، بل لا يشكل حتى تهديدًا مبررا: هل فقد اللاجئون اليهود الألمان حقهم في استعادة ممتلكاتهم، بحجة أنهم فروا "طوعا" من بلادهم في عهد هتلر؟

ويواصل السيد ستون:

"إن الإرهاب اليهودي، من خلال مذابح الإرغون الوحشية، مثل تلك التي وقعت في دير ياسين، وأيضا تحت ضغط أقل وحشية من الهاغاناه، "شجع" العرب في حد ذاته على مغادرة المناطق التي أراد اليهود الاستيلاء عليها لأسباب استراتيجية أو ديموغرافية. لقد ضمنوا أنه في أكبر جزء ممكن من إسرائيل سيكون هناك أقل عدد ممكن من العرب.

وفيما يتعلق بما يسمى "التعويض" الذي يمكن إقامته بين الفلسطينيين و"اللاجئين اليهود" من العالم العربي، يقول السيد ستون: "ينظر العرب الفلسطينيون إلى هذا "التعويض" بنفس الطريقة التي ينظر بها اليهود الألمان. عندما قام الرايخ الثالث، رفض إعادة البضائع بحجة "تعويضها" عن خسائر اللاجئين الألمان من السوديت. ويشير إلى أن ""**قصرا لنظرا لأخلاقي**" هذا، **يسمح للصهاينة بالإصرار على حقوق الشعب اليهودي في فلسطين بعد ألف وتسعمائة عام من المنفى، وحرمان اللاجئين العرب من هذه الحقوق نفسها بعد تسعة عشر عامًا فقط من الغياب**".

ويضيف ستون:

"إن انعدام الجنسية هو الموضوع الرئيسي للصهيونية، لكن حق اللاجئين العرب في هذا الوضع المثير للشفقة محروم تماما".

ومرة أخرى:

"إن أولئك الذين عانوا من آثار العنصرية والتمييز في جسدهم وفي كرامتهم، هم أقل عذرا، لكونهم عنصريين، من أولئك الذين لا يستطيعون أن يعرفوا إلا من خلال الخيال الأثر المدمر للتحيز العنصري".

يروي السيد ستون مقابلة مع موشيه ديان، على شاشة التلفزيون الأمريكي، 11 يونيو 1967، أعلن ديان أنه إذا تمكنت إسرائيل من استيعاب الفلسطينيين في "الأراضي المحتلة"، فإنها لن تفعل ذلك، لأنها ستحول إسرائيل إلى دولة عربية يهودية متعددة الجنسيات، بدلاً من ذلك دولة يهودية "نريد دولة يهودية مثلما لدى الفرنسيين دولة فرنسية".

ويخلص ستون إلى أن "إسرائيل تخلق نوعا من الفصام الأخلاقي في يهود العالم وفي الشتات، ويعتمد خلاص اليهودية على وجود مجتمعات علمانية وعنصرية و"تعددية".

وفي إسرائيل تجد اليهودية نفسها تدافع عن مجتمع، حيث لا يمكن تشريع الزواج المختلط، حيث يتمتع غير اليهود بوضع أدنى من اليهود، وحيث يكون المثل الأعلى عنصرياً وحصريا.

يجب على اليهود أن يقاتلوا في الشتات، من أجل أمنهم ووجودهم، والمبادئ والممارسات التي يجدون أنفسهم يدافعون عنها في إسرائيل. أولئك الذين يأتون من العالم الخارجي، حتى في لحظات حماسهم الأكبر لإنجازات إسرائيل، يشعرون بنوبات من رهاب الأماكن المغلقة، ليس جغرافيا فحسب، بل روحيا أيضا.

وسرعان ما بدأ أولئك الذين وقعوا في الحماسة النبوية يشعرون بأن النور الذي توقعوه من صهيون، هو في الواقع مجرد قومية جديدة وضيقة.

ومع ذلك، فإن فترات أعظم النجاحات الإبداعية لليهودية، يجب أن ترتبط بحضارات ذات طابع متنوع وبلحظات عظيمة من التوسع والتسامح: خلال الفترة الهيلينية، في ظل الحضارة العربية في شمال أفريقيا، في إسبانيا، في أوروبا الغربية وأمريكا.

إن القيم العالمية، لا يمكن أن تكون إلا ثمرة رؤية عالمية: فعظمة الأنبياء تكمن في قدرتهم على تجاوز حدود التنظيم العرقي. لا يمكن للقومية ليليبوتية (المتناهية الصغر) أن تخلق حقائق صالحة للبشرية جمعاء. هذه هي جذور الاختلاف المتزايد بين اليهود والإسرائيليين، فالأول لديهم إحساس بمهمة الشهود في الغابة البشرية، أما الأخيرين فيهتمون فقط برفاهية قبيلتهم.

هل سيغير اليهود سلوكهم؟

لقد أظهرنا من خلال هذه الاقتباسات، أنه كان هناك دائمًا يهود يعارضون الصهيونية أخلاقياً، ولم يكن هناك أبدًا رأي يهودي متجانس حقا.

إن نجاح الدعاية الصهيونية في تحفيز غالبية اليهود وجذبهم إليها، لا يمكن أن يُعزى إلى الخداع أو التلاعب الفكري وحده. اليهود أذكياء، بما يكفي لعدم الاستسلام للدعاية وحدها. إن معاداة السامية في الغرب، والنفاق السائد في المجتمعات الغربية على أسس عنصرية ودينية، هو الذي دفع اليهود أخيرا، تدريجيا، إلى هذا الفصام الأخلاقي المذكور أعلاه.

وبصراحة، يجب أن نضيف إلى هذه العوامل سلوك العرب الخاطئ في كثير من الأحيان.

قبل الثورة الفلسطينية، سادت المواقف المعادية لليهود في العالم العربي، ولا شك أن ذلك كان نتيجة للسلوك المعادي للعرب من جانب اليهود. ولم يتمكن الفلسطينيون من تقديم حل إنساني ومعقول للصهيونية الإسرائيلية. لقد وجد اليهود صعوبة في العيش في الدول العربية، وألقت مشكلة الأقليات بظلال من الشك على هذا الاحتمال، لكي يجدوا الأمن في وسط العالم العربي دون وجود إسرائيل عسكرية.

والحقيقة، أن اليهود استفادوا خلال الفترة 1948-1967 من الأمن، بينما حرم الفلسطينيون، وربما العرب الآخرون معهم، من الأمن.

لقد خلقت الثورة الفلسطينية بديلاً جديدا:

لا أمن في دولة عنصرية، بل كل الأمن في فلسطين ديمقراطية جديدة.

هناك حوار يتطور بين الثوار الفلسطينيين واليهود الليبراليين التقدميين والاشتراكيين، وحتى المحافظين المتدينين. ويفتح اليهودي أذرعه أكثر فأكثر لاحتضان الثورة الفلسطينية والترحيب بها.

إن الصهاينة قلقون حقاً من هذه الظاهرة الجديدة. وقد اتهم مقال نشر في صحيفة جيروزاليم بوست بتاريخ 2 يوليو 1969 هؤلاء اليهود بأنهم خونة جدد لشعبهم، واعتبر تحالفهم مع الثورة هو الأكثر خطورة وتهديدا، وعلى الرغم من تسليط الضوء على ظاهرة الفصام الأخلاقي اليهودي. يتلقى الضمير صدمة باكتشاف العواقب النهائية للصهيونية.

لكن، يمكننا أن نعتقد أن اليهود غير الإسرائيليين سوف يتفاهمون مع الثورة الفلسطينية قبل اليهود الإسرائيليين. ففي نهاية المطاف، تقبل الفرنسيون في باريس الثورة الجزائرية بسهولة أكبر من تقبل الفرنسيين **للأقدام السوداء**. ومع ذلك، يجب أن تستمر الجهود في فلسطين لجذب اليهود إلى الثورة. إن تقدمنا سيكون له عواقب، ومن الواضح أنها ستؤدي إلى تصلب موقف بعض الصهاينة اليهود ضد الفلسطينيين، وخاصة الأوليغارشية التي لن تخسر إلا في فلسطين المفتوحة والديمقراطية، ولكنها سوف تخلف أيضاً تأثيراً مفيداً، من خلال إظهار أن إسرائيل المكرسة للاستثناء هي موطن، وليس ملجأ، بل موطن لانعدام الأمن، ولن تكون قادرة على الاستمرار.

وتتحمل الثورة الفلسطينية مسؤولية كبيرة في اتخاذ قرار بكسب اليهود لقضيتها بالأفعال، وليس بالأقوال فقط. ولا ينبغي للثورة - بل ولن تفوتها - أن تفوت أي فرصة لتثبت ليهود العالم ويهود فلسطين، أنها ستقف معهم إذا اضطهدوا، وأنها عازمة على خلق وإحياء مجتمع معهم. فلسطين الجديدة التي لن تقوم على الغش أو العنصرية أو التمييز، بل على التعاون والتسامح.

إذا نجحت مثل هذه الحملة في الفوز على الأرض وفي القلوب، فإن فلسطين الديمقراطية ستصبح محتملة ومرغوبة وقابلة للتحقيق.

كيف سيبدو هذا البلد الجديد؟ ماذا تعني الثورة الفلسطينية حقاً بهذه الكلمات: ديمقراطية، تقدمية، وغير طائفية؟ إنها أسئلة جدية تتطلب عناية خاصة، وستكون موضوع الجزء الأخير من هذه الدراسة.

III- فلسطين الديمقراطية الجديدة

من المؤكد أن إنشاء مجتمع تقدمي منفتح على كافة الفلسطينيين هو حل أفضل من رمي "**العرب في الصحراء**" أو "**اليهود في البحر**". ولكن لكي يكون هذا الحل ممكنا، يجب أن يكون مقبولا من قبل الأطراف المعنية، وكذلك من قبل شعوب العالم، باعتبارها طرفا ثالثا معنيا، ويجب أن يثبت أن هذه الخطة يمكن أن تنجح.

وقد سبق أن تناولنا سلوك الثورة الفلسطينية في تحقيق هذا الهدف، مع التركيز على موقفها من اليهود. لقد تم إثبات حدوث تغيير ثوري: فلم يعد الفلسطينيون ينظرون إلى اليهود كأعداء بالوراثة، إنهم يحددون بوضوح العدو على أنه دولة إسرائيل العنصرية الاستعمارية وحلفائها الإمبرياليين. ومن خلال قراءة الأدب اليهودي، والتواصل مع اليهود التقدميين في جميع أنحاء العالم، واكتساب المزيد من الثقة مع تقدم الثورة، يتغير السلوك الفلسطيني.

ثم، تم تحليل سلوك اليهود. تستمر الدعاية الصهيونية في النظر إلى الفلسطينيين على أنهم بدو وإرهابيون متعطشون للدماء وخونة. لكن عدداً من اليهود - وخاصة أولئك الذين يعيشون خارج فلسطين - يغيرون رأيهم ويلتفون حول الدعوة إلى فلسطين تقدمية وغير طائفية. ويظل تغيير عقلية وسلوك اليهود الفلسطينيين مهمة لم تنجزها الثورة بعد. لكن حرب التحرير الشعبية التي تهدف إلى تدمير الدولة الإمبريالية العنصرية ستخلق ظروفا معيشية جديدة تجعل فلسطين جديدة ممكنة.

وهكذا تغير جذريا البديل المقدم ليهود فلسطين. في السابق كانت دولة إسرائيل قوية حيث خطر الإلقاء في البحر، أما اليوم، تقترح الثورة، بدلاً من انعدام الأمن في إسرائيل الحصرية والعنصرية، **"فلسطين مفتوحة وآمنة ومتسامحة لجميع سكانها."**

ومن ثمة، فإن الثورة الفلسطينية، تميل على المدى الطويل إلى تجنيد اليهود الفلسطينيين وغير اليهود في قوات التحرير، وهذا يشكل خطوة مهمة نحو تحقيق هدفها النهائي، ولكن هذا يتطلب تغييراً عميقاً في السلوك اليهودي.

ولتحقيق هذا الهدف، لا بد الآن من بلورة وتوضيح مشروع فلسطين الديمقراطية.

الصعوبات والقيود:

من الصعب ومن المجازفة، في هذه المرحلة الأولى من الثورة، أن نصدر بياناً واضحاً وقاطعاً حول ما ستكون عليه فلسطين الجديدة المحررة؟ إن الواقعية، وليس الحلم الرومانسي، هو ما يجب أن يكون عليه نهجنا الثوري الرئيسي،

ولا نعتقد أن النصر قريب. إن الثورة لا تستهين بالعدو وحلفائه الإمبرياليين. إن ما سيحدث خلال سنوات النضال الشاق من أجل التحرير لا يمكن التنبؤ به بسهولة. هل سيصبح سلوك اليهود الفلسطينيين أكثر صرامة أم مرونة؟ **اندفاعة جديدة نحو اليمين، وتزايد الإرهاب ضد العرب؟**

.....

ومن ناحية أخرى، إذا انضم اليهود إلى الثورة بأعداد كبيرة، أو تعاونوا معها، فإن ذلك من شأنه أن يوفر أساسًا أكثر صلابة لتنمية فلسطين الجديدة. والثورة تعمل بجدية لتحقيق الفرضية الثانية. إن عمليات حرب العصابات موجهة بشكل أساسي ضد الأسس العسكرية والاقتصادية للدولة الاستعمارية الصهيونية. عندما يتم اختيار هدف مدني، يتم بذل جهد لتقليل الخسائر في أرواح المدنيين، على الرغم من صعوبة التمييز بين المدنيين وغير المدنيين في هذا المجتمع **الإسبرطي** (نسبة إلى اسبارطة) الحديث، حيث تتم تعبئة كل شخص بالغ.

ومن خلال ضرب مناطق غير عسكرية على وجه التحديد، نحاول إثارة صدمة نفسية بين الإسرائيليين، من خلال جعلهم يفهمون أن الدولة العنصرية والعسكرية لا تستطيع أن توفر لهم الأمن، عندما تنظم إبادة جماعية ضد الجماهير الفلسطينية المنفية والمضطهدة. وفي حالة القنبلة التي وقعت في شارع **ديزنغوف** في تل أبيب، قام مقاتلو "**فتح**" بتأجيل العملية ثلاث مرات لاختيار موقع (أمام مبنى قيد الإنشاء) ووقت (حوالي منتصف الليل) بهدف زيادة الضوضاء وتقليلها إلى أقصى حد. وكانت النتيجة إصابة عدد قليل من الأشخاص، لكن بعض عمال المناجم اهتزوا، وأدى ذلك إلى تفكير جدي.

ومهما حدث، وعلى الرغم من كل الشكوك، فإن الثوار الفلسطينيين، مدفوعين باليقين بمستقبل أفضل لأرضهم المضطهدة، يجعلك تفكر الآن، وتجد إجابات لآلاف الأسئلة المتعلقة بهذا المستقبل. وحتى لو كانت هذه الردود عشوائية، فإنها ستفتح حوارا يمهد الطريق نحو حلول ناضجة وإنجازات مثمرة.

نبذة عن فلسطين الديمقراطية:

1. الأرض

إن فلسطين ما قبل عام 1948، كما تم تعريفها خلال الانتداب البريطاني، هي الأرض التي يجب تحريرها وإنشاء دولة ديمقراطية وتقدمية عليها. فلسطين المحررة ستكون جزءاً من الوطن العربي، ولن تكون دولة أجنبية داخل هذا الوطن.

إن الاتحاد المحتمل بين فلسطين والدول العربية الأخرى من شأنه أن يجعل مشكلة الحدود أقل أهمية، ويضع حداً للطبيعة المصطنعة للوضع الحالي لإسرائيل، وربما للأردن. ستكون الدولة الجديدة معادية للإمبريالية، وستنضم إلى صفوف الدول التقدمية والثورية. وبالتالي، سيتعين عليها أن تقطع الروابط، الحيوية اليوم بالنسبة لإسرائيل، للاعتماد الكامل على الولايات المتحدة، وسيكون اندماجها في المنطقة مطلبا أساسيا.

ويجب أن يكون واضحا تماما أن فلسطين الجديدة المذكورة هنا ليست فقط الضفة الغربية المحتلة من نهر الأردن، أو أراضي غزة، التي هي مناطق يحتلها الإسرائيليون منذ حزيران / يونيه 1967.

إن وطن الفلسطينيين الذي اغتصبوه واستعمروه عام 1948، هو لا يقل تكلفة أو أهمية عن الجزء المحتل عام 1967. ومن ناحية أخرى، فإن مجرد وجود دولة إسرائيل العنصرية والقمعية، القائم على الترحيل والنفي القسري لجزء من مواطنيها، لا يمكن أن تقبله الثورة، حتى لو كانت مجرد قرية فلسطينية صغيرة، فإن أي ترتيب لصالح الدولة الاستعمارية غير مقبول، ولا يمكن أن يستمر.

فقط، سكان فلسطين هم الدائمون: اليهود والمسيحيون والمسلمون في بلد يدمجهم جميعا.

2. المكونات

يحق لجميع اليهود والمسلمين والمسيحيين الذين يعيشون في فلسطين أو الذين تم نفيهم قسراً من هذا البلد، الحصول على الجنسية الفلسطينية. ويضمن هذا المبدأ حق جميع الفلسطينيين المنفيين في العودة إلى وطنهم، سواء ولدوا في فلسطين أو في المنفى، وبغض النظر عن جنسيتهم الحالية. وهذا يعني أيضًا أن جميع اليهود الفلسطينيين -الإسرائيليين حاليًا- يتمتعون بنفس الحقوق، بشرط رفضهم بالطبع للشوفينية الصهيونية والعنصرية، والقبول الكامل بالعيش كفلسطينيين في فلسطين الجديدة.

ولذلك ترفض الثورة بشكل صريح المبدأ الذي يقضي بقبول اليهود الذين عاشوا في فلسطين قبل عام 1948، أو قبل عام 1914، وأحفادهم فقط. ففي نهاية المطاف، ولد **ديان وألون** في فلسطين قبل عام 1948، وهما، مثل العديد من زملائهما، صهيونيان عنصريان متشددان، ومن المؤكد أنهما غير مؤهلين للحصول على مكانة فلسطينية.

وفي مقابلة شهيرة، أكد **أبو إياد**، أحد مسؤولي فتح، أنه ليس فقط اليهود التقدميين المناهضين للصهيونية، بل حتى الصهاينة الحاليين الذين يظهرون استعدادًا للتخلي عن أيديولوجيتهم العنصرية، سيتم الترحيب بهم كمواطنين فلسطينيين. وترى الثورة أن معظم اليهود الإسرائيليين الحاليين سيغيرون سلوكهم وينضمون إلى فلسطين الجديدة، خاصة بعد تدمير آلة **الدولة الأوليغارشية والاقتصاد الطبقي والمؤسسة العسكرية**.

3- الإيديولوجيا

إن الفلسطينيين، خلال نضالهم التحريري، وفي وقت تحريرهم، هم الذين سيقررون نظام الحكم والتنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي لوطنهم المحرر. (ويتكرر هنا أن مصطلح "الفلسطينيين" يشمل الفلسطينيين العرب المنفيين، والذين يعيشون في الأراضي المحتلة، وكذلك اليهود المناهضين للصهيونية).

ومع ذلك، فإن فلسطين الديمقراطية والتقدمية ترفض عن **طريق الإلغاء** أي شكل من أشكال **الحكم الثيوقراطي أو الإقطاعي أو الأرستقراطي أو الاستبدادي أو العنصري الشوفيني**. ستكون دولة لن تسمح بقمع أو استغلال جزء من السكان من قبل مجموعة أخرى، أو من قبل أفراد، دولة ستمنح فرصًا متساوية لكل مواطن في العمل، وإنجاز الواجبات الدينية، والتعليم، والحق في الحياة السياسية، والقرار والتعبير الثقافي والفني.

وهذا ليس حلما طوباويا، لأن النضال من أجل تحقيق فلسطين الجديدة في حد ذاته، يخلق المناخ اللازم لنظام الحكم المستقبلي، أي أن حرب التحرير الشعبية تولد قيما جديدة وتثير سلوكا جديدا، هو ضمانة للديمقراطية التي ستلي التحرير. والدليل على ذلك، هو التغير في السلوك تجاه العمل الجماعي الذي لوحظ في مخيمات اللاجئين والمقاتلين في الأردن ولبنان. يوافق الفلسطينيون وغيرهم من الإخوة الذين ينضمون إليهم طوعا على العمل وتوفير سبل عيشهم، لا يوجد استغلال ولا استعباد. إن قيم الحياة البشرية تتغير.

وخلافاً للغارات الإسرائيلية **بالنابالم** وعمليات القتل العشوائية التي تقوم بها، فإن المقاتلين الفلسطينيين يختارون أهدافهم، مما يظهر أشكالا جديدة من العلاقات الإنسانية. **لا يمكن إقامة علاقة السيد والعبد بين المقاتلين الذين يقاتلون من أجل الحرية**. إن زيادة الوعي بالأبعاد الدولية لمشكلتهم، ومراعاة من يدعم الظالم ومن يساعد المظلوم، يخلق مسؤوليات جديدة تجاه المجتمع الدولي، وخاصة تجاه أنصار التحرر والديمقراطية.

ولذلك فإن الفلسطينيين لن يقبلوا بعد تحريرهم أن يخضعوا لأحد، ولن يقيموا نظام قمع ضد أي فئة، لأن ذلك سيكون نفياً لسبب وجودهم وتنازلاً عن مثلهم الثوري. وهذا واضح في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان والأردن. وبعد اثنين وعشرين عامًا من القمع والإذلال على يد الشرطة السرية والمستغلين المحليين، استيقظت المعسكرات على الثورة.

في النضال، كسر المنفيون أغلالهم، وطردوا الشرطة السرية وجواسيسهم والمستغلين الذين كانوا حلفاءهم، وأنشأوا إدارة ديمقراطية مستقلة. تم إنشاء الخدمات الطبية والتعليمية والاجتماعية محليًا من قبل المنظمات الثورية على أساس المبادرة الشخصية التي أعادت الكرامة واحترام الذات، وانخفضت معدلات الجريمة في هذه المعسكرات بشكل كبير إلى 10% مما كانت عليه قبل الثورة. لقد حل الانضباط الشخصي محل الشرطة.

وأقامت الميليشيا الجديدة حلقة وصل بين الطليعة الثورية وقواعد الجماهير الشعبية، ويتم وضع الضوابط الديمقراطية. إن هؤلاء الفلسطينيون لن يقبلوا القمع أو الخضوع، ولن يفرضوا مثل هذا النظام على أحد. لقد اكتشف الصحفيون وغيرهم من الزوار الأجانب أنه لا يوجد في أي مكان في العالم العربي أشخاص ناضجون ومتسامحون مع اليهود كما هو الحال في مخيمات الأردن ولبنان، وخاصة بين "الأشبال". هؤلاء الشباب الفلسطيني (الذين تتراوح أعمارهم بين 8 و16 عامًا) متحررون تمامًا من أي عقدة معادية لليهود. لديهم رؤية أوضح لفلسطين الديمقراطية الجديدة من البورجوازيين الذين يعيشون في المدن. هؤلاء المراهقون هم محررو الغد، وسوف يكملون تدمير القمع الإسرائيلي ويعيدون بناء فلسطين الجديدة.

وفي نهاية المطاف، إذا كانت فلسطين الديمقراطية والتقدمية هذه لا تزال مجرد مدينة فاضلة، فإن المقاتلين الفلسطينيين وسكان المخيمات بصدد تحقيقها.

مفهومان خاطئان:

لقد ظهرت في بعض الأوساط تفسيرات مختلفة لفلسطين الديمقراطية، الأمر الذي يتطلب التوضيح، والتصحيح أحياناً. وسنحاول هنا مناقشة اثنين من هذه التفسيرات التي تبدو ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا:

1) لا ينبغي الخلط بين **مفهوم فلسطين غير الطائفية ومفهوم الدولة المتعددة الأديان أو ثنائية القومية. ولا ينبغي لفلسطين الجديدة أن تُبنى حول ثلاث ديانات للدولة أو جنسيتين**، فهو يعني ضمنا، بشكل أكثر بساطة، غياب الاضطهاد الديني الذي تتعرض له مجموعة من قبل مجموعة أخرى، وحرية الفرد في ممارسة شعائره الدينية دون تمييز. لا ترغب الثورة في أي تصلب في القواعد الدينية. ولا يتصور أي توزيع صارم محدد مسبقًا، على أسس دينية للوظائف السياسية والمناصب المهمة الأخرى. **النموذج اللبناني** (حيث تقوم هرمية رجعية أو شبه إقطاعية أو رأسمالية تجارية بتقسيم المناصب والوظائف على أساس الانتماء الطائفي، لإدامة الهيمنة على الجماهير) **غريب تماماً عن روح الثورة**. وقد كرر ياسر عرفات عدة مرات أن رئيس فلسطين المحررة يمكن أن يكون يهودياً أو مسلماً أو مسيحياً، ليس بسبب دينه أو الطائفة التي ينتمي إليها، **بل بحكم جدارته كفلسطيني**. علاوة على ذلك، **تتشابكا لحدود الدينية والعرقية بشكل وثيق في فلسطين**، بحيث أصبح **مصطلح ثنائية القومية والثنائية العربية** اليهودية **لا معنى له**، أو الأفضل من ذلك، مفتوح تمامًا للطعن.

إن غالبية اليهود الموجودين حاليا في فلسطين هم من اليهود العرب، ولذلك فإن فلسطين تجمع العرب اليهود والمسيحيين والمسلمين، وكذلك اليهود غير العرب، واليهود الغربيين.

2) لا يمكن لفلسطين الديمقراطية الجديدة أن تشكل بديلاً عن التحرير، بل على العكس من ذلك، فهو هدفها الأسمى. دولة دمية في الضفة الغربية وفي منطقة غزة، إسرائيل منزوعة الأيونات على طراز أفنيري، أو "مبسترة". أو كونفدرالية سامية، ترفضها الثورة بشكل قاطع.

إنها مخططات عنصرية تهدف إلى خداع الفلسطينيين وغيرهم من العرب، من أجل الحفاظ على الهيمنة الإسرائيلية والخضوع الفلسطيني. كل هذه الخطط تنص على استمرار العدوان الأساسي الذي أدى إلى التهجير القسري للفلسطينيين وقمع الجماهير. إن الشرط الذي لا غنى عنه لفلسطين الجديدة يتطلب تدمير الأسس السياسية والاقتصادية والعسكرية للدولة الاستعمارية الشوفينية

والعنصرية. إن الحفاظ على آلة عسكرية متقدمة تكنولوجياً، بفضل التدفق المستمر لرأس المال الغربي، وتبادل السكان، سمح للمنظمة الصهيونية التوسعية بمواصلة عدوانها وتكراره، وتصفية هذه المنظمة ضرورية لميلاد فلسطين الجديدة.

الفترة الانتقالية:

من المنطقي تمامًا أن يتم اتخاذ التدابير الجماعية الانتقالية مباشرة بعد التحرير، بل وحتى أن يستمر بعضها في الدولة، أي أن امتيازات جماعية أو جماعية معينة تُمنح إلى جانب الامتيازات الفردية البحتة. وسيكون لليهود وغير اليهود الحق في ممارسة شعائرهم الدينية وتطوير ثقافتهم ولغتهم. ومن الطبيعي، على سبيل المثال، أن يتم تدريس اللغتين العربية والعبرية كلغتين رسميتين في المدارس الحكومية لجميع الفلسطينيين، اليهود وغير اليهود.

سيتم ضمان الحق في حرية التنقل داخل وخارج البلاد. وسيسمح للفلسطينيين الراغبين في مغادرة البلاد طوعا بالقيام بذلك. وستكون الهجرة محدودة خلال فترة انتقالية عند عودة جميع الفلسطينيين المنفيين الراغبين في العودة إلى وطنهم. وفي الدولة الدائمة الطبيعية، ستخضع الهجرة لأنظمة متفق عليها، ومع الأخذ بعين الاعتبار القدرة الاستيعابية للبلاد، ستكون الهجرة مفتوحة دون تمييز. سيتم ضمان حرية الوصول والزيارة والحج وكذلك السياحة - مع مراعاة الأنظمة العادية - لجميع اليهود والمسلمين والمسيحيين في العالم، الذين يعتبرون فلسطين مكانًا مقدسًا للحج والتأمل.

هل فلسطين الجديدة قابلة للحياة؟

يصرح العديد من النقاد ذوي النوايا الحسنة، أنه على الرغم من أن إنشاء فلسطين ديمقراطية أمر ممكن، إلا أنه لن يستمر لفترة طويلة، حجتهم الرئيسية هي أن التوازن الديموغرافي والثقافي سوف يكون لصالح اليهود. وهذا العامل، برأيهم، سيؤدي إما إلى وضع متفجر أو إلى

سيطرة الدولة، فلسطين الجديدة على يد اليهود والعودة إلى الدولة الصهيونية الجديدة المقنعة. هذه الحجة جادة وتبدو معقولة تمامًا في السياق الحالي للانقسام الأوروبي، الذي يقدم العرب كمجموعة عرقية متخلفة...

أما بالنسبة للسكان، فيوجد حاليا 2.5 مليون يهودي في فلسطين، مقارنة بـ 2.6 مليون عربي فلسطيني (مسيحيين ومسلمين) في الأراضي المحتلة قبل عام 1967 وبعدها، وفي المنفى، لكن معدل المواليد ومعدل النمو الطبيعي الصافي أعلى بين العرب الفلسطينيين منه بين اليهود في فلسطين.

كانت الهجرة السبب الرئيسي لزيادة عدد اليهود، ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار حقيقة أن 250 ألف يهودي غادروا فلسطين بشكل دائم منذ عام 1949، خلال فترة ساد فيها الأمن النسبي، وكان معظم هؤلاء المهاجرين من اليهود الأوروبيين. علاوة على ذلك، فإن غالبية المهاجرين الجدد هم من اليهود العرب الذين وجدوا صعوبة بالغة في البقاء في بلادهم، بعد إنشاء ووجود دولة إسرائيل الاستعمارية المعتدية.

سيؤدي النضال الثوري، حتما، إلى زيادة معدل الهجرة، وخاصة أولئك الذين يتمتعون بوضع متميز في الدولة العنصرية والذين سيكونون مترددين في التكيف مع مجتمع مفتوح ومتنوع. وبالتوازي مع هذا التطور، سيكون التحديث المتزايد في الدول العربية وموقفها المتسامح تجاه جميع الأقليات، بما في ذلك المواطنين اليهود. وقد بدأت فتح بالفعل مفاوضات مع العديد من الدول العربية من أجل السماح للمهاجرين اليهود باستئجار ممتلكاتهم وإعادتها إليهم، مما يضمن لهم المساواة الكاملة في الحقوق.

ومن المتوقع أن تؤدي كل هذه العوامل إلى الحفاظ على التوازن الديموغرافي النسبي في فلسطين.

أما مستوى التنمية الاجتماعية والتعليمية، فهو يتزايد بسرعة بين الفلسطينيين العرب. وتشير التقديرات إلى أن عدد الفلسطينيين في المنفى من حاملي الشهادات الجامعية يتجاوز 50 ألفاً، وقد أدوا ببراعة أدوارا كمعلمين وفنيين، ومارسوا المهن الحرة في العديد من الدول العربية، خاصة في شبه الجزيرة العربية.

لقد واجه الفلسطينيون العرب هذا التحدي الثقافي قبل عام 1948، ونجحوا في فترة قصيرة نسبياً لم تتجاوز الثلاثين عاماً لدعم المنافسة مع اليهود في الزراعة والصناعة والتعليم وحتى في مجال التمويل والمصارف. إن عرب فلسطين، متسلحين بروح الثورة المنتصرة، ومفعمين بالأمل بفضل الصداقة الحميمة التي أظهرها لهم العديد من اليهود، سيكونون شركاء فعالين ومتساوين في بناء الوطن الجديد.

إن اندماج فلسطين في المنطقة العربية سيزيد من حيويتها الاقتصادية والسياسية. سيتم استبدال المقاطعة العربية الحالية بالمساعدات الاقتصادية والعلاقات التجارية، وهو الهدف الذي فشلت دولة إسرائيل الاستعمارية فشلاً ذريعاً في تحقيقه، وظلت تابعة لأميركا منذ ولادتها.

خاتمة:

إن مفهوم فلسطين الديمقراطية غير الطائفية، ليس واضحًا تماما بعد، ويحتاج إلى مزيد من الدراسة، ولكننا لا نستطيع أن نفعل ما هو أفضل في هذه المرحلة من النضال الصعب من أجل التحرير. لقد تغلب الفلسطينيون على مرارتهم وإحباطهم في وقت قصير نسبيا من خلال الكفاح المسلح.

قبل سنوات قليلة، كان مجرد مناقشة هذا المشروع، يعتبر تصفية للمشكلة، أو خيانة عظمى. وحتى اليوم، يجد بعض العرب صعوبة في قبول الهدف الذي اقترحناه، ويأملون سراً أو علنا ألا يشكل هذا الهدف أكثر من مجرد عمل دعائي تكتيكي.

حسنًا، دعنا نقول ذلك بشكل قاطع ونهائي، هذا ليس كل شيء. تهدف الثورة الفلسطينية إلى النضال من أجل إنشاء فلسطين ديمقراطية وغير طائفية جديدة، كهدف طويل المدى لحركة التحرير. إن إبادة اليهود أو الفلسطينيين المنفيين وإقامة دولة عنصرية أو ثيوقراطية في فلسطين، سواء كانت يهودية أو مسيحية أو مسلمة، أمر غير مقبول على الإطلاق، ولا يمكن أن ينجح أو يدوم. إن الجماهير الفلسطينية المضطهدة ستقاتل وستقدم كل التضحيات من أجل إسقاط الدولة القمعية والحصرية.

إن العنصريين الإسرائيليين منزعجين بشدة من فكرة فلسطين ديمقراطية، ويكشف هذا السخط تناقضات الصهيونية، كما يكشف الفصام الأخلاقي الذي أصاب يهود العالم منذ إنشاء إسرائيل.

إن تبني هذا الهدف الجديد من قبل العديد من اليهود التقدميين، الذين لآرائهم أهمية، يخيف الصهيونية العالمية، وقد تعرض العديد من هؤلاء اليهود للتهديد والتحرش من قبل الصهاينة بسبب تمسكهم بمبادئ فلسطين الديمقراطية كهدف نهائي للانفراج.

وشن الصهاينة حملة لتشويه سمعة هذه الفكرة، خاصة بين اليهود، وكان جهدهم عبثا.

إن قوة المنطق وذكرى سنوات من الاضطهاد الذي عانت منه المجتمعات الحصرية على يد العنصريين تفتح أعين اليهود وغيرهم، وتجعلهم يفهمون أن الحل الدائم الوحيد الذي سيحقق السلام الدائم والعدالة لفلسطيننا، هو بناء دولة تقدمية وديمقراطية، بلد منفتح ومتسامح لنا جميعاً.

V- ملحق

نظرا لشح المراجع والمصادر فيما يخص وثائق ومصادر تتعلق بتجربة الحزب الشيوعي الفلسطيني، ومن ثمة إمكانية تقديم تقييم نقدي لتلك التجربة مع تسليط الضوء على معطياتها ومراحلها، فقد اخترنا مقالا نقديا من توقيع ماهر الشريف تحت عنوان **"الماركسية الفلسطينية، من أين أتت، وإلى أين تسير".**

وجدير بالذكر، أننا لا نتفق مع جوانب مختلفة من المقال، خاصة من جهة المرجعية الإيديولوجية التي يقوم عليها النص النقدي، وكذلك المعالجة التاريخية لتجربة الحركة الشيوعية العالمية ودروسها خاصة نصوص و وثائق الأممية الشيوعية الثالثة الخاصة بحركات التحرر

الوطني ... و نأمل في العودة إلى هذا الموضوع مستقبلا إذا توفرت الشروط، و هو ما ننتظره من اليسار الفلسطيني عموما، فيما يخص تجاربه النضالية.

الماركسية الفلسطينية، من أين أتت وإلى أين تسير

ماهر الشريف

تشكل الحزب الشيوعي الفلسطيني في سنوات العشرينات (القرن20) بمساهمة من المهاجرين من أصول أوروبية، وعرف في تاريخه تقلبات عديدة أثرت على معالجته للمسألة الوطنية والديموقراطية، وقد لعبت علاقته بالاتحاد السوفياتي دورا سلبيا في تطوره. ومع انطلاق الانتفاضة الأولى ونهاية الروابط بالاتحاد السوفياتي بعد سقوطه، راجع الحزب مبادئه التنظيمية ودوره في المجتمع، وانطلق في بناء ما أسماه حزب الشعب الفلسطيني. وفي الحقيقة، منذ مؤتمره الثاني الذي انعقد في نهاية أكتوبر 1991 قرر الحزب تبني برنامج جديد وتغيير اسمه، فأصبح يسمى "حزب الشعب الفلسطيني"، فماذا تعني هذه التغييرات؟ هل تخلى الحزب عن الماركسية؟ أو هي محاولة لتجذيرها وتطويرها بطريقة مستقلة في فلسطين؟ فالحزب يعلن أنه "**استمرار للتقليد الثوري للشيوعيين الفلسطينيين خلال العشرينات السابقة**" ومع ذلك، فهناك اختلاف مع مؤتمره الأول سنة 1983.

سيحاول الكاتب ماهر الشريف أحد القادة السابقين "للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" جوابا على هذه الأسئلة، وذلك من خلال التطرق للفترات الرئيسية في تاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين، و سيظهر كيف أن استعمال الماركسية تطور في سياق ميزته الأساسية و هي التبعية

للمركز الشيوعي العالمي، و ينطلق الكاتب من فرضية مفادها أن هذه التبعية لمركز ما، يعتقد أنه يمثل الماركسية الصحيحة، يعني الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، ساهم في منع الشيوعيين الفلسطينيين من تطوير فكر ماركسي مستقل و مواقف لواقع بلادهم، و رغم ذلك، فقد كانت هناك جوانب إيجابية لهذا المركز، عندما دعمت اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية تعريب الحزب الشيوعي في فلسطين في سنوات العشرينات.

راشد البراوي

خالد بكداش

يوسف إبراهيم يزبك

تظهر الحالات المختلفة من قبل شبلي جميل و سلامة موسى تأخر المثقفين العرب حتى بعد اندلاع ثورة أكتوبر، عن فهم و استيعاب الفكر الماركسي و الاشتراكي بشكل عام، و لم تبدأ ترجمة النصوص إلى العربية إلا في الثلاثينات (القرن 20). وتعرف الماركسيون الأوائل على الماركسية عن طريق لينين، وليس عن طريق ماركس مباشرة، ثم إن الأمر ظل يتعلق، في المشرق عموما بمجموعة صغيرة من المثقفين، اللذين تعرفوا على أفكار ماركس عن طريق اتصالهم بالغرب، وتعرفهم على ثقافات ولغات غربية، ولم يقدم أي عرض لأفكار ماركس إلا سنة 1915، عن طريق الكاتب المصري مصطفى حسنين المنصوري "**تاريخ المذاهب**

مصطفى حسنين المنصوري

الاشتراكية". هكذا، لم يترجم كتاب "**البيان الشيوعي**" عن طريق خالد بكداش إلا سنة **1933**، بينما لم يترجم كتاب "**الرأسمال**" إلا سنة **1947** عن طريق المترجم راشد البراوي (هناك رأي أخر يرى أن أول ترجمة للكتاب تمت سنة1931 عن دار الانجلو مصرية). وقد صرح يوسف إبراهيم يزبك أحد مؤسسي الحزب الشيوعي السوري اللبناني في استجواب مع مجلة "**دراسات عربية**" في غشت 1971، صرح أنه لم يقرأ أي عمل لماركس و انجلز إلا منذ مدة قصيرة، وكتابه الأول الذي قرأه هو "**ما العمل**" سنة **1926**، ويظهر أن ترجمة مؤلفات لينين قد بدأت في **العشرينات**، مثل "**الدولة والثورة**" الذي ترجم من طرف أحمد رفعت، ونشر في القاهرة سنة **1922**.

وقد كان هذا طبيعيا بشكل عام، فشخص لينين ونشاطه وتفكيره قد أغرى كل من كان يطمح إلى تغيير ثوري في بلدان مستعمرة وشبه مستعمرة، وكانت أفكار لينين حول الامبريالية والاضطهاد القومي والاستعماري والتحرر الوطني، كلها أفكار تغري الشباب الثوري.

بدايات الشيوعية الفلسطينية

ككل حزب شيوعي عربي، كان الحزب الشيوعي الفلسطيني خاضع لقرارات وقوانين الأممية الثالثة (انظر شروط الانتساب للأممية الثالثة: 21 شرطا). لقد ولد الحزب الشيوعي الفلسطيني في بداية العشرينات تحت الانتداب البريطاني، وبمبادرة من ثوريين يهود غرباء عن الواقع الفلسطيني، كانوا متأثرين بتجربة الصراع الطبقي التي عاشوها في أوروبا قبل الهجرة إلى فلسطين، مما جعلهم يفضلون المسألة الاجتماعية على مسألة التحرر الوطني.

إن هذه الرؤية الضيقة ساهم في تدعيمها المؤتمر السادس للأممية الشيوعية صيف 1928 عندما تبنى سياسة "**طبقة ضد طبقة**"، مما جعل الحزب الشيوعي الفلسطيني ينظر إلى الحركة الوطنية العربية، ليس ردا من طرف الشعب الفلسطيني الخاضع لاضطهاد و استغلال

الاستعمار الانجليزي المتحالف مع الصهيونية، **بل تعبيرا عن البورجوازية العربية و الملاكين العقاريين**، اللذين في نظره لا يختلفون عن الحركة الصهيونية، التي تمثل مصالح البورجوازية اليهودية، لكن في بداية سنوات الثلاثينات، و بتوجيه من الأممية الشيوعية، سيحاول الحزب أن يتعرب، و دعا العمال إلى الانتساب إلى الحركة العمالية العربية، و لكن دائما في إطار الصراع الطبقي، و مما جاء في المؤتمر السابع للحزب في دجنبر 1930 في برنامجه:

"تعبئة العمال والفلاحين في النضال ضد الامبريالية البريطانية وأداتها الصهيونية، النضال ضد البورجوازية العربية ومواقفها، التي تخون حركة التحرر الوطني، التشجيع بكل الوسائل على إطلاق الثورة الزراعية في فلسطين".

وفي وثيقة أخرى، جاءت بعد ذلك، ورد فيها ما يلي:

"أن البروليتاريا العربية، وهي تتابع نضالها من أجل الاستقلال الوطني، يجب أن تعي أنه لا يمكنها الوصول إلى تحقيق ذلك بدون ثورة زراعية وبدون تشكيل حكومة عمالية وفلاحية".

لم يتجاوز الحزب الشيوعي الفلسطيني هذه المواقف قبل انتفاضة 1936- 1939، حيث بدأ يظهر توجه جديد للحزب، شجع على ذلك قرارات صادرة عن المؤتمر السابع للأممية الشيوعية صيف 1935، حيث تبنت هذه لأخيرة سياسة الجبهة الشعبية، مع إعطاء استقلال نسبي للأحزاب الوطنية، بإعادة النظر في العلاقة بين اللجنة التنفيذية للأممية ومختلف الفروع. وإذا كانت نهاية سنوات الثلاثينات قد عرفت بداية وعي الشيوعيين الفلسطينيين بأن الحركة الوطنية العربية هي حركة كل الشعب، و بأن جميع الطبقات الاجتماعية تساهم في النضال ضد الامبريالية و الصهيونية، فالسيرورة لم تكتمل حقيقة إلا في خريف 1943 بتشكيل **"عصبة التحرر الوطني"، هذه الأخيرة لم تعلن**

نفسها كماركسية – لينينية، و رفضت تبني تسمية و أشكال التنظيم التقليدي للأحزاب الشيوعية، و أرادت أن تكون الجناح اليساري للحركة الوطنية العربية، و من مؤسسيها هناك مناضلون عرب غادروا الحزب الشيوعي الفلسطيني نتيجة الانشقاق بين اليهود و العرب عشية الحرب العالمية الثانية، و قد جاء هذا نتيجة تطورات متقاطعة على المستوى الفلسطيني، حيث **ظهر تيار واسع ديموقراطي يساري بين العمال و المثقفين العرب**، و على المستوى الدولي، تراجع التناقضات بين الاتحاد السوفياتي و الدول الرأسمالية، و صعود الديموقراطية في النضال ضد الفاشية و النازية، إضافة، إلى أنه **في ماي 1943 تم حل الأممية الثالثة**، فلم يعد أي مركز للحركة الشيوعية العالمية ،مما ساعد على اتساع هامش الحرية بالنسبة للأحزاب، و ذلك في إبراز خصوصياتها الوطنية من أجل تحديد استراتيجيات و تكتيكات موافقة للواقع المحلي، هكذا أصبحت "**عصبة التحرير الوطني" ترى في الحركة الوطنية العربية، حركة لكل الشعب الفلسطيني بكل مكوناته الاجتماعية.** لقد كانت قاعدة العصبة الاجتماعية تتكون من العمال والمثقفين، وكانت تؤكد أنه فيما يخص العلاقات بين العمال و الباطرونا، أن كل عربي "**كان مالكا لمعمل أو عاملا له مسؤولية متساوية نحو الوطن**"، و بالتالي، فإن تلبية المطالب العمالية هي واجب وطني، يستفيد منه الباطرون و العامل و البلد، و من واجب العامل العربي أن يساهم في تطور الاقتصاد الوطني، و عليه إقامة علاقة مع الباطرون العربي مختلفة عن العلاقة بالباطرون الأجنبي.

أما فيما يخص أهداف العصبة، فهي حسب ميثاق العصبة:

انسحاب القوات الإنجليزية، إنهاء الانتداب، تكوين حكومة ديموقراطية تضمن حقوق السكان الفلسطينيين بدون استثناء العرق أو الدين.

ويميز الميثاق بين السكان اليهود في فلسطين وبين الصهيونية، فهذه الأخيرة هي حركة في خدمة الامبريالية وضد مصالح الأمة العربية ويهود فلسطين أنفسهم، و**تلافى الميثاق مسألة النظام السياسي**، واكتفى بالإعلان أنه من الأساسي تطوير الديموقراطية في المجتمع، و وسط الحركة الوطنية، كشرط أولي لضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

إن هذه التجربة التي شكلت محاولة أصيلة لتطبيع الماركسية مع الأرض الفلسطينية عبر رفض النقل الميكانيكي في المجال السياسي والتنظيمي، مما ساعد على تفتح غير مسبوق، ومع الأسف لم تستمر هذه المحاولة. وابتداء من 1947 – 1948 ظهرت لدى الشيوعيين الفلسطينيين العلامات الأولى للعودة إلى الماضي، واعتماد طرق التفكير والأنماط التقليدية، وتعود الأسباب إلى عودة الحزب الشيوعي السوفياتي إلى الساحة الدولية وتطور الأوضاع في فلسطين، ومع هزيمة 1948 وكل نتائجها قامت اللجنة المركزية لعصبة التحرير الوطني بتقديم نقد ذاتي. ففي ماي 1951 اجتمعت وقررت حل العصبة، وخلق الحزب الشيوعي الأردني، ومما جاء في النقد الذاتي، أن خلق العصبة، كان نتيجة انحراف وطني، ويسجل التخلي عن الأممية البروليتارية، فبرنامج العصبة بندائه إلى "الوحدة الوطنية العربية بدون استثناء"، ينكر الدور القيادي للطبقة العاملة في النضال الوطني.

وتمت الدعوة إلى التشكل ضمن روح الأممية، والإخلاص والحب للاتحاد السوفياتي، قلعة السلام العالمي، والدفاع عن حريات كل الشعوب، وكذلك لقائده الكبير ستالين مرشد كل الشيوعيين في العالم، وقد حصل هذا التطور نتيجة للإشعاع الذي عرفه الحزب الشيوعي السوفياتي بعد مشاركته في الحرب الوطنية ضد النازية في الحرب العالمية الثانية. هكذا، و في شتنبر 1947، و كرد على نظرية ترومان و مخطط مارشال تم خلق الكومنفورم "مكتب المعلومات للأحزاب الشيوعية"، و الذي سيتحول خلال الحرب الباردة إلى مركز جديد، وتم حل هذا المركز الجديد (الكومنفورم) بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي مع تغيير الأطروحات، و تم تشكيل

الندوات الدولية للحركة الشيوعية منذ فبراير 1957، و ذلك من أجل تنظيم العلاقة بين مختلف الأحزاب الشيوعية، وتحديد التوجهات السياسية العامة.

بعد الاعتراف بمنظمة التحرير سنة 1974، كممثل رسمي للشعب الفلسطيني، اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني، وأغلبيتها من الفلسطينيين قرار خلق حزب شيوعي فلسطيني مستقل، الشيء الذي ولد اعتراض القادة السوفياتيين، اللذين رأوا أنه لا يمكن أن يولد حزب شيوعي فلسطيني بدون دولة فلسطينية مستقلة. وأخيرا، في سنة 1982، تأسس هذا الحزب على النمط القديم، **باعتباره الطليعة السياسية، ويتبنى الماركسية – اللينينية ومبادئ المركزية الديموقراطية، ويحدد البرنامج أهداف ومهام النضال الفلسطيني، وقد أعطى أهمية للنضال الوطني، ويعلن أنه في فترة التحرر الوطني، فالحزب الشيوعي هو حزب العمال والفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين.** ويشير إلى وجود فئة من الفلاحين الفلسطينيين الفقراء، وبطبيعة الحال، فهذه الأخيرة لا وجود لها في أرض المنفى. وفي الأراضي المحتلة ليس لها وجود مستقل لأن كل الفلاحين يعانون من الاجتثاث بسبب الاستيطان الصهيوني وانتزاع الأراضي الفلسطينية.

ومرة أخرى، وفي ربيع **1985** تعلن **البريسترويكا** السوفياتية ضرورة القضاء على تقسيم العالم إلى معسكرين، فحصلت زعزعة في النمط السائد في التفكير داخل الحركة الشيوعية العالمية. **هكذا استقال الحزب الشيوعي السوفياتي القائد سواء على المستوى السياسي أو الإيديولوجي، تاركا الساحة فارغة بالنسبة للأحزاب الشيوعية في مختلف البلدان**، ومع سقوط المنظومة الشرقية، ومعها الأسس الإيديولوجية ونموذج الحزب، حصلت **مراجعات** على المستوى السياسي والإيديولوجي والتنظيمي.

وقد أدرك الشيوعيون الفلسطينيون ضرورة هذه المراجعة خاصة بعد انطلاق الانتفاضة في دجنبر 1987، فأدركوا أنه من الضروري الخروج من الإطار الضيق الذي كانوا يعيشون فيه، **فتم التخلي عن كل المفاهيم الأساسية السابقة**، كمفهوم حزب الطليعة، ونفس الشيء بالنسبة

للتنظيم. وفي يناير 1990 طرحت اللجنة المركزية للنقاش مجموعة من القرارات الداخلية والخارجية للحزب، وبرنامج سياسي جديد وقوانين جديدة،

وبعد سنتين من النقاش انعقد المؤتمر في أكتوبر 1991، وتبنى الاسم الجديد ومضمون البرنامج الجديد، وأصبح الحزب "حزب الشعب الفلسطيني". وتتلخص المهمتان الأساسيتان في: التحرر والاستقلال، شعاران يخدمان المصلحة الوطنية، وتحقيقهما والشرط الأول لتحقيق مصالح الطبقات الاجتماعية، الشيء الذي يفرض على الجميع الوحدة التضامنية حتى لا تتحول التعارضات الطبقية إلى نزاعات، ولم يعد الحزب ممثلا لطبقة اجتماعية محددة، بل حزب مفتوح لكل الطبقات الوطنية للشعب، وتتلخص الأهداف في التحرير والاستقلال الوطني والديموقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والاشتراكية بألوان فلسطينية. وعلى المستوى النظري اختفى مرجع الماركسية – اللينينية، وبالمقابل يتكلم الحزب عن استعمال المنهج العلمي و الديالكتيكي، الذي ينهل من قيم الحرية و المساواة و العدالة الاجتماعية.

IV - وثائق التآمر والخيانة ضد الثورة الفلسطينية

قرار تقسيم فلسطين

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29 نوبر 1947 **القرار 181** القاضي **بتقسيم فلسطين إلى دولتين، يهودية وعربية (مع وجود منطقة دولية تشمل القدس وبيت لحم)، واقترحت الخطة بصورة خاصة دولة يهودية على أكثر من نصف فلسطين الانتدابية، في وقت كان اليهود يشكلون أقل من ثلث عدد السكان، ويمتلكون أقل من7% من مساحة الأرض.**

إن اعتماد خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين على الرغم من المعارضة العربية الشديدة، من أكثر الأحداث دلالة في تاريخ فلسطين الحديث، إذ أعطى في جوهره الشرعية الدولية للاحتلال الصهيوني لفلسطين، بقوة السلاح.

لجنة بيل

لم تذكر فكرة تقسيم فلسطين إلى دولتين، يهودية وفلسطينية في الخطاب الرسمي البريطاني خلال الانتداب على فلسطين، وكانت المرة الأولى في توصية **لجنة بيل سنة 1937**، التي

كانت الدولة اليهودية فيها، مقارنة بمثيلتها في قرار تقسيم فلسطين، أصغر حجما بكثير. وعلى رغم موافقة الوكالة اليهودية على خطة بيل، وقتذاك، وهي الهيئة التي تمثل المنظمة الصهيونية العالمية، وكذلك موافقة قيادة حزب ماباي (حزب العمل) وهو القوة اليهودية المسيطرة على الأرض، إلا أن الكثير من الصهاينة، بمن فيهم **التصحيحيون** و **بوعاليتسيون**، اعترضوا على خطة تحد إلى هذه الدرجة **من أهدافهم، و لم يلطف من اعتراضهم سوى اقتراح تقرير بيل بتقسيم ينقل الفلسطينيين العرب إلى خارج الدولة اليهودية.**

وبعد نقاش حاد، قبل المؤتمر الصهيوني الخطة في المرحلة الأولى، معتبرا أنها تؤمن قاعدة آمنة تسمح باستمرار الهجرة اليهودية من دون رادع، وقد تتوسع في وقت لاحق.

أما الفلسطينيون العرب اللذين شكلوا أكثر من 70% من عدد السكان، فنزل قرار التقسيم عليهم كالصاعقة، وأظهر تصعيدهم الفوري والعنيف للثورة الفلسطينية الكبرى، (كانت قد بدأت منذ 1936) عمق معارضتهم الشعبية للقرار، التي دفعت لجنة بريطانية، شكلت في نونبر 1938 بغية دراسة قابلية خطة بيل، تسمى "لجنة وود هيد"، إلى استنتاج أن التقسيم متعذر التنفيذ.

خريطة لجنة بيل لتقسيم فلسطين سنة 1937

في أعقاب الحرب العالمية الثانية، أصبح الوضع في فلسطين خارج عن السيطرة بشكل متزايد، فأعلنت بريطانيا في فبراير 1947 نيتها إنهاء الانتداب، و في ماي 1947، و بعد شهر من تسليم بريطانيا القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة بشكل رسمي، أنشأت هذه الأخيرة "**لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين: اليونسكوب، التي تضم ممثلين**

من أستراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا والهند وإيران وهولندا والبيرو والسويد والأوروغواي ويوغوسلافيا، وأصدرت في شتنبر1947 تقريرا أدرجت فيه 11 توصية، بشأن مبادئ عامة اتفق عليها بالإجماع، بما فيها انتقال فلسطين من إقليم منتدب إلى الاستقلال والمحافظة على "الوضع القائم" الموجود سابقا للأماكن المقدسة، وعلى حقوق الجماعات الدينية، وعلى الامتيازات الخارجية التي منحها العثمانيون لها.

وفي توصية لافتة جدا، ربط التقرير المسألة الفلسطينية بحل مشكلة اللاجئين اليهود الناتجة عن الحرب العالمية الثانية، وإلى جانب التوصيات المجمع عليها، قدمت اليونسكوب **خطتين** من إعداد **مجموعتي عمل** مختلفتين:

خطة التقسيم مع وحدة اقتصادية (بتأييد من كندا وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا وهولندا والبيرو والسويد والأوروغواي) **وحل لدولة فدرالية** (بتأييد من الهند وإيران ويوغوسلافيا)، **وفي 23 شتنبر1947**، شكلت الجمعية العامة للأمم المتحدة **لجنة خاصة مكلفة بقضية فلسطين لدراسة تقرير اليونسكوب دعي إليها ممثلون عن الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية.**

رفضت الهيئة العربية العليا اقتراحات مجموعتي عمل اليونسكوب، مبررة موقفها بأن أي حل يمنح امتيازات لمطالبات اليهود في فلسطين يتعارض و ميثاق هيئة الأمم المتحدة، أما الوكالة اليهودية التي كانت قد قدمت في غشت 1946 اقتراحا للتقسيم ب "دويلة" فلسطينية ذات حدود تشبه حدود الضفة الغربية، بعد 1948، فوافقت على اقتراح التقسيم، مع ممارسة الضغط لتضمين القدس و الجليل الغربي (مثال الناصرة و عكا) في الدولة اليهودية، و أدخلت "اللجنة الخاصة في اليونسكوب"، بعد ذلك بعض التعديلات على الحدود التي رسمها اقتراح التقسيم و أحالته على الجمعية العامة للتصويت. غطت الدولة اليهودية المقترحة حوالي 56% من فلسطين المنتدب عليها، مقسمة ثلاثة "أجزاء – مناطق (بالكاد تكون متاخمة: الجليل الشرقي (بما فيه صمد وطبرية وبيسان وبحيرة طبرية)،

والمنطقة الساحلية (حوالي ثلثي الساحل الفلسطيني بما في ذلك حيفا و تل أبيب و السهول الخصبة المنخفضة) و معظم النقب باستثناء (بئر السبع ...).

ومن الأقضية 16 لفلسطين الانتدابية، تم تخصيص تسعة للدولة اليهودية، واحد منها فقط يتمتع بأكثرية يهودية، وتضمن الدولة اليهودية المقترحة "أقلية" عربية تناهز 47% من سكان تلك الدولة. أما الدولة العربية المقترحة التي قد تربط بشرق الأردن، فكانت حصتها حوالي 43% من فلسطين الانتدابية بسكان عرب يتجاوزون ثلثي مجموع السكان، و قسمت أيضا "ثلاثة – أجزاء مناطق"، إضافة إلى جيب يافا الصغير (و المحاط بالدولة اليهودية)، أما مناطقها الرئيسية فقد كانت : الجليل الغربي نزولا نحو عكا، بما في ذلك الناصرة، و مناطق المرتفعات الفلسطينية المركزية المحيطة بجنين و نابلس و الخليل، وتمتد غربا لتشمل طول كرم و قلقيلة و اللد و الرملة وجنوبا لتشمل المحور المركزي لصحراء بئر السبع الجنوبي، وأخيرا قطاع ساحلي (بما فيه غزة) يمتد من أسدود حتى الحدود المصرية، ثم يتبع تلك الحدود جنوبا. أما المنطقة الدولية المحاصرة المحيطة بالقدس، وبيت لحم، (يطلق عليها الكيان المنفصل) فكانت تتمتع بأكثرية عربية متواضعة.

كان من المقرر عقد التصويت في الأمم المتحدة في 26 نونبر، إلا أن مؤيدي التقسيم خشوا عدم حصول الاقتراح على أكثرية الثلثين المرجوة، فأرجأوا التصويت ثلاثة أيام، مما وفر وقتا إضافيا لممارسة واشنطن والمنظمات الصهيونية بشكل رئيسي ضغوطا شديدة على الدول الأعضاء، ليتم أخيرا إقرار قرار التقسيم في 29 نونبر، بمجموع 33 صوتا مؤيدا و 13 صوتا معارضا، و عشرة ممتنعين عن التصويت.

و لاقى إعلان موافقة الأمم المتحدة على التقسيم إضرابا عاما وتظاهرات في فلسطين العربية، و في هذه الأثناء، و بتشيه من إصباغ الأمم المتحدة الطابع الدولي على قرار التقسيم، سارعت المنظمات العسكرية الصهيونية إلى شن الهجمات على البلدات العربية و الأحياء السكنية،

وذلك قبيل إطلاقها **الخطة "دالت"** المنظمة تنظيما عاليا في أوائل أبريل 1948، فقام سكان البلدات بمساعدة المتطوعين العرب الأكثر تنظيما، والقوات غير النظامية بحماية أرضهم ومهاجمة المناطق الصهيونية، لتستمر مرحلة من "الحرب الأهلية" في حرب فلسطين (1947 – 1949) بين كر و فر، إلى حين إعلان إسرائيل **قيام الدولة اليهودية في 15 ماي 1948** .

لقد نجح الصهاينة من خلال قبولهم فكرة التقسيم، ورفض العرب لها، وتعتيمهم على الظلم الشديد المحيط بتفاصيل الاقتراح، من حيث الأرض كما السكان، في إضفاء ستار الشرعية والطابع الدفاعي على احتلالهم القسم الأكبر من فلسطين وتهجير أهلها الفلسطينيين، وهكذا، تكرست خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين نتيجة الجهود الصهيونية الحثيثة لضمان الاعتراف الدولي بالسيادة اليهودية على جزء كبير من فلسطين، وفي الوقت ذاته التمهيد بقيام دولة إسرائيل في ماي 1948، المبني على ترحيل مئات الألوف من الفلسطينيين من أراضيهم.

عن الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية

أليكس وندر

قرار تقسيم فلسطين

29 نونبر1947

قرار تقسيم فلسطين هو الاسم الذي أطلق على قرار الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة رقم 181، والذي صدر بتاريخ 29 نونبر 1947 بعد التصويت (33 مع، 13 ضد، 10 ممتنع)، ويتبن خطة تقسيم فلسطين القاضية بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وتقسيم أراضيها إلى ثلاث كيانات جديدة كالتالي:

1) دولة عربية: تبلغ مساحتها 11000 كلم مربع، ما يمثل 42،3% من فلسطين، وتقع على الجليل الغربي، ومدينة عكا والضفة الغربية، والساحل الجنوبي الممتد من شمال أسدود، وجنوبا حتى رفح، مع جزء من الصحراء على طول الشريط الحدودي مع مصر.

2) دولة يهودية: تبلغ مساحتها 15000 كلم مربع، أي ما يعادل 57،7٪، من فلسطين، وتقع على السهل الساحلي من حيفا وحتى جنوب تل أبيب، والجليل الشرقي، بما في ذلك بحيرة طبرية وأصبع الجليل، والنقي، بما في ذلك أم الرشراش، أو ما يعرف بإيلات حاليا.

3) القدس وبيت لحم والأراضي المجاورة تحت وصاية دولية.

قرارات مجلس الأمن 1967

قرار 242

قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 242، هو قرار أصدره مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة في 22 نونبر 1967، وجاء في أعقاب حرب يونيو 1967، والتي أسفرت عن هزيمة الجيوش العربية واحتلال إسرائيل لمناطق عربية جديدة. صوت لصالحه بالإجماع، وتم اعتماده. وقد جاء هذا القرار كحل وسط بين عدة مشاريع قرارات طرحت للنقاش بعد الحرب.

ورد في المادة الأولى، الفقرة أ :

"انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلت في النزاع الأخير"، **وقد حذفت ال التعريف من كلمة "أراضي" في النص الانجليزي بهدف المحافظة على الغموض في تفسير هذا القرار،** وإضافة إلى قضية الانسحاب فقد نص القرار على إنهاء حالة الحرب و**الاعتراف ضمنا بإسرائيل دون ربط ذلك بحل قضية فلسطين التي اعتبرها القرار مشكلة لاجئين**، ويشكل هذا القرار منذ صدوره صلب كل المفاوضات والمساعي الدولية والعربية لإيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي.

خطة يغيئال ألون، حزيران 1967

نص القرار:

إن مجلس الأمن: إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطير في الشرق الأوسط، وإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على **أراضي** بواسطة الحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان، وإذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقا للمادة 2 من الميثاق.

1- يؤكد أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط، ويستوجب تطبيق كلا المبدأين التاليين:

أ- سحب القوات المسلحة من أراض ("الأراضي") التي احتلتها في النزاع.

ب- إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب، واحترام، واعتراف بسيادة وحدة أراضي كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد وأعمال القوة.

2- يؤكد أيضا الحاجة إلى:

أ- ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة

ب- تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين

ج- ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح

د – وقف إطلاق النار

قرار 338

22 أكتوبر 1973

أصدر مجلس الأمن بتاريخ 22 أكتوبر 1973 قراره رقم 338، الذي يدعو إلى وقف إطلاق النار على كافة جبهات حرب أكتوبر، وتنفيذ القرار 242 بجميع أجزائه، وفيما يلي فقرات القرار:

إن مجلس الأمن:

1- يدعو جميع الأطراف المشتركة في القتال الدائر حاليا إلى وقف إطلاق النار بصورة كاملة، وإنهاء جميع الأعمال العسكرية فورا في مدة لا تتجاوز 12 ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار، وفي المواقع التي تحتلها الآن.

2- يدعو جميع الأطراف المعنية إلى البدء فورا، بعد وقف إطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الأمن 242 (1967) بجميع أجزائه.

3- يقرر أن تبدأ فور وقف إطلاق النار وخلاله مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت ٱشراف ملائم بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1747 ب 14 صوتا مقابل لا شيء وامتناع الصين عن التصويت.

اتفاقات كامب ديفيد

17 شتنبر 1978

اتفاقات كامب ديفيد هي تلك الاتفاقات التي وقعها الرئيس المصري أنور السادات ورئيس وزراء الكيان الصهيوني ماناحيم بيغين في 17شتنبر 1978 بعد 12 يوما من المفاوضات السرية في

كامب ديفيد. تم التوقيع على الاتفاقيتين الإطارية في البيت الأبيض، وشهدهما الرئيس جيمي كارتر، وثاني هذه الأطر (إطار لإبرام معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل) أدى مباشرة إلى معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل 1979، أما الإطار الأول فهو (إطار للسلام في الشرق الأوسط)، الذي يتناول الأراضي الفلسطينية، وكتب دون مشاركة الفلسطينيين، وأدانته الأمم المتحدة.

لقد ساهمت هذه الاتفاقات في تفكيك التحالف العربي وتهميش الفلسطينيين وبناء تحالف مع مصر وإضعاف الاتحاد السوفياتي وتأمين وضع الكيان الصهيوني.

لقد أنهت الاتفاقات حالة الحرب بين مصر والكيان الصهيوني، وقد تم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من سنة 1979 إلى سنة 1987 نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية.

لقد أثارت اتفاقيات كامب ديفيد ردود فعل معارضة في مصر و معظم الدول العربية، من بينها استقالة وزير الخارجية المصرية إبراهيم كامل لمعارضته للاتفاقيات و سماها **مذبحة التنازلات**، و انتقد كل اتفاقات كامب ديفيد لكونها لم تشر بصراحة لانسحاب إسرائيلي من قطاع غزة و الضفة الغربية و لعدم تضمينها حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، كما انعقد مؤتمر قمة عربية، رفضت فيه تلك الاتفاقات و تم نقل مقر الجامعة من مصر إلى تونس احتجاجا على الخطوة المصرية، و عاش العالم العربي مزيدا من الشتات، تمثل في صراع الزعامات، و تشكل ما سمي بجبهة الرفض على إثر مؤتمر بغداد 2 نونبر 1978، و جاءت حرب الخليج الأولى، و انضمت سوريا و ليبيا إلى صف إيران، و استغل الكيان الصهيوني هذا التشتت لغزو لبنان سنة

1982، بحجة إزالة منظمة التحرير الفلسطينية من جنوب لبنان، وتمت محاصرة العاصمة اللبنانية، وترحيل قيادات منظمة التحرير الفلسطينية إلى تونس، كما نشأت فكرة "الاتحاد المغاربي".

معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية

26 مارس 1979

تم توقيعها من طرف كل من مناحيم بيغين وأنور السادات، وشهدها جيمي كارتر، وأنهت الاتفاقية حالة الحرب بين مصر والكيان الصهيوني.

تعتبر معاهدة السلام بين مصر والكيان الصهيوني سنة 1979 أول خرق عربي للموقف من دولة الكيان، وقد تعهدت بموجبها مصر والكيان الصهيوني بإنهاء حالة الحرب، وإقامة علاقات ودية بينهما، وانسحب بمقتضاها الكيان الصهيوني من سيناء التي احتلها سنة 1967، ومما جاء في نص المعاهدة:

إن حكومتي جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل، اقتناعا منهم بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل وشامل دائم في الشرق الأوسط، وفقا لقراري مجلس الأمن 242 و 338، إذ تؤكدان من جديد التزامهما بإطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد المؤرخ ب 17 شتنبر 1978.

و إذ تلاحظان أن الإطار المشار إليه إنما قصد به أن يكون أساسا للسلام، ليس بين مصر و إسرائيل فحسب، بل أيضا بين إسرائيل و أي من جيرانها العرب – كل فيما يخصه – ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس، و رغبة منهما في إنهاء حالة

الحرب بينهما، و إقامة سلام تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن، و اقتناعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر و إسرائيل، يعتبر خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة، و التوصل إلى تسوية النزاع العربي – الإسرائيلي بكافة نواحيه، و إذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى في النزاع إلى الاشتراك في عملية السلام مع إسرائيل على أساس مبادئ إطار السلام المشار إليها سالفا و استرشادا بها، و ترغبان أيضا في إنماء العلاقات الودية و التعاون بينهما وفقا لميثاق الأمم المتحدة و مبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات الدولية في وقت السلم، قد اتفقتا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستهما الحرة لسيادتهما من تنفيذ الإطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر و إسرائيل، و تضم الاتفاقية تسعة مواد تؤطر للاتفاق.

ومما جاء في المادة الثانية:

"إن الحدود الدائمة بين مصر وإسرائيل هي الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ... وذلك دون المساس بما يتعلق بوضع قطاع غزة، ويقر الطرفان أن هذه الحدود مصونة لا تمس، كما يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسي.

مؤتمر مدريد

من 30 أكتوبر إلى 1 نونبر 1991

انعقد مؤتمر مدريد في الفترة الممتدة من 30 أكتوبر إلى 1 نونبر، استضافته اسبانيا، وشارك في رعايته كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، وقد كان محاولة من جانب منظميه لتحريك عملية السلام الإسرائيلية - الفلسطينية من خلال المفاوضات التي حضرها الكيان الصهيوني والفلسطينيين ودول عربية بما فيها الأردن ولبنان وسوريا.

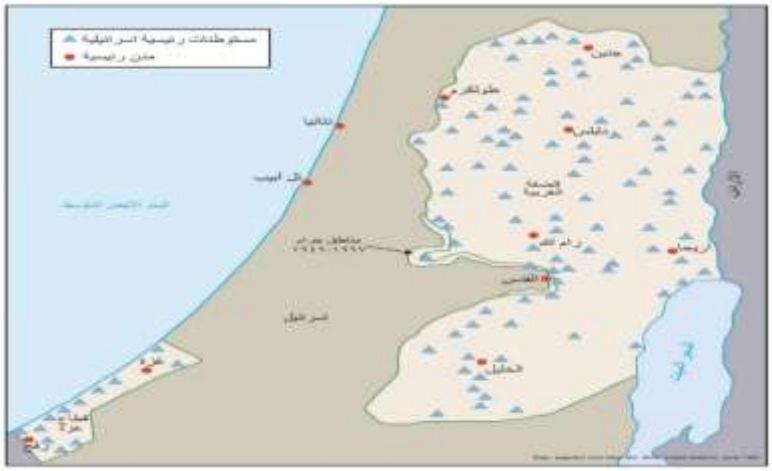

مؤتمر مدريد للسلام في عام 1991 والمستوطنات الصهيونية

في 3 نونبر، أعقب المؤتمر مفاوضات ثنائية بين إسرائيل والوفد الأردني – الفلسطيني المشترك، لبنان وسوريا على التوالي، وعقدت اجتماعات ثنائية لاحقة في واشنطن في 9 دجنبر 1991، وفي 28 يناير 1992، بدأت مفاوضات متعددة الأطراف بشأن التعاون الإقليمي في موسكو، حضرها الكيان الصهيوني والوفد ألأردني – الفلسطيني، لكن دون لبنان وسوريا.

كان الفريق الفلسطيني جزءا من وفد فلسطيني - أردني مشترك، ويتكون من فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة، وكان الاجتماع رسميا بدون شركاء عالميين لمنظمة التحرير الفلسطينية، مثل صائب عريقات و حيدر عبد الشافي رئيس الوفد بسبب الاعتراضات الإسرائيلية، و قبل المؤتمر هدد الكيان الصهيوني بعدم الحضور إذا كان ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية أو شخص من خارج قطاع غزة و الضفة الغربية أو شخص من القدس الشرقية سيكونون جزءا من الوفد الفلسطيني، إلا أن الوفد كان على تواصل مستمر مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية

في تونس. وعلى الرغم من الاعتراضات الإسرائيلية أرسلت منظمة التحرير الفلسطينية "وفدا استشاريا" غير رسمي برئاسة فيصل الحسيني ليكون بمثابة جهة اتصال. وكان الغرض من المؤتمر أن يكون بمثابة منتدى افتتاحي للمشاركين، ولم يكن له سلطة فرض حلول أو نقد الاتفاقيات، فقد افتتحت على إثره المفاوضات على المسارين الثنائي والمتعدد الأطراف، واتفق المفاوضون السورين واللبنانيون على استراتيجية مشتركة، وقد كان هذا هو المؤتمر الأخير الذي عقد بحضور كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، ومن المعلوم أن الاتحاد السوفياتي قد انهار في وقت لاحق، أي في دجنبر 1991.

اتفاق أوسلو (أوسلو 1)

13 شتنبر 1993

اتفاقية، او معاهدة أوسلو أو أوسلو 1، المعروفة رسميا باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي، هو اتفاق سلام وقعته اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 شتنبر 1993 بحضور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وسمي الاتفاق نسبة لمدينة أوسلو النرويجية، التي تمت فيها المحادثات السرية سنة 1991.

وقد وقع على هذا الاتفاق كل من شمعون بيريز وياسر عرفات باسم منظمة التحرير الفلسطينية، وتعتبر اتفاقية أوسلو أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادل نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، التزما بموجبها:

- التزمت منظمة التحرير على لسان رئيسها ياسر عرفات بحق دولة إسرائيل في العيش في سلام وأمن، والوصول إلى حل كل القضايا الأساسية المتعلقة بالأوضاع الدائمة من خلال المفاوضات، وأن إعلان المبادئ هذا يبدأ حقبة خالية من العنف، وطبقا لذلك فإن منظمة التحرير تدين استعمال الإرهاب وكل أعمال العنف الأخرى، وستقوم بتعديل بنود الميثاق الوطني للتماشي مع هذا التغيير، وسوف تأخذ على عاتقها إلزام كل عناصر أفراد منظمة التحرير بها ومنع انتهاك هذه الحالة وضبط المنتهكين.

- قررت حكومة إسرائيل على لسان رئيس وزرائها إسحاق رابين أنه في ضوء التزامات منظمة التحرير الفلسطينية، الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل للشعب الفلسطيني و بدء المفاوضات معها، كما وجه ياسر عرفات رسالة إلى رئيس الخارجية النرويجي آنذاك يؤكد فيها أنه سيضمن بياناته العلينة موقفا لمنظمة التحرير تدعو فيها الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية و قطاع غزة إلى الاشتراك في الخطوات المؤدية إلى تطبيع الحياة و رفض العنف و الإرهاب و المساهمة في السلام و الاستقرار، و المشاركة بفعالية في إعادة البناء و التنمية الاقتصادية و التعاون .

وينص إعلان المبادئ على إقامة سلطة حكم ذاتي انتقالي فلسطينية (أصبحت تعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية) ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية لا تتجاوز الخمس سنوات للوصول إلى تسوية دائمة بناء على قراري الأمم المتحدة 242 و 338 بما لا يتعدى السنة الثالثة من الفترة الانتقالية.

ونصت الاتفاقية على أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية بما فيها القدس، اللاجئون، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين.

تبع هذه الاتفاقيات المزيد من الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات مثل **اتفاق غزة وأريحا**، وبروتوكول باريس الاقتصادي، الذي تم ضمه إلى معاهدة تالية سميت بأوسلو 2.

أهم ما تنص عليه الاتفاقية:

1- تنبذ منظمة التحرير الفلسطينية الإرهاب والعنف (تمنع المقاومة المسلحة ضد إسرائيل)، وتحذف البنود التي تتعلق بها في ميثاقها كالعمل المسلح وتدمير إسرائيل.

2- تعترف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.

3- تعترف منظمة التحرير بإسرائيل (على 78% من أراضي فلسطين، أي كل فلسطين ما عدا الضفة الغربية وغزة).

4- خلال خمس سنين تنسحب إسرائيل من أراض في الضفة الغربية وقطاع غزة على مراحل، أولها أريحا وغزة، اللتين تشكلان 1،5% من أراضي فلسطين.

5- تقر إسرائيل بحق الفلسطينيين في إقامة حكم ذاتي (أصبح يعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية على الأراضي التي تنسحب منها في الضفة الغربية وغزة (**حكم ذاتي فلسطيني وليس دولة مستقلة ذات سيادة**).

تكملة بنود الاتفاقية:

1) إقامة مجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسطيني في الأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينية.

2) إنشاء قوة شرطة من أجل حفظ الأمن في الأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينية.

3) إسرائيل هي المسؤولة عن حفظ أمن منطقة الحكم الذاتي من أي عدوان خارجي (لا يوجد جيش فلسطيني للسلطة الفلسطينية).

4) بعد ثلاث سنين تبدأ مفاوضات "الوضع الدائم" يتم خلالها مفاوضات بين الجانبين بهدف التوصل لتسوية دائمة، وتشمل هذه المفاوضات القضايا المتبقية بما فيها:

-القدس (من يتحكم بالقدس الشرقية والغربية والأماكن المقدسة وساكنيها)

- اللاجئون (حق العودة وحق التعويض) ...

- المستوطنات في الضفة الغربية والقطاع (هل تفكك أم تبقى أو تزيد زيادة طبيعية، ومن يحميها السلطة أم الجيش الإسرائيلي.

- الترتيبات الأمنية (كمية القوات والأسلحة المسموح بها داخل أراضي الحكم الذاتي والتعاون والتنسيق بين شرطة السلطة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي).

اتفاق غزة – أريحا

4 ماي 1994

اتفاق غزة وأريحا، والمعنون رسميا باسم اتفاق حول قطاع غزة ومنطقة أريحا، وقع في 4 ماي 1994 لاحقا لاتفاقية أوسلو، وفيه خلص الأطراف إلى تفاصيل الحكم الذاتي الفلسطيني، ويعرف **الاتفاق باسم اتفاق القاهرة 1994**.

أعطت الاتفاقية حكم ذاتي فلسطيني محدود في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال خمس سنوات. وتبعا لهذه المعاهدة وعدت إسرائيل بالانسحاب جزئيا من أريحا في الضفة الغربية وجزئيا من قطاع غزة خلال ثلاثة أسابيع من تاريخ التوقيع.

اتفاقية غزة أريحا، 4 أيار 1994، القاهرة

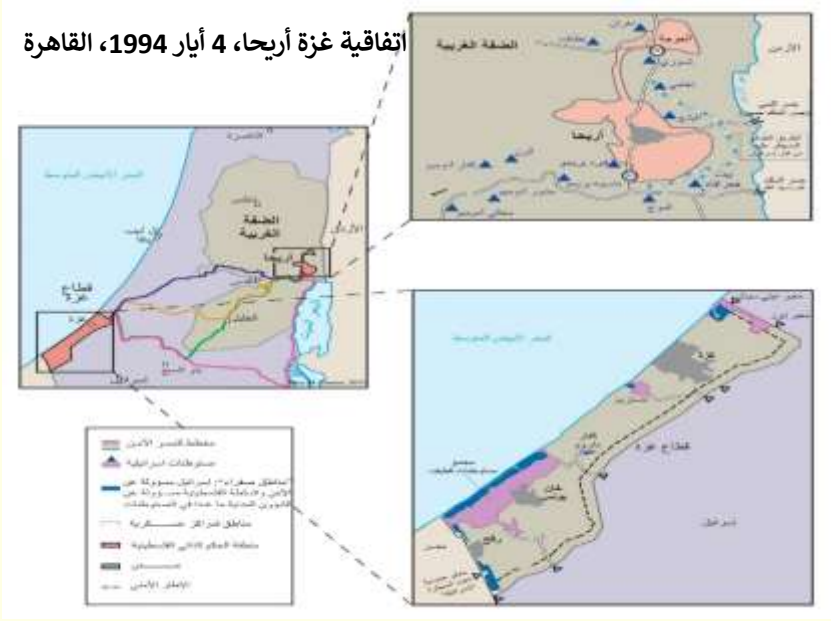

أنشئت السلطة الفلسطينية، والتي أصبح ياسر عرفات أول رئيس لها في الخامس من يوليوز 1994. كانت الأجزاء الأخرى من الاتفاق، بروتوكول العلاقات الاقتصادية (بروتوكول باريس) وإنشاء قوات الشرطة المدنية الفلسطينية. **ينظم بروتوكول باريس العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، ولكنه عمليا ينظم الاقتصاد الفلسطيني ضمن الاقتصاد الإسرائيلي.**

تم ضم هذا الاتفاق، وحل محله اتفاق أوسلو 2 المعروف رسميا باسم **الاتفاق المرحلي على الضفة الغربية وقطاع غزة** الموقع في 24 و 28 شتنبر 1995.

الاتفاقية المرحلية (أوسلو 2)، 28 أيلول 1995، طابا

اتفاق أوسلو 2

28 شتنبر 1995

الاتفاق الانتقالي بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة الشهير **باتفاق أوسلو 2**، هي اتفاقية محورية ومركبة في عملية السلم الإسرائيلية – الفلسطينية، تسمى أيضا **اتفاقية طابا** لأنه تم التوقيع عليها في طابا بمصر.

وضعت الاتفاقية تصورا لتأسيس حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية في الأراضي الفلسطينية، لكنها لم تتضمن وعدا بإقامة دولة فلسطينية مستقلة.

أسست أوسلو 2 المناطق أ، ب و ج في الضفة الغربية. منحت السلطة

الفلسطينية بعض السلطات والمسؤوليات المحدودة في منطقة أ و ب، مع إمكانية عقد مفاوضات حول التسوية النهائية حسب قراري مجلس الأمن رقم 242 و 338، و قد تم التوقيع الرسمي على الاتفاقية في واشنطن يوم 28 شتنبر 1995، و قد سبقتها أحداث دامية تركت أثرا عليها، فقد سبقتها مجزرة الحرم الإبراهيمي و عدة عمليات انتحارية هزت العمق الإسرائيلي و أعقبها اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين.

معاهدة وادي عربة

26 أكتوبر 1994

معاهدة السلام الأردنية – الإسرائيلية، أو ما يشار إليه باسم معاهدة وادي عربة، هي معاهدة سلام وقعت بين الأردن وإسرائيل بوادي عربة في 26 أكتوبر 1994.

بضغط من كلينتون على الأردن لبدء مفاوضات سلام وتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل و وعده بإلغاء ديون الأردن، نجحت الضغوط، و وقع رابين و الملك حسين و كلينتون على "**إعلان واشنطن**" في واشنطن العاصمة في 25 يوليوز 1994، و جاء في الإعلان أن إسرائيل و الأردن أنهيا حالة العداء الرسمية و سيبدآن مفاوضات من أجل "وضع حد لسفك الدماء" و لأجل سلام عادل و دائم.

طبعت هذه المعاهدة العلاقات بين البلدين، وتناولت النزاعات الحدودية بينهما. بتوقيع هذه المعاهدة أصبحت الأردن ثاني دولة عربية بعد مصر وثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية تطبع علاقاتها مع إسرائيل.

استقبل الرأي العام الإسرائيلي هذه المعاهدة بشكل إيجابي، ورحبت بها مصر بينما تجاهلتها سوريا. **بعد هذا الاتفاق أصبحت الحدود الإسرائيلية – الأردنية مفتوحة لمرور السياح والبضائع والعمال بين البلدين.**

إعلان اتفاقيات أبراهام

نحن الموقعون، نسلم بأهمية صون السلام وتعزيزه في الشرق الأوسط، وفي جميع أنحاء العالم، على أساس التفاهم والتعايش المتبادلين، فضلا عن احترام الكرامة والحرية، بما في ذلك الحرية الدينية.

إننا نشجع الجهود لتعزيز الحوار بين الأديان والثقافات لتعزيز ثقافة السلام بين الديانات الإبراهيمية الثلاث، والبشرية جمعاء.

نعتقد أن أفضل طريقة لمواجهة التحدي هي من خلال التعاون والحوار وتطوير العلاقات الودية بين الدول التي تعزز مصالح السلام الدائم في الشرق الأوسط وحول العالم.

نسعى إلى التسامح، والاحترام لكل شخص، من أجل جعل هذا العالم مكانا يمكن للجميع فيه الاستمتاع بحياة كريمة وأمل، بغض النظر عن عرقهم أو دينهم.

نحن ندعم العلم والفن والطب والتجارة لإلهام البشرية وتعظيم الإمكانات البشرية والتقريب بين الأمم.

نسعى لإنهاء التطرف والصراع لتوفير مستقبل أفضل لجميع الأطفال.

نسعى لتحقيق رؤية للسلام والأمن والازدهار في الشرق الأوسط وحول العالم.

وبهذه الروح، نرحب ترحيبا حارا ونشعر بالتشجيع من التقدم المحرز بالفعل في إقامة علاقات دبلوماسية بين إسرائيل وجيرانها في المنطقة، في إطار إقامة علاقات ثنائية بين إسرائيل وجيرانها في المنطقة، بموجب مبدأ اتفاقيات أبراهام.

وتشجعنا الجهود الجارية لتعزيز وتوسيع هذه العلاقات الودية القائمة على العلاقات المشتركة والالتزام المشترك بالمستقبل.

أنا إن سقطت فخد مكاني يا رفيقي

في الكفاح

وانظر إلى شفتي أطبقتا على هوج

الرياح

أنا لم أمت! أنا لم أزل أدعوك من خلف

الجراح

من قصيدة "المعركة" معين بسيسو

تقديم: **وليد الزرقطوني**

بمناسبة إصدار كراسة **"القضية الفلسطينية بين المسألة اليهودية والحركة الصهيونية"** ارتأينا أن نخصص جزءا من هذه الدراسة لشهداء القضية الفلسطينية المغاربة اللذين سقطوا على أرض فلسطين مدافعين عن قيم التحرر والنضال ضد الصهيونية والامبريالية وتجسيدا لوحدة مصير شعوب العالم العربي على اختلاف مكوناتها، إننا نفعل هذا ليس من باب تكريم هؤلاء الشهداء فقط، فالتاريخ سجلهم في كتابه الذهبي، بل للتذكير بنماذج مناضلة عاشت على أرض المغرب ولم يمنعها وضعها الاجتماعي أو المادي من الانتقال إلى ساحات نضال أخرى دفاعا عن القيم السامية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، من أجل تحرير فلسطين من النهر إلى البحر.

نعترف هنا، أن وراء الفكرة محاولة للتصدي لنماذج المناضلين المتخاذلين، إمعات تملأ ساحة النضال شبيهة بنعامة الشاعر عمران بن حطان: **فتخاء تجفل من صفير الصافر**، نماذج لا هي في العير ولا في النفير، فلكم تصيب الحسرة قلب كل مناضل شريف عندما يسمع بأخبار التطبيع في الجامعات و "المناضلون الصناديد" لا يحركون ساكنا علما أن الجامعة المغربية كان قلبها ينبض بفلسطين وحب فلسطين والتضامن مع فلسطين، فكانت مقررات الحركة الطلابية تعج بقرارات المساندة والدعم للثورة الفلسطينية، مما كان له دور كبير في نشأة الحركة الماركسية – اللينينية المغربية، ومن منا لا يتذكر سقوط زبيدة خليفة شهيدة دفاعا عن القضية الفلسطينية.

ينتمي شهداؤنا المغاربة و إمعات الزمن الرديء إلى أجيال مختلفة، فالأولون ينتمون إلى جيل الستينات و السبعينات، زمن انتشار الأفكار الثورية في كل مكان، على الصعيد العالمي، في العالم العربي و في إفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية و في المغرب، فقد استولت العاصفة الثورية على العقول المفكرة و جزء من الطبقة العاملة و الفلاحين، في الجامعات و المعامل و الحقول، كانت المعارك على أوجها في آسيا و أمريكا اللاتينية و إفريقيا، بين الامبريالية و الرجعية من جهة و جماهير واسعة يقودها مناضلون حقيقيون يناهضون الاستعمار و الاستعمار الجديد و الاضطهاد و العنصرية، كان الأدب الثوري ينتشر بشكل واسع وسط الشبيبة الثورية في الكليات و الجامعات و بين صفوف العمال و الفلاحين. لقد كان للنضال أيقوناته التي تتغذى من أساطير وملاحم النضال الثوري، ومن السير الثورية التي تزخر بتضحيات جسام وبنكران للذات منقطع النظير من أمثال ماركس و انجلز و لينين و ماو و هوشي منه و جياب ...

لقد كان المثل الأعلى الثوري يضع في المقدمة ويفضل الإنسان المرتبط بالمثل العليا الإنسانية والثورية، ذلك الإنسان المتجذر في شعبه والمناضل من أجل تحرره. كان منظور التحرر يرتكز على مفهوم الخلاص الجماعي للشعوب والبشرية، وليس خارجها وعلى حسابها، كما يروج اليوم على أوسع نطاق ضمن المنظور "النيو ليبرالي" للخلاص الفردي، **وأنا ومن بعدي الطوفان**.

مرت السنوات، وهبت رياح وجرت مياه كثيرة تحت الجسر أتت على الأخضر و اليابس، وسادت روح الهزيمة والاستسلام بعد سقوط الثورة الصينية وانهيار الاتحاد السوفياتي، واستطاع التيار المضاد للثورة العالمية أن ينتصر مؤقتا مدشنا صعود الثورة العالمية المضادة، التي بدورها استولت على العديد من "العقول المفكرة"، التي باتت تروج وتنظر للقيم "النيوليبرالية" الممجدة للذات وتسفيه النضال وتجريم الثورات ونماذجها الثورية، فانتشرت في العالم الحروب وعودة السياسات الاستعمارية القديمة، وتم إطلاق ما يسمى بالثورات الملونة في كل مكان، ومن بينها ما يسمى ب ثورات الربيع العربي الذي لم يكن إلا خرابا عربيا.

إن جيل الإمعات والمتخاذلين ينتمي إلى هذا الجيل الثاني، حيث النموذج النيوليبرالي ينكر وجود الطبقات وصراع الطبقات ويمدح الفرد والإعلاء من شأن الفردانية، ألم تقل **مارغريت تاتشر** ذات زمان أنه **لا يوجد هناك مجتمع فليس هناك سوى أفراد**. لقد تولدت عن هذه القيم المنتشرة بشكل واسع عن طريق ما يسمى بالعولمة والثورة المعلوماتية، والتي أسس لها عن طريق ما يسمى **باقتصاد السوق** و**اليد الخفية للسوق** والهجوم على مكتسبات الطبقة العاملة والفلاحين وكل الكادحين و**تبضيع** كل شيء من صحة وتعليم وثقافة وتدمير الأدوات الطبقية للطبقة العاملة من نقابات وأحزاب سياسية وتسفيه السياسة وتجريدها من كل بعد تحرري وترويج لمفهوم **الخلاص الفردي و التمحور حول الذات** (أنا ومن بعدي الطوفان) نماذج بشرية أنانية باحثة عن مصالحها الخاصة تضعها السوسيولوجيا البورجوازية ضمن فئة ما يسمى ب **"المنتصرون"** و **"الواصلون"**، هؤلاء وأولئك مستعدون باستمرار **للسير فوق ظهور الآخرين** سواء كانوا أفرادا أو شعوبا، وقد دفعت النيوليبرالية هذا المفهوم للتحرر المنكفئ على ذاته إلى أقصى الحدود المتصف **بنرجسية مرضية** ومدح للذات والنفخ فيها إلى أقصى الحدود لحد أن التحرر أصبح مختزلا في الممارسات الجنسية وإشاعتها بين أفراد الأسرة الواحدة، وضرب مستمر لركائز الأسرة لصالح **فوضى جنسية عارمة، ويدخل هذا في سياق تدمير كل العناصر الذاتية للنضال والتمرد و الثورة**.

وبطبيعة الحال، صاحب هذه الأمور انتشار ما يسمى **بما بعد الحداثة** وضرب لكل ثقافة بعدما تم تفكيك ما يسمى **بالخطابات الكبرى، والتشكيك في كل شيء** وضرب ونشر **اللايقين في العلم والمعرفة**، وقد تم التمهيد لذلك عن طريق الهجوم باستعمال الأكاذيب والخلط وقلب الحقائق التاريخية من أجل ضرب مكتسبات الثورات البشرية ورفض كل أشكال المقاومة والنضال، وقد نهض بهذا الدور الخبيث ثلة من المؤرخين والمرتزقة والأزلام سيتم إطلاق اسم **"التحريفية التاريخية"** على إنتاجاتهم الخبيثة و**"الكتاب الأسود للشيوعية"** نموذج على ذلك.

لقد قامت "العولمة" الرأسمالية عن طريق **تنميط القيم والسلوكات**، وعن طريق ما يسمى **بالطرق السيارة للمعلومات** و**استعمال الأنترنيت** و**مواقع التواصل الاجتماعي بنشر أفكار الخلاص الفردي وتعميم الاستيلاب والوعي المزيف، وإعطاء الوهم باكتساب الديموقراطية من خلال ما يسمى بصناعة المحتوى، فكل مستعمل لهذه الأدوات فهو إنسان مبدع وصانع محتوى يشارك مع الآخرين أفكاره وتصوراته مما يكرس لديه وهم كونه أصبح منتجا وفاعلا ومؤثرا و مكتسبا لحريته الفردية.**

وقد تولد عن كل هذا نوع من المناضلين الجدد يعتقد أنه اكتسب الوعي الشامل ولا حاجة له بأدوات النضال الجماعي من حزب ونقابة وغيرها، فكل شيء يتم عن طريق نقر على الحاسوب ولا حاجة لتواجد في الميدان ما عدا بالنسبة للمناضلين اللذين اكتسبوا وعيا نقديا ضد الاستيلاب الافتراضي، ويعملون في أرض الواقع لتحقيق قيم النضال الثوري، فالآلة صناعة بشرية ليس إلا والإنسان يبقى العنصر الحاسم وعلى الآلة أن تخدمه وتخدم مصالحه الواقعية والحقيقية وليس المزيفة بالمعنى الماركسي.

إن سرد كل هذه الحقائق هدفه الأساسي هو تفسير لماذا سقط العديد من المناضلين المحبطين في حبائل النيوليبيرالية المجرمة و أفخاخها. إن تراجع العديد من المناضلين وخيانتهم يعود في آخر المطاف إلى الصراع الطبقي ومواقف الطبقات الاجتماعية والفئات التي ينتمون إليها، لذلك التحق العديد منهم بالضفة الأخرى إلى جانب النظام سعيا إلى تحقيق مصالحهم الخاصة، بينما ظل الجزء الآخر في وضعية بين بين يضع رجلا هنا و رجلا هناك، يدير وجهه تارة صوب اليمين (الالتحاق بالنظام والاقتراب منه) وتارة ذات اليسار معتقدا أنه لا زال على الدرب والطريق (لإزالة العتب)، وهذا النموذج هو الأخطر لأنه حربائي وهو يحاول باستمرار الحفاظ على توازن

مستحيل، ولذلك يعمل باستمرار على تخريب كل المحاولات الجادة التي تفضحه وتبين حقيقته باعتباره طابورا خامسا للنظام وسط الجسم النضالي، ذلك أن هؤلاء لا يدركون أنهم التحقوا بالنظام حتى ولم يعترفوا بذلك، وعلى المناضلين المخلصين والشرفاء أن يفضحوهم ويطردونهم من ساحات النضال فهم جزء من المشكل وليسوا جزءا من الحل، إنهم عرقلة وعقبة كأداء أمام أي بصيص نور يطلع من ساحات النضال لأن مثل هؤلاء يطفئون هذه الشمعة وهي في طور الإشعاع .

إن من يظل صامتا وآلاف الأطفال والنساء والشيوخ والشباب يبادون يوميا من طرف العدو الصهيوني، ولا ينبس ببنت شفة ضد الإبادة الجماعية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، فهو بصمته مشارك في الجريمة ومتواطئ مع العدو وجبت إدانته واعتباره في صفوف العدو.

إن تحصين الجسم النضالي من هؤلاء الانتهازيين الوصوليين يستدعي المزيد من نشر قيم النضال والأخلاق الثورية الإنسانية والأممية، فلا مجال للعب بالكلمات.

الشهيد عبد الرحمان اليزيد أمزغار

***** لا سلام بدون فلسطين ولا فلسطين بدون بندقية**

بندقيتي حياتي ومماتي و الثورة حتى النصر ***

من أقوال الشهيد المغربي عبد الرحمان أمزغار

ولد الشهيد عبد الرحمان أمزغار سنة 1944 بمدينة أصيلا شمال المغرب، وبعد الحصول على الشهادة الثانوية انقطع عن التعليم. كان عضوا في حزب "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" وقد غادر المغرب سنة 1974 متجها إلى لبنان، وبعدما التحق بجبهة التحرير العربية شارك في العديد من العمليات العسكرية ضد العدو الصهيوني، كما شارك في التصدي للهجوم الصهيوني على مدينة كفر شوبا بالجنوب اللبناني، وصباح يوم 15 يونيو 1975 وبرفقة مجموعة تتكون من الفلسطيني حسن الصوفي و التركي فكرت باتماز و العراقي قاسم الطائي، قام الشهيد أمزغار باقتحام مستوطنة كفر يوفال شمال فلسطين المحتلة، وبعد ساعات من الاشتباك مع الجيش الصهيوني انتهت العملية البطولية بإصابة 58 صهيونيا من بينهم 20 قتيلا ضمنهم قائد عملية الاقتحام الصهيوني، واستشهد الشهيد عبد الرحمان أمزغار إثر هذه العملية وذلك يوم 17 يونيو 1975 ليلتحق بإخوانه الشهداء المغاربة الركراكي النومري و العربي بن قدور و الحسين الطنجاوي وغيرهم من أبطال المغرب اللذين رووا بدمائهم الزكية أرض فلسطين.

الشهيد المغربي الرفيق الركراكي بنعلال النومري

ولد الشهيد الركراكي بنعلال النومري سنة 1945 بمدينة آسفي، وفيها أمضى سنوات حياته، حيث تزوج وكان له أربعة أبناء، واستطاع الشهيد أن يحصل على عقد عمل في العراق كسائق. لقد غادر المغرب بفكرة العمل بالعراق، لكن حسه المرهف جعله يتأثر بأجواء العدوان والمجازر التي ارتكبها العدو الصهيوني خلال اجتياحه لأرض لبنان، وكمغربي أصيل يتميز بالجرأة والشجاعة عقد العزم على الانخراط في صفوف المقاومة الفلسطينية، فانضم إلى قواعد الثورة الفلسطينية في العراق، ومن هناك، وبعد تلقيه دورات عسكرية مكثفة انتقل إلى لبنان مقاتلا في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حيث سيستقر به المقام في قواعد الجبهة الشعبية في بيروت قبل أن ينتقل إلى صيدا عاصمة الجنوب اللبناني. وعلى امتداد سنوات، عرف الشهيد الركراكي واشتهر بين رفاقه الفدائيين بالشجاعة والإقدام والاستعداد الدائم لتنفيذ المهام الخاصة الشديدة الخطورة.

وفي يوم 25 أكتوبر، شارك البطل الشهيد في التصدي لعدوان الاحتلال الصهيوني على مخيمات اللاجئين في صيدا، ومن موقعه في السفوح الغربية لجبل الشيخ على الحدود بين لبنان وفلسطين المحتلة، أطلق جحيم نيرانه على طائرات العدو بمدفعه الرشاش، وقد أصابه صاروخ مباشر من إحدى الطائرات فاستشهد على الفور فشيع جثمانه في مقبرة الشهداء بصيدا، فاختلطت دماؤه بدماء الشعب الفلسطيني، كما روت دماؤه أرض الجنوب اللبناني المقاوم، تعبيرا عن وحدة المصير في مواجهة الامبريالية والعدو الصهيوني.

الشهيد المغربي الرفيق

مصطفى علال صديق قزيز

ولد الشهيد في 9 يونيو 1966 بمدينة الراشدية، هاجر إلى ليبيا سنة 1990 قبل أن يلتحق بعضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سنة 1991، شارك الشهيد في العديد من العمليات العسكرية، التي كان ينظمها الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حصل الشهيد على رتبة رقيب في الجبهة الشعبية، واستشهد خلال إحدى هذه العمليات في إطار عملية مشتركة بين الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية، اشتبك خلالها الشهيد مع قوات العدو الصهيوني في بيت ياحون جنوب لبنان، حيث استشهد في 2 غشت 1994، وقد تم تحرير جثمانه سنة 2008 في صفقة التبادل بين المقاومة اللبنانية والعدو الصهيوني، فسلمته الجبهة الشعبية لعائلته ليوارى الثرى في مسقط رأسه بمدينة الراشيدية.

الشهيد المغربي الرفيق الحسين بن يحيى الطنجاوي

أنا مشعل، أنا مارد جبار

لا الريح تخمدني ولا الإعصار

للميتين دموعهم وقبورهم

ولجذوتي ساح الوعي والثأر

يوسف الخطيب

ولد الشهيد الحسين بن يحيى الطنجاوي سنة 1945 في مدينة تطوان بالمغرب، تابع بها دراسته الابتدائية والثانوية قبل أن ينتقل إلى مدينة الرباط حيث سيتابع بها دراسته الجامعية.

عرف الشهيد بنبوغه وتفوقه ورحلاته لطلب العلم، وقد انتقل إلى مدينة فلانسيا بإسبانيا حيث حصل من جامعتها على دبلوم هندسة الطيران، وبعد ذلك التحق بمجموعة من المعاهد العلمية في كل من بلجيكا وإيطاليا، حيث انضم إلى طلائع اليسار وانخرط في صفوف الحزب الشيوعي الإيطالي، ثم غادر إلى العراق للدراسة في كلية الحقوق، وهنا التقى بالشهيد عبد الرحمان اليزيد أمزغار، ومن هناك غادر إلى لبنان وانخرط في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وداخلها تولى إدارة حلقات التعبئة والتوجيه بمخيم الرشيدية، وقد شارك في العديد من العمليات العسكرية، وخلال إحداها، وبالضبط ليلة 28 نونبر من سنة 1974 انطلق الفدائي الشهيد الحسين الطنجاوي مع أربعة من رفاقه لتنفيذ عملية فدائية داخل الأرض المحتلة، وفي طريقهم اصطدموا بقوة من جيش الاحتلال ودارت معركة عنيفة كبدوا خلالها العدو الصهيوني خسائر فادحة قبل أن يستشهد أربعة منهم وانسحاب أحدهم، وقام جيش الاحتلال الصهيوني بإلقاء جثامين الفدائيين وضمنهم الشهيد الطنجاوي على الحدود اللبنانية لفلسطين المحتلة لإرهاب سكان القرى.

وشيع الشهيد المغربي الحسين بن يحيى الطنجاوي في جنازة مهيبة ودفن في مقبرة الشهداء في شتيلا التي سبق أن دفن فيها غسان كنفاني.

هكذا، استشهد الحسين بن يحيى الطنجاوي في 28 نونبر 1974 بالجليل الأعلى بفلسطين، فسقت دماءه المغربية أرض فلسطين، ارض الشهداء.

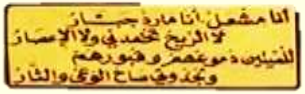

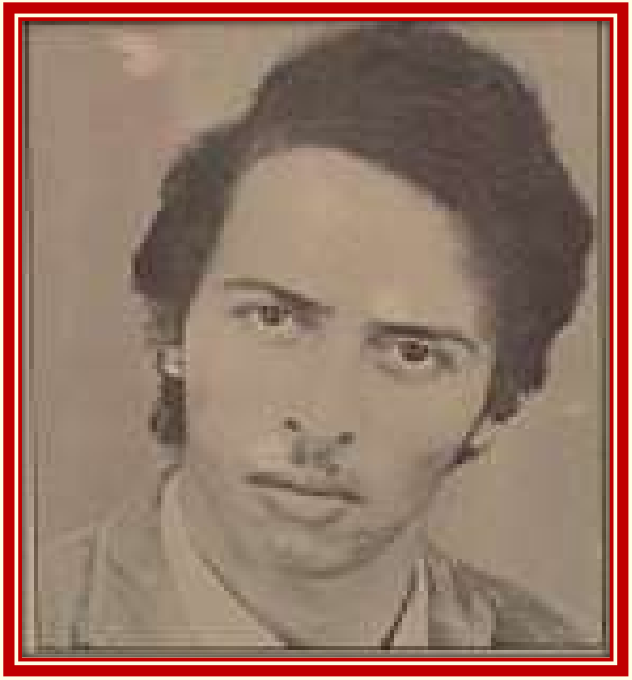

الشهيد المغربي عبد العزيز الداسر

ولد الشهيد عبد العزيز الداسر بمدينة سلا في 25 نونبر 1958، من أسرة صويرية معروفة بمواقفها النضالية إبان الحماية الفرنسية بالمغرب، تابع دراسته الابتدائية و الثانوية بالجزائر و ثانوية النهضة بسلا، أما الدراسة الجامعية فتابعها بكلية الحقوق بمدينة الرباط ثم ب كلية القانون و السياسة بجامعة بغداد إلى حدود السنة الثالثة من الإجازة.

ترك الدراسة، والتحق بقواعد الثورة الفلسطينية مطلع 1981 استجابة لنداء ياسر عرفات حول تعبئة الطلبة الفلسطينيين، واعتبر الشهيد نفسه فلسطينيا فالتحق بقواعد الثورة بلبنان.

استشهد الفدائي المغربي عبد العزيز الداسر في الانفجار الذي تعرضت له بعض مكاتب الثورة الفلسطينية يوم 1 أكتوبر 1981 على يد المخابرات الصهيونية ببيروت.

- مادة "شهداء مغاربة سقطوا على درب التحرير الشامل لأرض فلسطين"، تم استقاؤها من بعض المواقع الالكترونية من بينها موقع "**مدونة نور الدين الرياضي**".

الثوريون لا يموتون

منشورات موقع 30 شباط

POPULAR FRONT FOR THE LIBERATION OF PALESTINE

طريق الكفاح المسلح
طريق فلسطين الحرة

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح وانظر إلى شفتي أطبقتا على هوج الرياح أنا لم أمت! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح

الثوريون لا يموتون

نماذج ثورية من الجيل الذهبي للثورة الفلسطينية

من إعداد علياء نجمي

أكتوبر 2024

تقديم

عايش جيلنا الثورة الفلسطينية الحديثة منذ نشأتها، و كان أبطالها نساء ورجالا يبهروننا ببطولاتهم وأعمالهم الأسطورية الملحمية، فتشكلت في ذهننا كوكبة من الأبطال اللذين قاوموا الاحتلال الصهيوني حتى الاستشهاد، مضحين بالغالي والنفيس وبحياتهم فداء لتحرير الوطن من المحتل الصهيوني، إنه الوطن فلسطين من النهر إلى البحر، وامتلأت ذاكرة جيلنا بأسماء الفصائل الفلسطينية من فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين والصاعقة وغيرها من المنظمات.

يطلق على فلسطين أرض الشهداء وعلى شعبها شعب الجبارين، وتعرف غزة باسم غزة العزة لكثرة ما أنجبت من الشهداء والقادة الثوريين.

وفي ستينيات القرن الماضي، وخاصة السبعينيات منه لمع نجم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كانت يومها ثاني أكبر فصيل فلسطيني بعد فتح، نبعت من رحم المعاناة والمقاومة ذات الخلفية التاريخية، التي شكلت مقدمة لنشأتها، فقد تمرس مؤسسو الجبهة الشعبية داخل حركة القوميين العرب، حيث شكلوا أولى الفصائل المسلحة الفلسطينية. وبعد مراكمة لتجربة قوية مع الفكر القومي العربي، وفي الانخراط في نضال التحرر الوطني في مصر و اليمن و سوريا و العراق و لبنان و الأردن و فلسطين، و بعد هزيمة الأنظمة العربية في 5 يونيو 1967، خاصة تلك التي تحمل إيديولوجية الفكر القومي العربي من ناصرية و بعثية في مصر و سوريا، قام مؤسسو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمراجعة للإيديولوجيا القومية و تجاربها العربية، كما قاموا بتحليل للطبيعة الطبقية لتلك الأنظمة باعتبارها أنظمة بورجوازية صغيرة غير قادرة على تحمل قيادة الثورة العربية ضد الرجعية و الامبريالية والصهيونية، فأعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن تبنيها للماركسية – اللينينية وتدشينها لتجربة اليسار الثوري الفلسطيني بعد 1967.

لقد كان جيلنا يعرف اسم أغلب قادتها و أطرها الثورية المحنكة، التي أبدعت في مجالات مختلفة منها من حمل البندقية و منها من حمل القلم و منها من حمل الريشة و منها من أبدع في أساليب النضال الثوري المسلح، فقد أصبح اسم الجبهة كالنار على علم و طبقت شهرتها الآفاق، فكانت أول من قام بتدويل القضية الفلسطينية و التعريف بها عبر عمليات اختطاف الطائرات، كما قدمت الجبهة نماذج للمثقف

العضوي في شخص غسان كنفاني، الذي قالت عنه غولدا مايير بعد اغتياله: "اليوم تخلصنا من لواء فكري مسلح، فغسان بقلمه كان يشكل خطرا على اسرائيل أكثر مما يشكله ألف فدائي مسلح".

إن لائحة الشهداء في الجبهة الشعبية كبيرة، و للتذكير فقط فقد كانت شادية أبو غزالة أول شهيدة فلسطينية بعد 1967، كما عرف الدكتور وديع حداد (أبو هاني) كأحد الأدمغة التي دوخت كل أجهزة الاستخبارات الإمبريالية و الصهيونية، الرجل الذي عرف بشعاره الخالد: "وراء العدو في كل مكان"، و كيف ننسى الشهيد أبو علي مصطفى، الذي وقف فوق جسر العودة و أطلق كلمته الشهيرة "لقد عدنا لنقاوم وليس لنساوم"، و هل تنسى غزة بطلها العظيم محمد محمود مصلح السود الملقب بغيفارا غزة، الذي قال عنه موشي دايان "نحن نحكم غزة نهارا و غيفارا يحكمها ليلا" و جورج حبش الملقب بالحكيم، الذي فشلت كل محاولات اغتياله من طرف المخابرات الصهيونية، القائد المؤسس، الذي شكل لوحده ضمير الثورة الفلسطينية كما كان يقال، الرجل غير القابل للارتشاء و اللائحة طويلة.

إن اختيارنا لهاته الأسماء و من بينها جورج عبد الله ابراهيم الشيوعي اللبناني الذي انخرط في الثورة الفلسطينية، ليس فقط من باب التكريم، بل من باب التذكير بالوهج الذي عرفتها الثورة الفلسطينية عندما كان اليسار الثوري قوة ضاربة يحسب لها ألف حساب.

إن موقع "30 غشت" له الشرف الكبير في تخليد أسماء هؤلاء الأبطال الشهداء الخالدون ونردد مع جورج حبش قولته الشهيرة: "الثوريون لا يموتون".

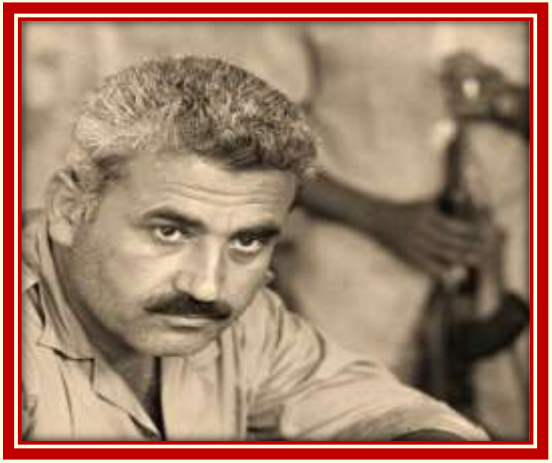

حكيم الثورة و ضميرها

جورج حبش

"إنها أرضنا أيها الكلاب، و ليست أرضكم، سنبقى هنا لنقتلكم، إنكم لن تنتصروا في هذه المعركة" ـ جورج حبش

ولد **جورج حبش** الملقب **بالحكيم** في مدينة اللد بفلسطين في فاتح غشت 1926، من عائلة عربية مسيحية أرتودوكسية، من أب هو **نيكولا حبش** و من أم تحمل اسم **تحفة**، و كانت الأسرة تتكون من ستة إخوة و أخوات، زوجته **هيلدا** حبش ابنة عمته سترافقه طيلة حياته، و كانت رفيقته في كل مراحل النضال، و قد أنجبا ابنتان هما **ميساء** و **لما**.

لقد تميزت حياة جورج حبش في مرحلتها الأولى من 1925 إلى 1954 بما يلي:

- إنهاء دراسته الابتدائية في اللد ثم التحاقه بالكوليج الوطني بمدينة يافا و ذلك لمتابعة دراسته الثانوية.

- عاد حبش إلى يافا حيث اشتغل **كمعلم**، وكان عمره لا يتعدى **16 سنة**، كان الوضع العام في فلسطين آنذاك مليئا بالغضب و الخوف بسبب سياسة الانتداب البريطاني، و بسبب الأعمال الإرهابية المتصاعدة التي تقوم بها المنظمات الصهيونية **الهاغانا** و **الإيرغورن** و **شتيرن**.
- في سنة **1944**، قبل جورج حبش طالبا في كلية الطب بالجامعة الأمريكية ببيروت، لقد كان جورج حبش طالبا **استثنائيا** يوزع أوقاته بين التحصيل العلمي و **ممارسة ألعاب القوى** إضافة إلى **الفن** و **الموسيقى**، ثم **الأنشطة الثقافية** و **السياسية**، التي سيزداد حجمها في حياته بسبب الأحداث التي كانت تتطور بفلسطين، و بسبب **قرار التقسيم** الذي أصدرته **الأمم المتحدة في نونبر 1947**.

لقد كان لأستاذ التاريخ العربي **قسطنطين زريق** تأثير كبير على فكره و رؤيته القومية، لقد كان الدكتور زريق **نقابيا عربيا** و **علمانيا** و **مفكرا قوميا** و **ليبراليا**، لقد كانت جامعة بيروت ملئ بالطلبة العرب من كل البلدان يحملون هموما و أحلاما قومية، وكان فضاء لقائهم هو **الجمعية الثقافية الطلابية العروة الوثقى**، كان زريق **الأب الروحي** للجمعية، أما جورج حبش، فقد تم **انتخابه كاتبا عاما** في سنة **1949 – 1950**.

و يبقى المنعطف الأساسي في حياة جورج حبش خلال هذه السنوات الجامعية هو وقوع **النكبة** سنة **1948**، و بينما كانت القرى و المدن الفلسطينية تسقط تباعا في أيدي القوى الصهيونية، حيث يتم طرد الفلسطينيين، **قطع** جورج حبش **دراسته في كلية الطب** و توجه في **يونيو 1948** إلى ليدا (اللد)، حيث التحق بإحدى العيادات الطبية و عمل **كجراح مساعد** يعالج المدنيين الجرحى و المدافعين عن المدينة، لكن ليدا و المدينة المجاورة لها و هي الرملة، سقطت في أيدي الصهاينة في **11 يوليوز 1948**، و تم طرد

سكان المدينة (حوالي **60** ألف**)** فاضطروا إلى التوجه إلى داخل البلاد، و كان من بين المهجرين عائلة جورج حبش، و استمر هذا الأخير في معالجة الشيوخ و النساء و الأطفال، اللذين يسقطون في الطريق.

في **أكتوبر 1948** عاد جورج حبش إلى مدينة بيروت لاستئناف دراسته في كلية الطب، و قد **حصل على دبلومه** من الكلية سنة **1951**. وعندما نال جورج حبش دبلومه في الطب كتب إلى أمه قائلا:

"إنني نلت الدبلوم وأقول: هنيئا أمي ابنك أصبح طبيبا، لذلك اتركيني أفعل ما أريد أن أفعله حقيقة ..."

و قال جورج حبش في مكان آخر: **"إني طبيب أطفال و قد أحببت هذا كثيرا، كنت أعتقد أنه أحسن عمل في العالم، لكنني أخذت القرار، و لم أندم عليه".**

لم تغب فلسطين عن ذهنه، حيث كان ينظم مظاهرات الطلبة في الشوارع، الشيء الذي تسبب له في العديد من الاعتقالات، واستطاع في آخر المطاف أن يشكل منظمة للشبيبة القومية والتقدمية، وفي **سنة 1952** غادر بيروت إلى **عمان**، حيث قام **بخلق عيادة طبية مجانية بشراكة** مع رفيق عمره **الدكتور وديع حداد**، وذلك من أجل معالجة اللاجئين و الفقراء. و استمر جورج حبش في تعبئة الشباب و تنظيم المظاهرات الجماهيرية ضد الأحلاف التي تساند الاستعمار الغربي، مما جعله **مبحوثا عنه** من طرف السلطات الأمنية الأردنية، فاضطر إلى **العمل السري** خلال سنتين. و في سنة **1954** أقام في مدينة دمشق السورية.

المرحلة الثانية 1954 – 1961

لقد أدى سقوط فلسطين في أيدي القوى الصهيونية إلى اشتعال منطقة الشرق العربي و انتشر غضب عارم ضد الجيوش العربية و **أنظمتها المنهزمة في 1948**. هكذا انفجرت الانقلابات العسكرية و تصفية الخونة المسؤولين عن ذلك، ثم ظهور أحزاب سياسية جديدة مشكلة من الشباب، و من الأحزاب الأكثر أهمية التي ظهرت في سوريا الكبرى، حزب البعث العربي، الذي ظهر في مدينة دمشق و كذلك حركة القوميين العرب التي أعلن عنها جورج حبش خلال مؤتمر عام انعقد بعمان سنة **1956**، و إلى جانب جورج حبش، الأعضاء المؤسسون الآخرون هم: **وديع حداد** (فلسطين)، **صالح شبل** (فلسطين)، **حميد جبوري** (العراق)، **أحمد الخطيب** (الكويت)، و **هاني الهندي** (سوريا).

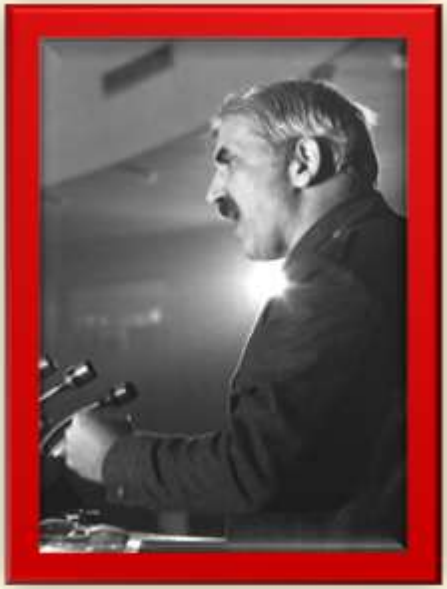

و قد كانت إيديولوجية القوميين العرب **علمانية** و **وحدوية** تنهل من **تعاليم قسطنطين زريق** و **ساطع الحصري**، و قد تبنت الحركة شعار **"الوحدة، التحرير، الانتقام"**، و **يعني هذا أن وحدة البلدان العربية** و **التحرر من الإمبريالية الغربية هما المقدمة لاستعادة فلسطين، وقد كانت الحركة منذ بدايتها تفرق بين اليهودية** و **الصهيونية**.

في مصر، استولت حركة الضباط الأحرار بقيادة **جمال عبد الناصر** مسقطة النظام الملكي ومقيمة **جمهورية عربية** في مصر، و استطاع عبد الناصر في فترة وجيزة أن يكسب تعاطف الجماهير العربية من الخليج إلى المحيط عندما تصدى **للهجوم الثلاثي سنة 1956**، و **بتبنيه إيديولوجية وحدوية**، و **بمساندته للحركات الاستقلالية**.

في هذه الأجواء تطورت العلاقة بين حركة القوميين العرب و النظام الناصري، مما ساعد الحركة على الاتساع في الأردن و سوريا و بلدان الخليج و في ليبيا و اليمن وفي شمال إفريقيا، و شكلت لحظة الوحدة بين سوريا و مصر سنة 1958 - و استمرت إلى 1961 - لحظة فارقة بالنسبة للأوضاع العربية و بالنسبة لحركة القوميين العرب.

خلال هذه الفترة كان جورج حبش يعيش في الأردن حيث كان متابعا من طرف النظام الأردني الرجعي، فقد كانت كل الأحزاب السياسية ممنوعة بعد الهجوم الثلاثي على مصر سنة 1956، فاضطر جورج حبش الى **الاختباء** و **العمل السري** إلى أن **انتقل** إلى **دمشق بعد وحدة 1958**.

المرحلة الثالثة 1961 – 1965

عرف الانسجام بين حركة القوميين العرب و النظام الناصري أوجه خلال فترة الوحدة بين مصر و سوريا سنة 1958 – 1961، و خلال هذه الفترة اهتم جورج حبش بالوضع في اليمن الجنوبي، حيث كانت تنشط المقاومة ضد الوجود العسكري البريطاني في عدن، التي كانت تقودها العناصر المنتمية الى حركة القوميين العرب.

لقد كان لسقوط الوحدة بين مصر و سوريا أثر كبير على الحياة النضالية لجورج حبش، التي ازدادت صعوبة، فقد تعرض جورج حبش و رفاقه للمتابعة و الاعتقال بل الى الاغتيال من طرف القوى التي ساهمت في إفشال مشروع الوحدة، و انفجرت الصراعات بين التيارات القومية نفسها، و كرد فعل على المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قام بها الناصريون في سوريا سنة 1963، قام البعثيون بموجة من الاعتقالات و المحاكمات و التصفيات للعناصر التي اتهموها بالتعامل مع الانقلابيين، و قد اتهم جورج حبش بالتعاون مع أصحاب الانقلاب الفاشل و حكم عليه بالإعدام. و قد عاش جورج حبش لحظات رهيبة عندما كانت هذه الأحداث تقع في سوريا التي صادفت زواج جورج حبش و ولادة بنته الأولى ميساء، فاضطر إلى الاختباء و الانتقال سرا الى بيروت سنة 1964 لمتابعة عمله السياسي النضالي.

لمرحلة الرابعة 1965 – 1971

لقد شكلت هزيمة يونيو 1967 و سقوط ما تبقى من فلسطين، القدس الشرقية و الضفة الغربية و غزة إضافة إلى الجولان في سوريا و سيناء في مصر المنعطف الثالث الحاسم في تشكل الفكر السياسي لجورج حبش (المنعطفين السابقين هما نكبة 1948 و فشل الوحدة في 1961) فقام بتقييم إيديولوجية حركة القوميين العرب و الشروع في التحول نحو الماركسية – اللينينية، هكذا في دجنبر 1967، سيقوم بتأسيس منظمة جديدة على أنقاض حركة القوميين العرب، إنها "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" و هدفها تحرير فلسطين

عن طريق الكفاح المسلح، فبعد تجارب مريرة و فشل الوحدة بين التيارات الفلسطينية و محاولات إبعاده عن منظمة التحرير الفلسطينية من طرف ياسر عرفات، كتب جورج حبش في الوثيقة المؤسسة للجبهة الشعبية:

الوفد الفلسطيني الذي يضم جورج حبش، طلال ناجي، سمير غوشة، طلعت يعقوب وأبو الحكم بزيارة رسمية للرئيس عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر في بغداد ـ 1966

"إن السلاح الوحيد الذي يبقى للجماهير من أجل استعادة التاريخ و التقدم و الانتصار الحقيقي على الأعداء و الأعداء المحتملين على المدى البعيد هو العنف الثوري، إنها اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو هي لغة العنف الثوري".

و عن مدى تناقض هذه الإيديولوجيا الجديدة مع أفكاره القومية يقول جورج حبش أن "**قوميته العربية و انتماءه المسيحي و ثقافته الإسلامية و ماركسيته التقدمية ... " لا تتناقض فيما بينها فهناك انسجام كامل بينها**، و يضيف قائلا: "**إنني ماركسي من ثقافة يسارية و الإرث الإسلامي هو جزء أساسي من بنيتي الفكرية، فالإسلام هو المكون الأهم للقومية العربية و هذه الأخيرة جزء أساسي من كياني**". و كان جورج حبش يعتبر أن المادية الجدلية هي جوهر الماركسية.

في سنة **1968** توصل جورج حبش بدعوة من السلطات السورية، و كانت بمثابة فخ وضع له، فتم اعتقاله و اتهامه بخلق خلايا عسكرية موازية، و قضى عشرة أشهر في أحد أسوأ سجون سوريا المسمى **بسجن الشيخ حسن**، حيث تعرض للتعذيب فقضى وقته في السجن في **قراءة أعمال ماركس** و **انجلز** و **لينين** و **هوشي منه** و **ماو**، و قد ساهم ذلك في تعميق معرفته بالماركسية، و عندما كان جورج حبش يقبع في السجن كان رفيق نضاله **وديع حداد** يخطط لتهريبه من السجن، و قد نجحت العملية، فانتقل جورج حبش **سرا** إلى الأردن للالتحاق بمجموعات المقاومة، التي بدأت تشكل قواعد لها في الأردن بعد هزيمة 1967، و قد زاد نشاط المقاومة في هذه الفترة.

و تحت قيادة وديع حداد، تبنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالإضافة إلى الكفاح المسلح تكتيك اختطاف الطائرات الصهيونية و الغربية بدون المساس بالمسافرين، و ذلك لإثارة اهتمام العالم بمآسي الشعب الفلسطيني، و جعل القضية الفلسطينية تحظى باهتمام العالم.

استطاع وديع حداد خلال 1970، تنظيم اختطاف ثلاث طائرات، و قد تم إنزالها في مطار صحراوي بالأردن، و بعد إخلائها من الركاب و الطاقم تم تفجيرها.

في هذه الحقبة انفجر الصراع بين النظام الأردني و المقاومة الفلسطينية، حيث جرت معارك دموية بين الطرفين انتهت بما سمي ب **"أيلول الأسود"** و انسحاب المقاومة إلى لبنان.

المرحلة الخامسة 1972- 1982

في سنة 1972، أصيب جورج حبش **بأزمة قلبية** شبه قاتلة و بنزيف حاد في الدماغ سنة 1980، و قد واجه ذلك **بإرادة قوية**. في 8 **يوليوز سنة 1972**، قام الموساد باغتيال أحد رفاقه المقربين وهو **غسان كنفاني** الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و ذلك بوضع قنبلة تحت كرسي سيارته في بيروت، كما قام الموساد سنة **1978** باغتيال **وديع حداد رفيق عمره** و **نضاله** عن طريق تسميمه، و قد **نجا جورج حبش نفسه من محاولة اغتياله سنة 1973**، عندما قام الموساد باختطاف طائرة **ميدل إيست اير لاينز** التي كان سيستعملها جورج حبش، لكن هذا الأخير **بسبب إجراء أمني** لم يمتط الطائرة.

صورة يظهر فيها كل من أبو ماهر اليماني وعبد الرحيم أحمد وجورج حبش وياسر عرفات وطلعت يعقوب وصالح خلف وأبو العباس وخليل الوزير أثناء مشاهدتهم لاحتفالات الثورة المقامة في لبنان عام 1974.

على المستوى التنظيمي، قامت الجبهة الشعبية سنة **1972** بالإعلان عن تخليها عن تكتيك اختطاف الطائرات، وخلال هذه الحقبة تأثرت الجبهة الشعبية بتناقضات الوضع السياسي اللبناني، الذي انفجر بين اتجاهين و معسكرين، أحدهما يساند أنشطة المقاومة الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني و آخر مساند من الرجعية و الإمبريالية يعادي وجودها على أرض لبنان، و تفاقمت التناقضات إلى أن انفجرت سنة 1975 على شكل حرب أهلية دائمة، الشيء الذي استفاد منه الكيان الصهيوني، الذي كان قد وقع مع مصر **اتفاق سيناء 2 شتنبر 1975** ثم **اتفاق السلام في مارس 1979**، و قد كان لذلك أهمية قصوى لأنه أدى إلى **إبعاد أكبر قوة عسكرية عربية** في معادلة الصراع العربي الصهيوني، و سيساعد هذا الوضع على قيام الكيان الصهيوني **بغزو لبنان** و **محاصرة بيروت سنة 1982**، الذي استمر **88 يوما** قام خلالها الكيان الصهيوني بقصف لبنان جوا و بحرا و برا، و انتهى الحصار **بانسحاب المقاومة** و **كوادرها** من لبنان.

جورج حبش أثناء زيارته إلى موقعٍ عسكري تحت جسر "الكولا" في بيروت أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982

صورة يظهر فيها جورج حبش برفقة سمير غوشة، نايف حواتمة، صلاح خلف والشاعر معين بسيسو خلال مؤتمر تمهيدي لعقد المجلس الوطني بعد كامب ديفيد في طرابلس في ليبيا عام 1979

المرحلة السادسة 1982 – 2000

غادر جورج حبش مع أعضاء منظمة التحرير و عرفات لبنان، لكنه لم يتوجه إلى تونس بل إلى سوريا لاقتناعه بضرورة استمرار النضال ضد المحتلين الصهاينة، انطلاقا من دولة في الخط الأول للمواجهة، مهما تكن التحديات، و لقد انتقل حبش من مدينة طرطوس، و توجه إلى مدينة دمشق، التي أصبحت مكان إقامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خلال سنوات الثمانينات، و خلال هذه الفترة شارك جورج حبش بنشاط كبير في اجتماعات **المجلس الوطني الفلسطيني**، التي انعقدت في الجزائر سنة **1983** ثم في **1987** و في **1988**، حيث كان يدعو إلى استمرار المقاومة، و خلال هذه الفترة حاولت المخابرات الصهيونية **بمحاولة اختطاف طائرة كانت تربط بين طرابلس الليبية و دمشق** كان سيمتطيها جورج حبش، لكنه ألغى حجزه في آخر لحظة. وخلال حرب الخليج الثانية سنة 1990 أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن دعمها لصدام حسين، وذلك قبل بداية العمليات العسكرية الأمريكية، ثم غادر دمشق متوجها إلى عمان حيث سيشارك في المؤتمر الشعبي المساند للعراق.

و خلال سنة 1992، تدهورت الحالة الصحية لجورج حبش فتوجه إلى فرنسا بعد الحصول على موافقة الحكومة الفرنسية، لكن زيارته لفرنسا ستتحول إلى مواجهة مع الآلاف من أنصار إسرائيل اللذين تظاهروا داخل ساحة المستشفى حيث كان يعالج، يطالبون باعتقاله، لكن الحكومة الفرنسية تراجعت عن ذلك تحت ضغط بعض الحكومات العربية من بينها الجزائر التي أرسلت طائرة رئاسية لنقله خارج فرنسا، و كانت زوجة جورج حبش هيلدا قد أبانت عن شجاعة منقطعة النظير في حماية زوجها من المحققين الفرنسيين.

خلال هذه الفترة، عارضت الجبهة الشعبية بقيادة حبش المشاركة غير المباشرة لمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر السلام بمدريد وفي مفاوضات واشنطن السرية التي جرت بين منظمة التحرير و إسرائيل، و التي أدت إلى اتفاق أوسلو 1993 و خلق ما سمي بالسلطة الفلسطينية و عودة عرفات إلى فلسطين، و فتحت الباب لاتفاق السلام بين الأردن و إسرائيل سنة 1994. لقد انبنى موقف حبش على قناعته بأن هذه الاتفاقات لا تضمن حتى الحقوق الفلسطينية الدنيا، و لا حق العودة اللاجئين الفلسطينيين أو حق تشكيل دولة ذات

سيادة و لا حق حماية الأرض ضد الاستيطان، لقد ربط حبش عودته إلى فلسطين بعودة اللاجئين إليها. و من عمان عاد إلى دمشق، حيث قضى ما تبقى من سنوات التسعين ثم استقال من منصبه ككاتب عام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين سنة 2000.

المرحلة السابعة 2000 – 2008

بعد الاستقالة، استمر جورج حبش في نشاطه الوطني خاصة بعد انطلاق الانتفاضة الثانية سنة 2000، و قد خصص السنوات الأخيرة من حياته لتأسيس مركز الغد للدراسات الاستراتيجية، و دعا باستمرار إلى الفهم الكامل لأسباب فشل العرب في مواجهة المشروع الصهيوني، و نشر العديد من الدراسات السياسية و الفكرية خلال هذه الحقبة من بينها الوثائق الأساسية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و قرارات مؤتمراتها ، ثم كتاب **"الثوريون لا يموتون"** سنة **2008** و ظهرت نسخته العربية سنة **2009**، و الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية اعتمدت على 100 ساعة من حوارات أنجزها **الصحافي الفرنسي جورج مال برونو**. و استمر جورج حبش في إقامته بدمشق إلى حدود 2007 تخللتها زيارات إلى الأردن لزيارة ابنتيه و أحفاده، و **توفي** جورج حبش نتيجة **أزمة قلبية** في عمان يوم **26 يناير 2008**، و دفن هناك.

لقد كان جورج حبش مناضلا كبيرا يعترف مناصروه كما خصومه بقوة شخصيته كقائد حازم وغير قابل للارتشاء، أبان عن صبر عنيد في المواجهة مع العدو، خصص حياته كلها لوطنه فلسطين.

عندما سئل جورج حبش هل هو غيفارا الشرق الأوسط، أجاب بأنه يفضل أن يكون ماو تسي تونغ الجماهير العربية.

وراء العدو في كل مكان

الرفيق وديع حداد (أبو هاني)

(حكاية الثائر الاستثنائي الذي هز العالم)

ولد الشهيد وديع حداد سنة 1928 بمدينة صفد الفلسطينية، و قد لقب بالثائر الاستثنائي، و عرف بشعاره الخالد "وراء العدو في كل مكان"، و قد قال عنه سماح إدريس رئيس تحرير مجلة "الآداب" في ذكرى استشهاده 39:

"قلما جاد التاريخ علينا بشخص يجمع بين التفاني و الذكاء و الاختراع و ملكة القيادة، وديع حداد واحد من هذه القلة القليلة، التي تمر في التاريخ خطفا، لكنها تترك في الدنيا "دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر" كما قال المتنبي، درس الطب ككثيرين، لكنه تخصص في علاج القضية".

كان والد حداد مدرسا للغة العربية في إحدى المدارس الثانوية في حيفا، تلقى وديع تعليمه الابتدائي و الإعدادي و الثانوي، و يحكى أنه كان يتميز بذكاء متقد، و بنشاطات متميزة، و قد كان متفوقا في الرياضيات و ممارسا للرياضة خاصة رياضة الجري. عندما حلت النكبة بالشعب الفلسطيني اضطر وديع حداد كالعديد من أبناء جيله إلى الهجرة فلجأ مع أسرته إلى بيروت حيث تابع دراسته في الطب بالجامعة الأمريكية

ببيروت، و هناك تعرف على رفيق دربه **جورج حبش** الملقب **بالحكيم**، و عندما تأسست **جمعية العروة الوثقى** (جمعية ضمت مجموعة من الطلبة العرب القوميين)، التي ساهم جورج حبش في تأسيسها، كان وديع حداد أحد قياديها، و ساهم وديع كذلك في تأسيس **حركة القوميين العرب**، و من بعدها **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين**، حيث تحمل مسؤولية المالية و كذلك **العمل العسكري الخارجي**، و من خلال هذا التنظيم الخارجي قام أبو هاني (لقب وديع حداد) بتشكيل العديد من الخلايا عبر العالم.

وديع حداد في ثياب التخرج 1952

لقد استطاع وديع حداد أن يحول سماء العالم إلى ساحة معركة عالمية، اخترق بها حجب الضباب الكثيف الذي كان يلف القضية الفلسطينية خاصة_لدى الرأي العام الغربي، هكذا رفرفت الراية الفلسطينية فوق بلدان العالم معلنة الولادة الجديدة للثورة الفلسطينية، التي ساهم وديع حداد في إطلاق شرارتها. لقد كان الشهيد القائد أبو هاني، الثائر الاستثنائي، أول فلسطيني قام بتدويل القضية الفلسطينية عبر العمليات الكثيرة التي خطط لها و نظمها و قام بتنفيذها بمساعدة رفاقه و رفيقاته عبر العالم. لقد أعطى الشهيد وديع حداد بعدا أمميا للثورة الفلسطينية. هكذا تحرك جيش من المناضلين و المناضلات عبر العالم يحملون هم القضية الفلسطينية و يدافعون عنها باستماتة حتى الشهادة.

و رغم قوة التكنولوجيا الأمنية الإمبريالية و الصهيونية استطاع هذا **الثائر الاستثنائي** أن يخترق كل الحدود و المطارات. لقد وصفت المخابرات الصهيونية و كيانها المحتل هذا العبقري الفريد من نوعه ب **"الإرهابي المتمرس و المتعدد المواهب"**، و بالفعل انطلقت عمليات خطف الطائرات منذ 1968، عندما قامت مجموعة فلسطينية بتحويل مسار طائرة **العال** و احتجاز الرهائن و المطالبة بإطلاق الأسرى الفلسطينيين، و خضع الكيان الصهيوني للثوار بإطلاقه مجموعة من الأسرى الفلسطينيين مقابل الرهائن. من أشهر

عمليات خطف الطائرات، خطف الطائرة الألمانية **لاند سهوت** و كذلك عملية **مطار اللد** (بن غريون حاليا بالقرب من تل أبيب) في 30 ماي 1972 التي خطط لها وديع حداد و نفذتها مجموعة من **منظمة الجيش الأحمر الياباني** بقيادة **أوكا موطو** مسلحين ببنادق هجومية و قنابل يدوية، و أسفرت عن **مقتل 26 صهيوني** واستشهد اثنان من عناصر الجيش الأحمر الياباني و 80 جريحا (عملية مطار اللد هي هجوم نفذه ثلاثة أعضاء من منظمة الجيش الأحمر الياباني بالتعاون مع **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، العمليات الخارجية)** و منفذو العملية هم **كوزو أوكا موتو** و **سويوشي اوكو دايرا** و **ياسويوكي ياسودا**، و **مخطط العملية** كان **وديع حداد** و بمساعدة **أوكا موتو**.

صورة من المؤتمر الصحفي الذي عقده الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القاهرة لشرح تفاصيل حادث اختطاف الطائرة .

لقد كان هذا العقل المبدع يتوفر على تجربة و خبرات في مجال العمل الثوري، فمنذ التحاقه بحركة القوميين العرب في الخمسينات، حيث أصبح مسؤول النشاط العسكري داخلها، و بعد تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نقل معه خبراته، و قام بتأسيس ما سمي ب "**العمليات الخارجية للجبهة**"، حيث سيعرف أبو هاني بذلك الشعار الخالد "**وراء العدو في كل مكان**"، و لما جاء المؤتمر الثالث للجبهة الشعبية و قرر توقيف عمليات خطف الطائرات، و تم طرد وديع حداد من الجبهة، قام بتأسيس تنظيم جديد تحت اسم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – العمليات الخارجية، و استمر في عملياته إلى أن استشهد في 28 مارس 1978 بألمانيا الشرقية.

لقد كان وديع حداد **مناضلا أمميا** بامتياز، و ساهم في تدريب و تكوين منظمات عالمية من بينها منظمة **الجيش الأحمر الياباني**، و استقطب قادة **الجيش الأحمر الألماني** إلى مراكز تدريب الجبهة الشعبية، و من بينهم **اندرياس بادر** و **أولرايك ماينهوف**، و استقبل كذلك المقاتل الكولومبي الشهير **كارلوس**، و ربط علاقات قوية مع **حركات التحرر الوطني** في أمريكا اللاتينية خاصة مع **الجبهة السندينية للتحرير الوطني**.

لقد كان وديع حداد، المناضل الاستثنائي **أستاذا في فن العمليات الخاصة** و معلما فذا لجيل كامل من المناضلين الأمميين الثوريين، الذين رأوا في العنف الثوري طريقا للتحرر من الرأسمالية و الاستعمار، و قد كان كذلك ملهما لحركات سياسية كثيرة، اعتنقت مبادئ العنف الثوري لمواجهة الاستبداد و عنف السلطات، و كذلك بالنسبة لمناضلين كانوا يميزون بين العنف الثوري و الإرهاب أمثال **محمد بودية** و **كمال خيربك** و **فؤاد عوض** و **باسل الكبيسي** و **جايل العرجة** و **أنيس النقاش** و **فايز جابر** و غيرهم كثير، و امتدت علاقته من اليابان إلى أمريكا اللاتينية. و من المعروف أن **جلال الطلباني** الذي كان قد أصبح رئيسا للعراق كان أحد رجاله، و كان يكلفه بجمع المعلومات بأوروبا و إرسال الرسائل إلى خلاياه المنتشرة في عدد من جهات العالم، و حينما أسس وديع حداد "**الجهاز الخاص**" في إقليم فلسطين التابع لحركة القوميين العرب اختار لمعاونته كلا من **فايز جابر**، **صبحي التميمي**، و هما مؤسسا "**أبطال العودة**" سنة 1966، التي انضمت إلى الجبهة الشعبية قبيل التأسيس سنة 1967، و **الجهاز الخاص** هو **الأب الشرعي للمجال الخارجي** الذي ظهر في إطار الجبهة الشعبية سنة 1968، و ذلك تطبيقا لشعار "**مطاردة العدو في كل مكان**".

وديع حداد خلال تواجده في الأردن قبل "أيلول الأسود"

لقد رأينا كيف دشن هذا الجهاز عملياته باختطاف طائرة العال، المتجهة من روما إلى تل أبيب و الهبوط بها في مطار الجزائر، و تبقى أكثر العمليات الخاصة إثارة، هي **عملية تحرير جورج حبش من سجن الشيخ حسن في دمشق**، و هي العملية التي خططها أبو هاني و نفذها في قلب دمشق في 5 نونبر 1968، و شارك في تنفيذها كل من **أحمد جنداوي** و **محمد سعيد** (أبو أمل) و **محمود الألوسي** (أبو حنفي) و **جبريل نوفل** (أبو رأفت) و **فايز قدورة** و **زكي هلو** و **وداد قمري** و آخرون. و تمكن هؤلاء جميعا بقيادة وديع حداد من تحرير جورج حبش من سيارة الشرطة العسكرية كانت تنقله من المحكمة إلى السجن.

لقد كان وديع حداد **صديقا** و **رفيقا حميما** لجورج حبش منذ أن تعرف عليه في الجامعة الأمريكية ببيروت، و بعد تخرجهما قاما بافتتاح **مصحة** في عمان، حيث كانا يعالجان مرضاهما من فلسطينيي المخيمات في الأردن مجانا، كما عملا معا سنة 1956 مع أطباء الأونوروا، و في سنة 1957 اعتقل وديع حداد من طرف البوليس الأردني بتهمة العمل السياسي، لكن في سنة 1961 استطاع الهروب من السجن و الدخول إلى سوريا.

و عندما احتد الخلاف حول عمليات خطف الطائرات داخل الجبهة الشعبية، و قام مجموعة من المناضلين بمهاجمة وديع حداد من بينهم أحمد اليماني و صلاح صلاح و وليد قدورة، و تم اتخاذ القرار بتوقيف العمليات، تم طرد وديع حداد من الجبهة الشعبية، إلا أن **المؤتمر الخامس للجبهة أعاد الاعتبار لوديع حداد معتبرا إياه "رمزا وطنيا و فلسطينيا فذا قدم كل شيء في سبيل فلسطين التي حلم و عمل دائما من أجل الوصول إليها بأقرب الآجال و أقصر الطرق"**، و تم إعادة اعتبار التنظيم له، و كما يقال، **في الليلة الظلماء يفتقد البدر سيصبح قبر الشهيد أبو هاني محجا للمناضلين و المناضلات، اللذين اشتاقوا إلى روح الثورة و ينبوعها**. لقد قام وديع حداد بعد طرده من الجبهة بتأسيس مجموعة "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – العمليات الخارجية".

و يقول صقر أبو فخر في مقاله وديع حداد في مجلة "الهدف" لسان حال الجبهة الشعبية، التي أسسها الشهيد غسان كنفاني:

"مهما يكن الأمر، و بعد خلاف مع جورج حبش على خطف الطائرات التقى الاثنان في بغداد سنة 1976، و هو لقاء اختلطت فيه الدموع بالكلام، و بفيض من المحبة الجارفة، لم يمهله سرطان الدم، الذي بدأت عوارضه تظهر عليه في أواخر 1977، فنقل إلى ألمانيا الشرقية في 1 مارس 1978 و توفي فيها في 28 مارس 1978 و دفن في بغداد في 1 أبريل 1978، و أقيمت له جنازة مهيبة تليق بمستواه النضالي، و تحت شعار الجبهة كتب على شاهد قبره:

أبو هاني

الدكتور وديع إلياس حداد

فلسطين – صفد

1928 – 1978

مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أنا لم أمت، أنا لم أزل

أدعوك من خلف الجراح

(هذا البيت الشعري مأخوذ من قصيدة "المعركة" لمعين بسيسو، و ضعه جورج حبش على شاهد قبر الشهيد وديع حداد)

الصورة، جورج حبش خلال جنازة وديع حداد في بغداد

قصيدة المعركة لمعين بسيسو الشاعر الشيوعي الفلسطيني، شاعر غزة

قصيدة المعركة

معين بسيسو

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

و انظر إلى شفتي أطبقتا على هوج الرياح

أنا لم أمت! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح

واقرع طبولك يستجب لك كل شعبك للقتال

يا أيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال

يا أيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال

و لتحملوا المركان تقذفه لنا حمم الجبال

هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة

هذا هو اليوم الذي حددته لنا الحياة

للثورة الكبرى على الغيلان أعداء الحياة

فإذا سقطنا يا رفيقي في جحيم المعوكة

فإذا سقطنا يا رفيقي في جحيم المعوكة

انظر تجد علما يرفرف فوق نار المعوكة

ما زال يحمله رفاقك يا رفيق المعوكة

ما زال يحمله رفاقك يا رفيق المعوكة

الشـهيد

الرفيق أبو علي مصطفى

ولد مصطفى علي العلي الزبري الشهير **بأبو علي مصطفى** في بلدة عرابة في محافظة جنين يوم 14 ماي 1938، وكان والده مزارعا في البلدة بعد أن عمل في سكة حديد و ميناء حيفا، و هو أحد المشاركين في الثورة الفلسطينية 1936، و قد كان أبو علي متزوجا و له خمسة أبناء و الشقيق الأكبر لتيسير الزبري أحد قادة الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين.

درس أبو علي المرحلة الأولى في بلدته عرابة، ثم انتقل بعد ذلك مع أسرته إلى عمان بالأردن سنة 1950، حيث بدأ حياته العملية و أكمل دراسته بها، و خضع أبو علي مصطفى لدورة عسكرية لتخريج ضباط فدائيين في مدرسة "**أنشاص**" المصرية 1965 قبل أن يفتتح عمله النضالي. زاول أبو علي مجموعة من الأعمال من بينها عمل في منجرة و محل للزجاج و في مصنع للكرتون و أعمال أخرى متعددة و بسيطة، و قد ساهم انتماؤه هذا للفقراء و الطبقة العاملة إسهاما عميقا في تكوين فكره و شخصيته و سلوكه و أعطاه إحساسا قويا بقضايا الكادحين.

التحق أبو علي في سن 17 من عمره بحركة القوميين العرب، التي أسسها جورج حبش سنة 1955، و اعتقل بعد عامين عندما أعلنت في الأردن الأحكام العرفية و تم حل الأحزاب السياسية فحوكم أمام محكمة عسكرية، فقضى في سجن "**الجفر**" بصحراء الأردن خمس سنوات،

و في سنة 1963 تعرف على رفيقة دربه في الكفاح **أم هاني** و كان ذلك بعد الإفراج عنه مباشرة، فتزوجها في **يوم 23 يوليوز 1964**، محبة منه للزعيم **جمال عبد الناصر**، و بعد الزواج، انتقل أبو علي و أسرته إلى مدينة جنين و سكن في الحارة الشرقية و افتتح محلا تجاريا للمواد الزراعية، ثم حوله إلى مطعم شعبي للفول و الحمص و الفلافل،

و قد ظل أبو علي مصطفى منحازا **للخط القومي** للجبهة الشعبية، و اتخذ مواقف مناوئة للمجموعة اليسارية المنشقة عن الجبهة الشعبية بقيادة **نايف حواتمة**، التي انشقت سنة **1969** ، و نتج عن ذلك تأسيس "**الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين**"، و بعد إنهاء دورته التدريبية في "**أنشاص**" سنة 1965 عاد أبو علي إلى جنين لقيادة العمل في حركة القوميين العرب للمنطقة الشمالية للضفة الغربية حتى أعيد اعتقاله **1966** و ذلك بعد أحداث **معركة السموع** جنوب مدينة الخليل، و بقي في السجن عدة أشهر قبل أن يطلق سراحه بعد هزيمة يونيو **1967**. و قاد أبو علي الدوريات الأولى نحو الوطن المحتل عبر **نهر الأردن**، و عمل أبو علي كذلك على تهريب السلاح إلى الداخل و إعادة بناء التنظيم و نشر الخلايا العسكرية و تنسيق النشاطات ما بين الضفة و القطاع، و كان ملاحقا من طرف سلطات الاحتلال، و اختفى مدة في الضفة عند بدايات تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و تولى مسؤولية الداخل في قيادة الجبهة ثم المسؤول العسكري لقواتها بالأردن إلى سنة 1971.

و كان أبو علي، و هو القائد العسكري للجبهة الشعبية أثناء معارك المقاومة في سنواتها الأولى ضد الاحتلال، قد شارك في **"معركة الكرامة" سنة 1968**، و كذلك خلال مواجهات **جرش** و **عجلون** ضد الجيش الأردني في **أيلول الأسود سنة 1970**، ثم غادر الأردن سرا إلى لبنان سنة **1971**، و شارك أبو علي في مقاومة **الاجتياح الصهيوني للبنان**، و خرج مع عناصر المقاومة الفلسطينية إلى **سوريا**، و ترأس وفد الجبهة الشعبية في حوارها مع حركة التحرير الوطني فتح في **عدن** و **الجزائر** سنة 1984، و في **بلغاريا** سنة **1987**، و أصبح عضوا بالمجلس المركزي و عضوا باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بين عامي **1987** و **1991**.

في سنة 1967، شارك أبو علي مع **جورج حبش** وآخرون في **تأسيس** الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و خلال **ثلاثة عقود** كان **نائبا للأمين العام** ثم **أمينا عاما** في **سنة 2000** بعدما **استقال** حبش، الذي كان رفيق دربه على مدى **45** سنة.

القائد الشهيد أبو علي ومناضلي الجيش الأحمر الياباني قبل عملية اللد

انتخب أبو علي مصطفى عضوا باللجنة المركزية بالجبهة سنة 1969، و عضوا بالقيادة اليومية سنة 1970، و في المؤتمر الوطني السادس سنة 2000، انتخب أمينا عاما للجبهة الشعبية، و ظل كذلك إلى حدود استشهاده سنة 2001.

لم تكن المحاولة التي تم فيها اغتياله هي **الأولى** من نوعها، فقد تعرض للعديد من المحاولات كان أبرزها في منطقة الكولا ببيروت، حيث كان يسكن في بناية من 12 طابقا، و قد تم ركن **سيارة مفخخة بالمتفجرات** أسفل البناية، لكن يقظة جهازه الأمني جعلته يكشف أمرها، و مرة أخرى، و في منطقة **الأغوار** بالأردن تعرضت سيارته لقصف مدفعي كبير، و ظن الجميع أن أبو علي قد

استشهد، لكنه تمكن من **إلقاء نفسه** خارج السيارة و **الاختباء** بمزارع الموز المجاورة حتى زال الخطر، و بعد عقد **اتفاق أسلو** بين منظمة التحرير و الكيان الصهيوني سنة **1993** قرر أبو علي **العودة إلى الضفة**، رغم الرفض و المعارضة الشديدة لعدد من رفاقه، و قد سمح له بالعودة سنة **1996**، و حصل على **الرقم الوطني بصفته مواطنا فلسطينيا من بلدة عرابة**.

و عند جسر **العودة** (جسر يربط الأردن بفلسطين)أطلق مقولته الشهيرة "**عدنا لنقاوم لا لنساوم**"، و بالفعل، لم يستكن أبو علي و لم يهدأ، و اتهمه الكيان الصهيوني بالمسؤولية عن عدد من عمليات التفجير في القدس و تل أبيب، و بالقرب من مطار اللد، خلال سنتي 2000 و 2001، و في **27 غشت 2001** اغتالته الطائرات الحربية الصهيونية **بقصف مكتبه** في **رام الله**، و بعد استشهاده و الجنازة المهيبة التي أقيمت له في رام الله، أخذ مكانه **أحمد سعدات (أبو غسان)**، الذي لم يتردد في الثأر له و ذلك باغتيال الوزير الصهيوني **رحبعام زئيفي في 17 أكتوبر2001**.

لنقاوم على
الثوابت
لا لنساوم
قمر الشهداء
أبو علي
مصطفى

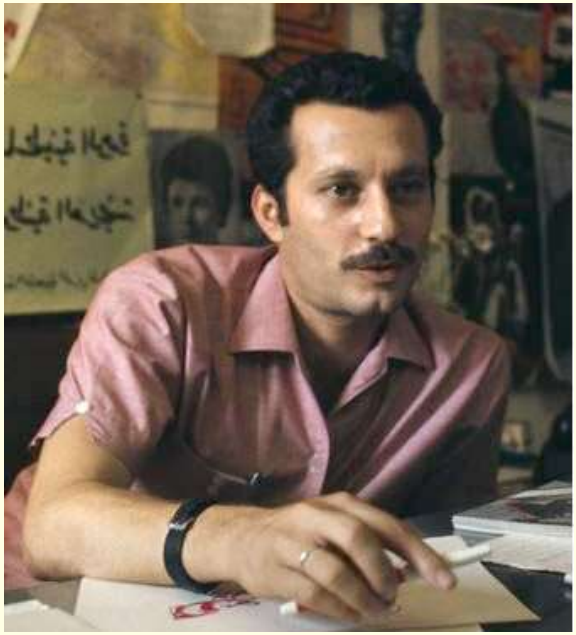

الشـهـيد غسان كنفاني

المثقف العضوي للشعب الفلسطيني

- قد يرغمني العدو على الهزيمة، و لكنه لن يرغمني على الضحك.

- الهرب لا ينجيك من قدرك، واجه بكل قوة ما يعترضك و ما ينتظرك، لكن إياك و الهرب فهو يقصر العمر و يجعلك في خوف دائم. - ليس مهما أن يموت الإنسان قبل أن يحقق فكرته النبيلة، بل المهم أن يجد لنفسه فكرة نبيلة قبل أن يموت.

- أموت و سلاحي بيدي لا أن أحيى و سلاحي بيد عدوي.

- احذروا الموت الطبيعي، و لا تموتوا إلا بين زخات الرصاص.

- ليس مهما أن يموت الإنسان قبل أن يحقق فكرته النبيلة، بل المهم أن يجد لنفسه فكرة نبيلة قبل أن يموت.

- خلقت أكتاف الرجال لحمل البنادق، فإما عظماء فوق الأرض أو عظاما في جوفها. ــ من أقوال غسان كنفاني ــ

فتى، وأي فتى قتلوا، إنه الشهيد غسان كنفاني، الذي في كل ذكرى استشهاده **تتجدد ولادته** في مستقبل شعوب ما زالت في الطريق إلى حريتها، وعلى رأسها الشعب الفلسطيني. تميز غسان **بفرادته**، ليس لكونه **كاتب قصة** و **روائي** و **ناقد** فقط، لقد استطاع غسان أن يستجيب للتجربة

الجماعية من خلال تاريخه و تجربته الشخصية، بل إن غسان امتلك منظورا سياسيا و نضاليا مكنه من **تمثل** تجارب شعوب مختلفة في القرن 20، ضمن ظروف تاريخية و سياسية و اقتصادية مروعة.

لم يعش غسان أكثر من **36** سنة، ولم يمارس الكتابة لأكثر من **16** عاما، لو أنه مارسها ل **40** سنة أخرى بتراكمات الوعي و الثقافة و المعرفة و التجربة، **أين أمكن له أن يصل**، و هو الذي له القدرة الكبيرة على التجدد؟ لذلك عندما اتخذ الكيان الصهيوني قرار اغتيال هذا الرجل، فقد كان حقا **أهم** و **أذكى** و **أنجح** القرارات التي اتخذها منذ تأسيسه.

في سنوات قليلة هي مدة حياته جمع هذا **المثقف العضوي**، كلا من **الروائي** و **القاص** و **المسرحي** و **الناقد** و **الصحفي** و **الرسام** و **الديزاينر** و **الحزبي** و **السياسي** و **العاشق** و **المناضل و الشهيد.**

كتب غسان في كل شيء، في **مفهوم الحرية في الأدب**، في **السياسة**، في **المجتمع**، في **الفكر**، **لقد أسس ثورته الخاصة في كل ذلك وأسس لثورات جمعية ستذكره كلما حلت ذكرى ولادته واستشهاده. هو المثقف الثوري والأديب الحداثي والناقد الساخر اللاذع.**

أنتج غسان أدبا متقدما بخطاب إنساني و ثوري واضح، و بقيمة فنية إبداعية لافتة على كل المستويات. يملك غسان كنفاني مقومات **الأديب الجماهيري**، إذ أدرك منذ باكورة أعماله الأدبية أهمية الجماهير عندما تتحرك الشعوب لانتزاع حقوقها و حريتها، من هذا المنطلق عمل غسان على توسيع قاعدة عمله الإبداعي، و رأى أن على المناضل ألا يقف عند نوع فني و أدبي واحد حتى يستطيع أن يؤثر على أكبر عدد من فئات الشعب. تنوعت إبداعاته لتشمل العديد من الفنون: **الصحافة**، **الرسم**، **التعليم**، و **الكتابة الأدبية**، من **القصة القصيرة** إلى **الرواية** و **المسرحية بحرية الأديب المجرب** و **انسيابية المبدع**، و قد تأثر كنفاني في أدبه بأدباء عالميين على رأسهم **لوركا وبريخت**. في كل أعماله لم

يوجد أي عمل لغسان **بدون مضمون سياسي** أو **رؤية ثورية**. هو كما يقول **محمود درويش "أحد النادرين اللذين أعطوا الحبر زخم الدم ... ونقل الحبر إلى مرتبة الشرف وأعطاه قيمة الدم"**.

ترك غسان وراءه سيرة كاتب مبدع خلد اسمه في سجل أفضل الروائيين، ليس في الساحة الفلسطينية فحسب بل العربية أيضا، إنه الموهبة التي لم تكتمل و المشروع الذي لم ينجز و إبداعات أخرى لم تكتب. كانت لعبقرية غسان الإبداعية أن تعطي ثمارها و أكلها و ترفد الساحة العربية بروايات و قصص و مسرحيات أخرى لو لم تكن يد الغدر اللئيمة لتخطفه في ريعان شبابه، لكن رغم الخسارة الفادحة إلا أن غسان كنفاني اسم يتوقف عنده المرء كثيرا، و يصمت تقديرا لروحه و قلمه و لنضاله، إنه **شهيد الكلمة**. قال عنه غنام غنام (مسرحي فلسطيني):

"75 عاما تفصلنا عن ميلاده و ثلاثون عاما تربطنا بيوم استشهاده، زرعت غسان فينا، و وزعت دمه علينا، و طرزت بحبره أوراقنا، ولونت برؤيته أحلامنا، و في كل عام يكبر غسان و يكبر السؤال، أي سر امتلكه هذا الغزال؟".

غسان كنفاني الكاتب، **يختار بحرية**، و **يفكك بحرية**، و **يعيد التركيب بحرية**، و **يناقض السائد من الأفكار بحرية**، و **يجعل الراسخ مشكوكا فيه**، و **تبقى الحرية هي الأمر الثابت الوحيد لديه**، كيف لا يعشق الحرية و هو **المنكوب** في أرضه **المتشبث** بتحرير وطنه.

في كل قصص غسان و رواياته كان الموضوع الفلسطيني بتفاصيله اليومية و التاريخية حاضرا و محركا لأبطاله و شخصياته، فيما كان في المسرح يعبر عن اتجاه إنساني عام، موغلا في الثوري المطلق مبتعدا عن الثوري الفلسطيني اليومي. و عن الحرية في المسرح يقول غسان:

"أنا لا أحكي عن الحرية التي لها مقابل ... أنا أحكي عن الحرية التي هي نفسها المقابل".

بعد أكثر من نصف قرن على رحيله ما زال غسان طاغي الحضور، حاضرا دائما ليذكر الناس بالأسئلة الأولى، أسئلة فلسطين التي **تهجاها سؤالا سؤالا**.

بدأ غسان رحلته في الكتابة من **شعوره الخانق بالعار**، و **من الندم الممزوج بالعجز**. وقد كان من اللذين **يتقنون العمل في أكثر من مهمة** و **على أكثر من جهة في وقت واحد**، إذ مارس الصحافة و مختلف أنواع الأدب، و فنان متعدد المواهب، و فوق ذلك كله هو مثقف ناقد رائد ذو رؤية ثاقبة عبر عنها في أقواله الشهيرة و الخالدة، هذا إضافة إلى نشاطه السياسي في المقاومة الفلسطينية، فقد كان قائدا سياسيا بارزا في المقاومة الفلسطينية، كل هذا الرصيد الهائل، كأنه كان له إحساس أن العمر قصير و لابد أن يسلك التكثيف لأعماله في الوقت القصير ذلك.

كان غسان رجل مواقف بدون منازع، و يمكن إبراز مواقفه من خلال أربعة قضايا:

أولها، أنه كان **السباق إلى استخدام تعبير "أدب المقاومة"** لوصف إنتاجات الأدباء الفلسطينيين في مناطق **48**، أي الأراضي التي أقامت عليها الحركة الصهيونية **"دولتها"** في ماي **1948**، اللذين كان العالم ينظر إليهم **نظرة سلبية** و **متوجسة**، و قد كان أهم كتاب له **"أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948–1968"**.

و كما يقول غسان:

"... فإن المثقفين الفلسطينيين في مناطق 48 تابعوا مسيرة أسلافهم، و قدموا في الفترة الممتدة بين 48 و 68، في ظل أقسى ظروف القمع، نموذجا تاريخيا لثقافة المقاومة بكل ما فيها من وعي و صمود و صلابة، و أهم من ذلك، بكل ما فيها من استمرار و تصاعد و عمق".

ثانيهما، أن غسان أحسن من درس ثورة 1936، و حلل أسباب هزيمتها، إذ رأى أن أحد الأسباب الرئيسية تتمثل في طبيعة قيادتها التي وصفها ب " **شبه الإقطاعية، شبه الدينية**".

ثالثهما، أن غسان كنفاني كان من أوائل المثقفين الفلسطينيين و العرب النقديين، اللذين **حللوا مسألة التطبيع الثقافي**، في الوقت الذي لم يطرحها المثقفون العرب إلا بعد اتفاقية كامب ديفيد بين مصر و الكيان الصهيوني سنة 1978.

كان غسان **شعبا في رجل**، كان **قضية** و كان **وطنا**، لم تعرف حياته الفصل بين القول و الفعل، فكان كاتبا ملتزما بقضايا شعبه الوطنية و القومية و الطبقية، و مناضلا سياسيا مدافعا عن حق شعبه الفلسطيني في الحرية و الاستقلال. كان مسكونا بالهاجس الفلسطيني بشكل عجيب، فقد عاش مأساة شعبه و حمل جراحه و آلامه و همومه في أعماق قلبه، فخرج من كل ذلك فن في غاية الجمال و الأصالة، جاء تجسيدا لواقع الشعب الفلسطيني العامر بالبؤس و الآلام و القهر الاجتماعي الذي يعيشه الفلسطيني المشرد و المطارد في المخيمات الفلسطينية في جميع أنحاء العالم.

غسان كنفاني، هو ذلك الكاتب الثوري، الذي يمقت الشعارات الجوفاء، الخالية من المضامين الثورية الحقيقية، **مهاجم شرس للانتهازية** و **الانتهازيين، يقاوم الوصوليين** و **النفعيين بكل شراسة**، و **يتصدى للمرتزقة** و **المرتدين** بلا هوادة، و لكل هذا أحبته الجماهير الشعبية الفلسطينية لأنه يتكلم باسمها، و هو يتمتع بكل هذه الصفات فقد حظي بكل تقدير من رفاقه و شعبه بمختلف تياراته السياسية و اتجاهاته الفكرية.

فلنتتبع مسار هذا الرجل الاستثنائي منذ ولادته إلى استشهاده؟

1) غسان كنفاني

الولادة و النشأة

ولد غسان كنفاني في **9 أبريل 1936** في وقت كانت فلسطين تحترق بنار الثورة الكبرى، و كانت سلطات الاحتلال قد شمرت على ساقيها لاجتثاث إرادة الشعب للتحرر، عاش في مدينة **يافا**، ثم اضطر والده إلى النزوح عنها مع أسرته تحت ضغط الاحتلال الصهيوني سنة **1940**، ثم أقام لفترة وجيزة مع أسرته في **جنوب لبنان**، ثم بعد ذلك انتقلت أسرته إلى **دمشق**، و قد عاش فيها حياة صعبة و قاسية، حيث عمل والده في مهنة المحاماة، و قد اختار أن يعمل في قضايا كان معظمها قضايا وطنية خاصة بالثورات التي كانت تحدث آنذاك في فلسطين، عمل أبوه في **النشاطات** و قد اعتقل لمرات عديدة، و قد تميز بكونه **شخصا عصاميا** و **ذو آراء متميزة**، الأمر الذي ترك آثارا عظيمة في شخصية غسان و حياته. كانت هذه المحطات المختلفة التي مر بها غسان و هو طفل من العناصر التي جعلته و هو رجل ناضج ذلك الرجل الثوري في كل شيء.

دخل غسان **روضة** الأستاذ **وديع سري** في مدينة يافا و قد كان وقتها في الثانية من عمره، بها تعلم اللغة الفرنسية و الانجليزية و العربية، ثم انتقل إلى **مدرسة الفرير** التي مكث فيها إلى غايةسنة **1948**، و بعدها أكمل المرحلة الإعدادية من تعلمه في مدرسة بدمشق المعروفة باسم **الكلية العلمية الوطنية**، ثم منها انتقل مباشرة إلى مدرسة **الثانوية التأهيلية** و بعدها التحق **بكلية الآداب** في **الجامعة السورية** سنة **1954**.

2) الحياة المهنية لغسان كنفاني

عمل غسان منذ شبابه في مجال النضال الوطني – و هل يمكنه ألا يكون إلا مناضلا- فقد عمل مدرسا للتربية الفنية في مدارس وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في دمشق، ثم انتقل بعدها إلى الكويت سنة 1965، إذ عمل هناك معلما **للرياضة** و **الرسم** في مدارس **الكويت الرسمية**، و كان خلال هذه الفترة يعمل أيضا في الصحافة، و بدأ إنتاجه و إبداعه الأدبي في نفس الفترة، انتقل سنة **1960** إلى **مدينة بيروت** حيث عمل هناك **محرر أأدبيا** في جريدة "**الحرية**" الأسبوعية، ثم في سنة **1963** أصبح **رئيس تحرير لجريدة "المحرر"**، كما عمل أيضا في كل من جريدة

"**الحوادث**" و "**الأنوار**" حتى سنة **1969**، فكل هذه الجرائد كان كاتبا أو محررا ثم أصبح **مؤسسا لصحيفة "الهدف" لسان حال** "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، و **ظل رئيس تحريرها لفترة من الزمن**.

3) الحياة الأدبية لغسان كنفاني

يعد غسان كنفاني نموذجا مثاليا للروائي و الكاتب السياسي و القاص و الناقد، فقد كان مبدعا معروفا في كتاباته، كما كان مبدعا في نضاله و حياته. حصل على عدة جوائز منها **جائزة "أصدقاء الكتاب"** عن روايته **"ما تبقى لكم" 1966**، و التي اعتبرت وقتها أفضل رواياته، كما حصل على **جائزة "منظمة الصحافيين العالمية" 1974**، و حصل على **جائزة "اللوتس"** منحه إياها **"اتحاد كتاب افريقيا وآسيا" سنة 1975**. **ترجمت معظم أعمال غسان الأدبية إلى17 لغة**.

غسان كنفاني الروائي يتمثل في تأليفه عدة روايات و قصص أشهرها:

عائد إلى حيفا: من أبرز الروايات في الأدب الفلسطيني المعاصر، و تعتبر من أدبيات المقاومة، قد تكون في نصها عملا أدبيا روائيا إلا أنها في نصها الإنساني تجربة عاشها غسان و عاشها كل فلسطيني، تجربة جرح وطن و عذاب إنسان عانى الظلم و التشرد إلا أنه دائما يحمل أمل العودة إلى ذلك الوطن الساكن في الوجدان، و يرسم غسان في هذه الرواية الوعي الجديد الذي بدأ يتبلور بعد نكبة 1948.

أرض البرتقال الحزين: حاول فيها تصوير الشخصية الفلسطينية أمام قدرها في الداخل الفلسطيني، كما تصور المجموعة القصصية حالة الفقد و التهجير مكان الوطن معتمدا على الواقع و الخيال.

عالم ليس لنا: أحد أشهر أعمال غسان كنفاني، و قد دارت هذه المجموعة القصصية، كما هي أغلب أعماله، حول قضية النضال الفلسطيني.

ما تبقى لكم: هي تجربة كنفاني الثانية في كتابة الرواية بعد "**رجال في الشمس**"، تعبر عن إرادة الخروج من الذات إلى الفعل، و من **الهموم الشخصية** إلى **الهم العام**. تتحدث الرواية عن أسرة فلسطينية نزحت إلى غزة من مدينة يافا بعد أن استولى الصهاينة على المدينة، و أدى هذا النزوح إلى تشتت الأسرة و تفتتها.

عن الرجال و البنادق: مجموعة قصصية يستلهم فيها كنفاني ككل إبداعه الأدبي مأساة الشعب الفلسطيني و عن كفاحه ضد المعتدي الصهيوني الذي احتل أرضه.

القميص المسروق: يناقش غسان كنفاني في القصة آلام الفلسطيني و الظلم الذي يواجهه تحت الاحتلال من خلال استعانته بالرموز تشير إلى أحداث النكبة و القضية الفلسطينية، و رسالته في هذه القصة تحذير الفلسطينيين من السرقة التي تتعرض لها أرضهم و المغريات التي قد توضع أمامهم لتسهيل هذه السرقة.

رجال في الشمس: الرواية الاولى لغسان كنفاني، تصف تأثيرات النكبة سنة 1948 على الشعب الفلسطيني، و هي تقدم الفلسطيني في صيغة اللاجئ.

أمسعد: امرأة كتب عنها كنفاني، و هي نموذج للأم الفلسطينية التي تؤمن بأنها جزء من صناعة التغيير، امرأة تفتخر بأنها تلد الأولاد ليصيروا فدائيين من أجل فلسطين، هي التي هجرت من أرضها فأدركت أن الرصاص هو طريق العودة الأوحد، و أن جرح الوطن غائر أكثر مما يمكن تصوره.

العاشق: أحد أشهر أعمال غسان كنفاني، تضم ثلاث روايات غير مكتملة النهاية، نشرت لأول مرة بعد اغتياله في مجلة شؤون فلسطينية، في قصة العاشق تشابك المصائر و عشوائية الحياة التي تسير في خطوط متعرجة، بحث في تأثير الصدف على حياة البشر، فيها يرسم غسان صورا للنسيج النضالي الذي يجسده المناضلون الفلسطينيون.

كانت تلك الأعمال إذن ترصد حياة الفلسطينيين في الخارج لينتقل بعدها إلى رصد الداخل. فمع متوالية السردية "**عن الرجال_والبنادق**"، أعاد طرح أسئلة المقاومة و الهوية، في إطار فني جديد، جعل الرواية قصصا قصيرة منفصلة و متصلة في الوقت نفسه. داخل تلك الروايات كانت شخصياته غارقة في الحوار مع الذات، و كأنها تريد أن تقول أن على الفلسطيني أن يسائل نفسه قبل الآخرين ليصل بها إلى المواجهة الكبرى مع العدو، و التي سيديرها في "**عائد إلى حيفا**".

و لكنفاني السبق في الأدب العربي في إظهار اليهودي كضحية للصهيونية، و هو أول من دعا "فتح" آن ظهورها في البدايات إلى النقاش، و يومها كتب مقالا بعنوان "**فتح مدعوة للنقاش**" متسائلا عن هوية المشروع الوطني الفلسطيني و علاقته بالخط القومي و عن الثورة الخ ... و هو أيضا أبرز من تساءل عما يكتبه الصهاينة، و كتابه "**في الأدب الصهيوني**" هو الأول عربيا في هذا الباب، حيث تتبع المشروع الصهيوني منذ كان فكرا حتى أضحى احتلالا استعماريا، و هو إلى ذلك، أول من كتب عن "**شعراء الأرض المحتلة**" فأحدث رجة في الشعر العربي الحديث، و أول من نشر رسومات **ناجي العلي**.

كنفاني هو أيضا كاتب تجربته الشخصية التي تماهت مع التجربة الجمعية إلى درجة يصعب فصل الواحدة عن الأخرى.

"كان غسان كاتبا ثوريا بارزا مسلحا بالفكر العلمي الاشتراكي ماقتا الشعارات الجوفاء الخالية من المضامين الثورية الحقيقية، مهاجما الانتهازية والانتهازيين، مقاوما الوصوليين و النفعيين، و متصديا للمرتزقة و المرتدين عن الخط الثوري اليساري، و لذلك أحبته الجماهير الشعبية الفلسطينية، و حظي بتقدير رفاقه و شعبه و تياراته السياسية و اتجاهاته الفكرية" (الكاتب و الأديب الفلسطيني شاكر فريد حسن).

يقول محمود درويش عن غسان كنفاني:

"لدى قراءة كنفاني اليوم نكتشف أولا ودائما، أنه في عمق وعيه كان يدرك أن الثقافة أصل من عدة أصول للسياسة، و أنه ما من مشروع سياسي دون مشروع ثقافي. لعل المسعى الأهم لبحوث كنفاني الأدبية هو ذلك المتمثل في ترسيخ أسس ولادة الفلسطيني الجديد لجهة التآني عن الإنسان المجرد و الفلسطيني المجرد، و الاقتراب من الإنسان الفلسطيني، الذي يعي أسباب نكبته و يدرك

أحوال العالم العربي، و يعرف أكثر الصهيوني الذي يواجهه، و هذه المهمة لا تستطيع أن تقوم بها إلا ثقافة بمفهومها النقدي، المتجاوز لما هو سائد، الذي يقطع مع القيم البالية".

إن عبقرية غسان كنفاني الإبداعية كان بإمكانها أن تعطي ثمارها و أكلها و ترفد الساحة العربية بروايات و قصص و مسرحيات أخرى لو لم تكن يد الغدر اللئيمة لتخطفه في ريعان شبابه ، و تترك وراءها سيرة كاتب مبدع خلد اسمه في سجل أفضل الروائيين، ليس في الساحة الفلسطينية فحسب، بل العربية أيضا، موهبة لم تكتمل، مشروع لم ينجز و إبداعات أخرى لم تكتب. لكن رغم الخسارة الفادحة إلا أن غسان كنفاني اسم يتوقف عنده المرء كثيرا وبصمت أمام أحد شهداء الكلمة تقديرا لروحه و لقلمه و لنضاله.

كما يقول ابراهيم نصر الله:

"لم يكن غسان كنفاني، الذي احتضن أدب المقاومة هذا بأدبه المقاوم و نقده المقاوم و دمه يسأل عن الدور الذي يمكن أن تلعبه نصوص محمود درويش و سميح القاسم و توفيق زياد و راشد حسن و حنا أبو حنا و سالم جبران و توفيق فياض ... فقد كان البشر يدركون هذا الدور و يؤمنون أن الثقافة خليقتهم، و يعرفون أن للكلمات ثمنا باهضا و **أن أعمار الشجعان أقصر من أعمار اللذين يبلعون ألسنتهم**".

لا يوجد شعب تم اغتيال هذه الأعداد من مبدعيه مثلما حدث مع الشعب الفلسطيني، لكنهم و إن غيبوهم جسديا فأثرهم باقي لا يمحى.

عندما تم اغتيال غسان كنفاني قالت حينها غولدا مايير "**بمقتل غسان تخلصنا من لواء فكري مسلح كان يشكل خطرا على إسرائيل أكثر من 1000 فدائي مسلح**"، في إشارة إلى عمق كلمته و قدرته على تحريك المشاعر و خلق حالة تعبئة نفسية بالكلمة وحدها.

لم يرحل غسان بالتأكيد، فاستمرار أثره جزء أساسي من صمود أي شعب و مقاومة أي شعب، فالشعوب التي لا تنتج مفكرين و ثورات على كل مستوى لا مستقبل لها و لأبنائها، و إن عاشت فإنها ستكون على الهامش.

يصر غسان كنفاني على قوة حضوره، ولماذا؟ هل لأن ما كتبه لا يتغير؟ أم أنه كتب ما تغير؟ مهما كان، فإن غسان يحضر فينا كل يوم في كل ذكرى استشهاده ليذكرنا بأسئلتنا الأولى، أسئلة فلسطين التي تهجاها سؤالا سؤالا.

"على مستوى الثقافة العربية، يمكن القول أن الشهيد غسان كنفاني هو واحد من تلك العبقريات التي عرفتها الثقافة الفلسطينية و العربية كلها، إذ يكفي قراءة قصة من قصصه ليجد القارئ لديه صلابة الموضوع و اختزال الفكرة و إشارتها لما هو أوسع منها.

لا حاجة إلى الاستدلال الأدبي طويلا لتأكيد أهمية كنفاني الفارقة، إذ ليس أمضى من اغتيال الصهاينة له إشارة إلى خطورته بوصفه أديبا ألمعيا، و فنانا و قلما حرا شغوفا بعدالة قضيته، إلى جانب نضاله السياسي تخلص قراءة فاحصة في أدبه إلى أن أهميته ليست في عدالة الموقف فقط، بل في فنيته أيضا، و هما متلازمان في أدب كنفاني. لقد اغتالت "إسرائيل" كاتبا نجما وهو في السادسة و الثلاثين من عمره، و كان ما يزال لديه الكثير ليكتبه و يقوله نيابة عن شعبه، خصوصا أنه امتلك ناصية الفن، و قد جاء من قلب الصنعة الفنية و التجربة العميقة، بهذا كان خطره على "إسرائيل" مثل البارود، فما قدمه للقضية الفلسطينية يضاهي ما قدمته جيوش عربية كاملة. إنه عبقرية وأدها الاحتلال" (سومر شحادة، روائي سوري).

"أحسب أن أحدا لم يمنح الكتابة ساعات يومه و وهج قلبه و خلاصة عقله كما فعل كنفاني، متألقا، متأنقا، جميلا، طيبا، ينبض بصرخات المعذبين و العشاق في آن واحد. فمن المستحيل أن تقرأ كنفاني و لا تفكر بفلسطين، و لا تفكر بحريتك الشخصية، و بتحرير بلدك، و تحرير عقلك" (الشهيد ناهض حتر مفكر أردني الذي تعرض للاغتيال في بلده الأردن).

و كما قالت **الديليستار** في نعيها لغسان: كان كنفاني **"المقاتل الذي لم يطلق رصاصة أبدا"**.

كان غسان كنفاني أمميا بامتياز يؤمن بشدة بالطابع العالمي للنضال ضد الإمبريالية، التي ألقت بجسدها على كل أنحاء العالم، كان اغتيال كنفاني جزءا من حملة عنف و قتل عالمية شنها الكيان الصهيوني بدعم كامل من الولايات المتحدة الأمريكية ضد حركة التحرير الفلسطينية و داعميها.

في أعقاب اغتيال كنفاني صرح الصحفي الإسرائيلي **أوريدان**، الذي كان مقربا من آرييل شارون إلى الدافع الوحشي وراء ذلك في صحيفة معاريف الإسرائيلية قائلا أن:

"على أعضاء "الجبهة" الفلسطينيين أن يفهموا بأن إسرائيل قادرة أن تضرب في أي مكان، و يجب أن يكون مقتل غسان بمثابة إنذار واضح بالنسبة لهم. يجب ألا يتم التعامل مع مقتل غسان على أنه حدث معزول، الآن، وأكثر من أي وقت مضى، على القيادة الفلسطينية أن تكون مستعدة لإرهاب شخصي. أثبت مقتل غسان بأن ذلك ممكنا، و أنه يمكن فعل ذلك بدون عوائق تذكر".

وفاة غسان كنفاني

استشهد غسان كنفاني في يوم السبت صباحا بتاريخ 8 – 7- 1972 بتفخيخ سيارته، و التي وضعت من قبل جهة معينة (بل معلومة) بهدف اغتياله، فتناثرت جثته و جثة ابنة أخته التي كان يحبها كثيرا أشلاء. و قد دفن في مقبرة شهداء فلسطين التي تقع بالقرب من مخيم شاتيلا للاجئين الفلسطينيين في العاصمة اللبنانية بيروت. لقد اغتال الصهاينة جسد غسان لكنهم لم يغتالوا الفكرة و القضية.

وقع اغتيال كنفاني خلال موجة عالمية من اغتيالات معادية للثورة، تزايدت في الستينات و استمرت حتى الثمانينات، بالتزامن مع سلسلة انتصارات معادية للاستعمار، أهمها في فيتنام و الجزائر.

خلد الشهيد غسان بعدة أقوال تحفظها أجيال تلو أجيال و بأقوال قيلت عنه نقتطف بعضها:

- قضية فلسطين هي قضية كل ثائر، أينما هو، قضية الجموع المضطهدة و المقموعة.

-أجرؤ على الاعتقاد بأن كتاباتي انطلقت دائما من الإيمان بأن الإنسان هو المسؤول عن مصيره، و هو القادر على اجتراحه أو تغييره، و في أحيان كثيرة قادر على إحراز شرف الموت في سبيله.
- قد يرغمني العدو على الهزيمة، و لكنه لن يرغمني على الضحك.

- الهرب لا ينجيك من قدرك، واجه بكل قوة ما يعترضك و ما ينتظرك، لكن إياك و الهرب فهو يقصر العمر و يجعلك في خوف دائم.

- إننا حين نقف مع الإنسان فذلك شيء لا علاقة له بالدم و اللحم و تذاكر الهوية و جوازات السفر.

- ليس مهما أن يموت الإنسان قبل أن يحقق فكرته النبيلة، بل المهم أن يجد لنفسه فكرة نبيلة قبل أن يموت.

- أموت و سلاحي بيدي لا أن أحيى و سلاحي بيد عدوي.

- احذروا الموت الطبيعي، و لا تموتوا إلا بين زخات الرصاص.

- خلقت أكتاف الرجال لحمل البنادق، فإما عظماء فوق الأرض أو عظاما في جوفها.

لا عذر لمن أدرك الفكرة و تخلى عنها.

"ليس المهم أن يموت أحدنا، المهم أن تستمروا".

يلخص حياة غسان كنفاني ما قاله رفيقه في النضال بالريشة:

"احنا بنطلع من فلسطين لكن فلسطين ما تطلع منا"

لم يحمل غسان بندقية فقد كان قلمه بندقية و اغتياله بتلك الطريقة المروعة تظهر أن القلم لا يقل إيلاما للعدو من البندقية بل هي تقوم بنفس التأثير على العدو، لقد شحذ غسان قلمه و لم يدعه في غمده و ما اغتياله و استشهاده إلا التعبير ما بعده التعبير على ما يجب أن يكون عليه المثقف الحقيقي.

الشهيد محمد محمود مصلح الأسود

غيفارا غزة

الثورة لا تظلم لكنها لا ترحم

"نحن نحكم غزة في النهار و غيفارا يحكمها في الليل "(من أقوال موشي ديان وزير الدفاع الصهيوني الشهير)

ولد **محمد محمود الأسود** الملقب **بغيفارا غزة** في مدينة **حيفا** سنة **1943**، و عندما حلت **النكبة** بالشعب الفلسطيني سنة **1948**، هاجرت أسرته إلى قطاع غزة، حيث استقر بها المطاف، و هناك تلقى تعليمه الابتدائي و الإعدادي و الثانوي في مدارسها. انضم محمد محمود الأسود إلى **"حركة القوميين العرب** و هو في سن العشرين، و من المعلوم، أن **"حركة القوميين العرب"** تأسست في

أعقاب نكبة 1948 بين **أوساط طلبة الجامعات في لبنان**، حيث رفعت شعار **الوحدة و التحرر** و **الثأر**، فالتحق بها الكثير من الفلسطينيين. **تماهت** الحركة مع **موجة الناصرية الصاعدة أواسط خمسينيات القرن 20** الشيء الذي كان له أثر مباشر على الحالة الثورية في فلسطين، **فالتحق** بها **محمد الأسود سنة 1963** ليصبح في وقت قصير، من أهم عناصر **التنظيم الذي كان ينشط في قطاع غزة.**

لقد كانت حركة القوميين العرب مجالا لنشاطه الفكري و التنظيمي فأصبح بذلك أحد أنشط عناصر التنظيم في قطاع غزة، و بعد **احتلال القطاع** من طرف جيش الاحتلال الصهيوني سنة **1967**، انتشرت أعمال المقاومة من طرف أبناء القطاع، اللذين سيلتحقون بالعمل الفدائي، و انتشرت أروع العمليات الفدائية الجريئة داخل مدن القطاع و مخيماته، و من بين أولئك الأبطال، ظهر محمد محمود الملقب **بغيفارا غزة بقامته المنتصبة** و هو في ريعان شبابه، و قد أوكلت إليه مهمة تنظيم خلايا حركة القوميين في غزة، و لما تحولت حركة القوميين العرب إلى تنظيم جديد يعرف **بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين** أصبح غيفارا غزة أحد أبرز قياداتها في قطاع غزة. لقد كان "**للنكسة**" في **يونيو 1967** أثر كبير على حركة القوميين العرب، الشيء الذي دفع بالحركة إلى إعادة ترتيب أوراقها، فاتخذ قرار حلها من طرف القادة و تأسيس تنظيم جديد هو "**الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين**"، التي أعلنت عن **انطلاقتها في 11 دجنبر 1967**، و قد تم اختيار **محمد الأسود** ليكون مسؤول مجموعة في مخيم الشاطئ بغزة، و بدأت العمليات العسكرية ضد قوات الاحتلال، التي كانت تستهدف **شرطة الاحتلال**، و قد كان غيفارا ينفذ بنفسه مجموعة من العمليات، الشيء الذي دفع بقوات الاحتلال بتنفيذ اعتقالات عشوائية و كان غيفارا أحد المعتقلين، و حسب رفاقه، و من بينهم رفيقته في العمل العسكري **فيروز عرفة**، التي أشارت إلى أنه تم الاتفاق على ألا يظهر محمد الأسود كشخصية معروفة، و تم اعتماد اسم **غيفارا** بدل اسمه الحقيقي. هكذا أخفت طبيعة العمل السري هوية غيفارا الحقيقية.

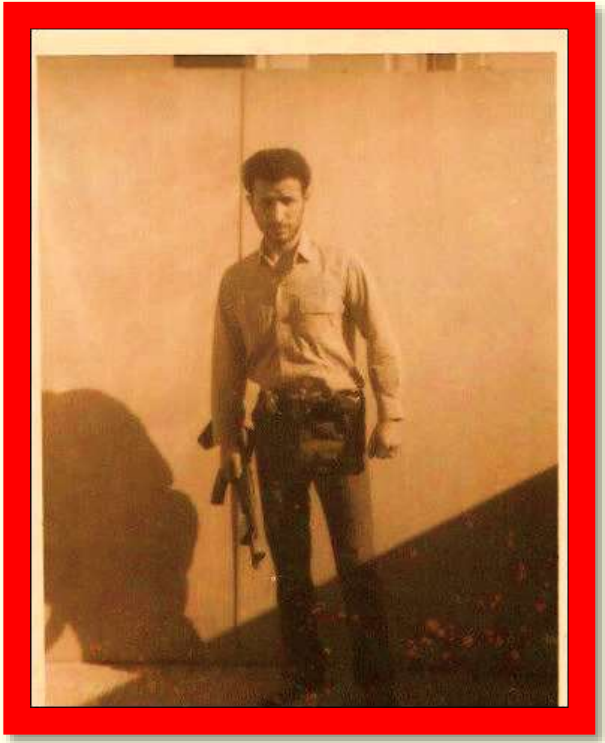

عندما تسلم غيفارا غزة العمل في غزة، بدأ في ضبط الأمور و تنظيم العمل المقاوم، و يقول رفيقه **جلال عزيزة**:

"كنا نجد صعوبات في نقل الأسلحة من خلال الشباب، فكنا نستعين بجيش من الفتيات"، و كانت زوجات المعتقلين ينقلون أسلحتهم إلى أماكن أخرى.

و أمام النجاحات العسكرية التي حققها غيفارا غزة و رفاقه و قدرته على الربط بين التنظيم السياسي و العسكري و إنشاء اللجان العمالية و النسائية و الاجتماعية، دفع هذا أجهزة المخابرات الصهيونية إلى تكثيف الملاحقات الاستخباراتية ضد أفراد الجبهة الشعبية و سعت إلى اختراق صفوفهم من خلال العملاء، و قد ألقي القبض على أحد العملاء، لكن تلك العملية كشفت محمد الأسود، الشيء الذي جعله يبدأ تجربته في العمل العسكري المطارد.

و سعيا وراء تدويخ قوات الاحتلال، عمل غيفارا غزة على إيهام الاحتلال بتوقف العمل المقاوم، و خذع سلطات الاحتلال بمغادرة القطاع، وذلك عبر تسجيل صوتي له، فانطلت الخدعة على وزير الأمن الصهيوني آنذاك **موشي دايان**، فأعلن بأن الحالة الثورية في غزة قد تم القضاء عليها، و قد سهل هذا الأمر عمل غيفارا، فقاد تفجير سلسلة من العمليات الفدائية كان من أبرزها **"يوم القنابل"**، حيث تم إطلاق **27 قنبلة في يوم واحد**، مما جعل قوات الاحتلال تشن حملات اعتقال واسعة في صفوف المقاومين، و قد حاول العدو معرفة من وراء هذا العمل العسكري المنظم.

لقد تعرض للاعتقال من قبل سلطات الاحتلال بتاريخ **15 يناير 1968** وظل في السجن لمدة **سنتين و نصف**، وقد تم إطلاق سراحه في شهر **يوليوز 1970**. و قد جعل منه نشاطه القوي أحد أبرز كوادر الجبهة الشعبية في غزة نتيجة لما كان يبذله من نشاط و انضباط عالي و جدي و تقديرا للمسؤولية و قدرته على الإبداع و المبادرة فأصبح نائب المسؤول العسكري، ثم تولى المسؤولية العسكرية بعد استشهاد رفيقه، و **سيتسلم قيادة العمل العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في غزة حتى تاريخ استشهاده**. و تميز نشاط غيفارا غزة بديناميكية لا تعرف اليأس و ربط بين التنظيم السياسي و العسكري و قام بإنشاء اللجان العمالية و النسائية و الاجتماعية و الاهتمام بأسر الشهداء، و انتشر اسم غيفارا غزة بين أبناء غزة حين تصدى لمؤامرات الاحتلال الصهيوني في تهجير سكان القطاع، منظما مظاهرات و إضرابات، كما عاقب العملاء و الخونة بعد أن حاكمهم محاكمة عادلة بعد تحذيرهم أكثر من مرة في عدم التمادي في الخيانة، و عرفت محاكم الثورة لدى محمد محمود بشعارها الشهير: "**الثورة لا تظلم لكنها لا ترحم**".

و أمام تزايد نشاط غيفارا غزة، شددت أجهزة الأمن الصهيونية مطاردتها للفدائيين، خاصة بعد وقوع عدة عمليات ناجحة في القطاع، و اضطر غيفارا إلى الاختباء متابعا نشاطه بحذر شديد، و كانت تنظيمات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تقض مضاجع المحتلين الصهاينة، و تستهدف في نفس الوقت المتعاونين مع سلطات الاحتلال، كما كانت تقوم بنسف خطوط السكك الحديدية و تفجير بعض المصانع و الهجوم على دوريات العدو و آلياته و جنوده.

و في الساعة الخامسة و النصف من فجر يوم 9 شتنبر 1973، داهمت قوات الاحتلال الصهيوني منزل الدكتور رشاد مسمار في حي الرمال بغزة، فاكتشفت وجود نفق يختفي في داخله ثلاثة فدائيين و جرت معركة بين هؤلاء الفدائيين و الجنود الصهاينة داخل المبنى انتهت باستشهاد الفدائيين الثلاثة، و تبين أن بينهم الشهيد القائد البطل محمد محمود مصلح الأسود و رفيقا دربه الشهيد كامل العنصي (25 سنة) و الشهيد عبد الهادي حايك (35 سنة) عضوا الجبهة الشعبية.

لقد فقدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باستشهاد غيفارا غزة أحد أصلب و أعند و أشجع مقاتل و قائد في صفوفها، كما فقدت غزة الأبية أحد أبنائها المخلصين، و أحد القادة الكبار اللذين انبثقوا من صلبها.

P.F.L.P.
الشهيد القائد /
محمد محمود الأسود
(جيفارا غزة)
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين
القائد العام لقواتها المقاتلة في غزة

الرفيقة شادية أبو غزالة

أول شهيدة فلسطينية بعد هزيمة 1967

إذا سقطت خذ مكاني رفيقي في النضال

ـ شعار كانت تردده الشهيدة باستمرار ـ

مع انبثاق الثورة الفلسطينية الحديثة في سياق عالمي انتشرت فيه قيم التحرر و الديموقراطية و الاشتراكية و المساواة بين الجنسين، و احتلال الثورة الفلسطينية موقعا طليعيا في الثورة العربية، و بروز المرأة الفلسطينية كمناضلة و مقاتلة طليعية إسوة برفاقها الرجال، انتشرت صور و أسماء نساء نبعن من قلب المخيمات الفلسطينية و من داخل قواعد الثوار، نساء حملن البندقية على أكتافهن و فجرن القنابل و وضعن الفخاخ للعدو و خطفن الطائرات حتى لقد أصبحن مضرب الأمثال وسط حركة التحرر الوطني العالمية، فشكلن قدوة للنضال لجيل من النساء عبر العالم، و لعبن أدوارا بارزة في حماية المطاردين من المقاومين، كما تحملن مهمات عسكرية و إعلامية في صفوف منظماتهن و نقلن الرسائل و كتبن المناشير بخط اليد و توزيعها بعد عمليات ضد الاحتلال.

عندما وقعت هزيمة يونيو 1967، و انتشر اليأس بين صفوف المناضلين و خرجت المقاومة من كبد المعاناة في مخيمات دول المحيط، و من داخل الضفة و القطاع، فارتفعت راية الثورة الفلسطينية و رفرفت عاليا، تفاجأ العالم بخروج جيل من النساء الفلسطينيات المناضلات و المقاتلات بشراسة للعدو الصهيوني.

قي سماء النضال الفلسطيني تلألأت نجمة اسمها **شادية أبو غزالة**، أول شهيدة فلسطينية بعد هزيمة يونيو 1967، **فمن تكون هذه النجمة الثورية الفلسطينية؟**

ولدت شادية أبو غزالة في مدينة نابلس سنة **1949**، تلقت تعليمها الابتدائي و الثانوي في مدارس نابلس، ثم التحقت بمصر لتدرس بإحدى جامعاتها بمدينة القاهرة، و هي جامعة عين شمس سنة 1966 تخصص علم اجتماع و علم النفس، لكن مقامها في مصر للدراسة توقف في سنته الثانية، حيث عادت أبو غزالة إلى نابلس بعد احتلال الضفة الغربية في حرب الأيام الستة سنة 1967، و هناك انضمت إلى فرع محلي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لتصبح واحدة من الأعضاء الأصليين بعد تأسيس المنظمة سنة 1967، و كانت قد انضمت في سنة **1962** إلى التنظيم الفلسطيني "**حركة القوميين العرب**" و ناضلت في صفوفه، و من هذه الحركة خرج تنظيم "**الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين**"، الذي التحقت به أبو غزالة و فيه تلقت تدريباتها العسكرية.

نظمت أبو غزالة و قادت **وحدات عسكرية نسائية**، و كانت واحدة من **أوائل النساء الفلسطينيات** اللواتي شاركن في المقاومة العسكرية بعد احتلال **1967** و قامت بتنفيذ عدة عمليات التفجير و الإغارة على مراكز قوات الاحتلال الصهيونية، و قد كرست حياتها، -و التي كانت قصيرة- بعمق للنضال السياسي و تعاملت معه كجزء لا يتجزأ من الثورة، و قد كانت لديها قناعة راسخة بالعمل الجماعي و المنظم، و **أكدت على دور الثقافة** و **السياسة** و **الاستراتيجية في توجيه الكفاح المسلح**.

استشهدت شادية أبو غزالة في مدينة نابلس أثناء إعدادها قنبلة متفجرة في **نونبر 1968**، و هي **أول شهيدة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين**، و قد أصبح اسمها راسخا و بشكل دائم في سجل التاريخ الفلسطيني **كمناضلة** و **قائدة نسائية رائدة** و **مناضلة في تاريخ الشعب**

الفلسطيني و شعوب العالم، لقد أظهرت ما يميز الثوري عن الإنسان العادي، و قد أعطى تاريخها النضالي و استشهادها الدليل على كون النساء كن دائما في طليعة المقاومة.

و قد فتحت شادية أبو غزالة الباب لكوكبة من النساء اللواتي ناضلن من أجل التحرر الفلسطيني الذي دام عقودا، كانت أبو غزالة تكرر دائما "إذا سقطت خذ مكاني رفيقي في النضال" تعبيرا عن استمرار المقاومة حتى النصر و التحرير.

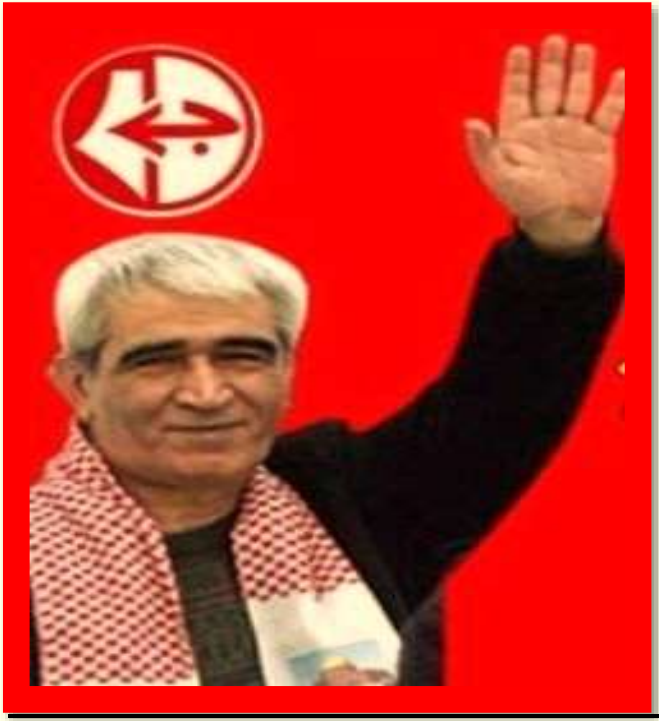

القائد الفلسطيني

أحمد سعدات

صاحب شعار

العين بالعين والسن بالسن والرأس بالرأس

"جوهر موقفي أنني أعتز بانتمائي للشعب الفلسطيني و حركته السياسية و الوطنية و مقاومته و نضاله العادل بتحقيق حقوقه الوطنية ... إن أي حكم تصدرونه بحقي تستطيعون تنفيذه لامتلاككم القوة لكنكم لن توقفوا نضالاتي إلى جانب أبناء شعبي"

(مداخلة أحمد سعدات أمام المحكمة التي أصدرت في حقه السجن لمدة 30 سنة)

الولادة و النشأة:

ولد **أحمد سعدات يوسف عبد الرسول** في 23 فبراير 1953 في بلدة دير طريف في **الرملة**، نزح مع أسرته إلى مدينة **البيرة** (رام الله) بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين سنة **1948**. إذن ترعرع سعدات في ظل الصراع بين الاحتلال الصهيوني و فلسطين، درس في **مدرسة الأمعري** التابعة **للأنروا** و **الهاشمية الثانوية**، حيث أتقن الرياضيات في **معهد المعلمين** برام الله ليتخرج بعدها سنة **1975**.

انضمام أحمد سعدات للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

التحق سعدات بصفوف العمل الوطني في إطار **العمل الطلابي** منذ نعومة أظافره بعد هزيمة يونيو **1967**، و في سنة 1969 **انضم لصفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين**، لقد برع في العمل الطلابي قبل أن يسطع نجمه في صفوف الجبهة. تم **انتخابه** عضوا في اللجنة المركزية العامة في المؤتمر الرابع للجبهة سنة **1981**، وكان يشغل في الوقت نفسه عضوا في لجنة فرع الضفة، و منذ سنة **1994** أصبح **مسؤولا عن فرع الضفة**، و في **المؤتمر الخامس** و **السادس** للجبهة اللذين عقدا سنة **1993** ثم سنة **2000** على التوالي **أعيد انتخابه** لعضوية اللجنة المركزية و المكتب السياسي. **انتخب أحمد سعدات أمينا عاما للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد اغتيال أبو علي مصطفى سنة 2001**، و يعتبر سعدات ثالث **أمين عام** للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد **المؤسس جورج حبش** و **القائد المغتال أبو علي مصطفى**. تحمل

سعدات واحدة من قرارات الجبهة التي أدى تبعاتها بالحكم عليه ب 30 سنة، بتصفية الوزير الصهيوني **رحبعام زئيفي** في القدس في **17 أكتوبر 2001** ردا على اغتيال الكيان الصهيوني للأمين العام للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى في مكتبه برام الله في غشت 2001.

تسلسل الاعتقالات و تواتر السجون

خبر أحمد سعدات الاعتقالات و السجون سواء من طرف الاحتلال الصهيوني أو من طرف السلطة الفلسطينية، فقد تم اعتقال سعدات مرارا و تكرارا من قبل قوات الاحتلال الصهيوني بسبب نشاطه في المقاومة و قيادته له.

تعرض أحمد سعدات لسلسلة من الاعتقالات و السجن لم تتوقف عبر عدة سنين، و ما زال في سجون الاحتلال إلى يومنا هذا، قد كان اعتقاله الأول في فبراير من سنة **1969**، حيث قضى ثلاثة أشهر في السجن، ثم أعيد اعتقاله سنة **1970** حيث قضى في السجن ثمانية أشهر، و أعيد اعتقاله سنة **1973**، و قضى في السجن عشرة أشهر، و بعدها في سنة **1975** قضى في السجن 45 يوما، و اعتقل سنة **1976** و سجن لمدة أربع سنوات، واعتقل في سنة **1985** و سجن لمدة سنتين و نصف، و بعد الانتفاضة الأولى تم اعتقاله **إداريا** لمدة تسعة أشهر سنة **1989**.

بدأت المطاردة الكثيفة لأحمد سعدات من قبل قوات الاحتلال، و لم يصرفوا العين عنه في سنة 1989 بعد خروجه من السجن، و استمرت حتى عام **1992** حيث تم اعتقاله إداريا لمدة 13 شهرا (الاعتقال الإداري هو اعتقال بدون محاكمة و هو قانون كان مطبقا من طرف سلطات الانتداب البريطاني و حافظت عليه سلطات الاحتلال الصهيوني).

بعد خروجه من السجن، استأنف الاحتلال الصهيوني مطاردته مما دفعه لمغادرة رام الله، التي كانت لا زالت تحت سيطرة قوات الاحتلال، و الانتقال للعيش في مدينة أريحا، و هي إحدى أوائل المدن الفلسطينية التي تم تسليمها للسلطة الفلسطينية في ذلك الوقت، و استمرت حملة الاعتقالات التي تعرض لها سعدات، حيث تم اعتقاله من قبل السلطات الصهيونية في مارس **2006**.

تم اتهام سعدات و رفاقه بتنفيذ اغتيالات بما في ذلك اغتيال الوزير **رحبعام زئيفي** و **العميد فؤاد الشوبكي**.

في 25 دجنبر **2008** صدر حكم بالسجن 30 عاما على أحمد سعدات من قبل محكمة الاحتلال، و خلال فترة اعتقاله عانى سعدات من **العزل الانفرادي** لمدة تجاوزت سنتين، و قد خاض عدة إضرابات عن الطعام احتجاجا على هذا العزل و ظروف الاعتقال.

في سنة **2011** تعرض سعدات لمحاولة قتل عن طريق **وضع أفعى داخل زنزانته**، و رغم فشل المحاولة استمر سعدات في تحمل ظروف الاعتقال و السجن الصعبة، و لم يكتف بإضرابات فردية بل شارك في إضرابات جماعية في سنوات : **2011**، **2012**، **2016** و **2017** .

لم يكن أحمد سعدات مطاردا و ملاحقا من طرف قوات الاحتلال الصهيوني فقط، بل حتى من طرف ما يسمى بالسلطة الفلسطينية، فقد سجنته السلطة الفلسطينية في أريحا و هو يقود قائمة **"نبض الشعب"** للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كانت تخوض الانتخابات التشريعية في ماي **2001**، و في يناير **2006** انتخب أثناء وجوده في السجن عضوا في المجلس التشريعي الفلسطيني، و بعد شهر **اقتحم** الكيان الصهيوني سجن السلطة الفلسطينية و احتجز سعدات و خمسة سجناء آخرين سنة **2003**، حيث **اختطفه** العدو الصهيوني في مشهد هوليودي، و هي عملية سجلت **كوصمة عار في جبين السلطة الفلسطينية و قادتها**.

لقد كان اعتقال سعدات مؤامرة من طرف السلطة، فقد تم احتجازه في مقر قوات الرئيس عرفات، قبل أن ينقل إلى سجن أريحا في الأول من ماي **2002** بواسطة سيارات السفارة الأمريكية تحت **حراسة بريطانية و أمريكية**، حيث وضع في قسم منفصل من السجن تحت إشراف و

حراسة بريطانية، و في مارس **2006** اقتحم العدو سجن أريحا التابع للسلطة الفلسطينية و اعتقلت سعدات و رفاقه المعروفين ب "**خلية الوزير زئيفي**".

بعد توقيع القيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية اتفاقات أوسلو السيئة الذكر، و تولي السلطة الفلسطينية مهامها في ما يسمى **بمناطق الحكم الذاتي** أقدمت السلطة الفلسطينية على اعتقال سعدات ثلاث مرات، في **1995**، **يناير 1996** و **مارس 1999**.

حكم على أحمد سعدات بالسجن لمدة **30 سنة** أمضى منها أكثر من **17 سنة** بتهمة مقاومة الاحتلال، و من المفارقات أن سلطات الاحتلال لم تمسك دليلا لسعدات بقتل وزير السياحة رحبعام زئيفي على الرغم من أن سعدات هو صاحب شعار "**العين بالعين و السن بالسن** و **الرأس بالرأس**"، و الذي أطلقه في أعقاب اغتيال رفيقه أبوعلي مصطفى بصاروخين استهدفا مكتبه برام الله، و هذا يدل على فشل الاحتلال في انتزاع أي اعتراف من سعدات رغم التعذيب الذي لاقاه **مجسدا** معنى الصمود في أجلى صوره. أمام الكاميرات، و تعبيرا عن موقفه الوطني الصلب **رفض الاعتراف بشرعية المحكمة العسكرية**، و

رفض أن يكون في موقف المتهم و رفض مجرد الوقوف أمامها، و قد جسد عدم الاعتراف بهذه المحكمة في مداخلته أمامها:

"جوهر موقفي أنني أعتز بانتمائي للشعب الفلسطيني و حركته السياسية و الوطنية و مقاومته و نضاله العادل بتحقيق حقوقه الوطنية، و أعتز بالثقة التي منحت لي بانتخابي أمينا عاما، إن أي حكم تصدرونه بحقي تستطيعون تنفيذه لامتلاككم القوة، لكنكم لن توقفوا نضالاتي إلى جانب أبناء شعبي".

إن هذا القائد الثوري الفلسطيني الذي رفع راية المقاومة عاليا و أمضى حياته معتقلا في السجون الإسرائيلية و الفلسطينية أو مطاردا من قبلهما، منذ بداية الحرب على غزة بعد **طوفان الأقصى** عاد إلى الواجهة إضافة إلى العديد من المناضلين الفلسطينيين، اللذين يحتجزهم الاحتلال منذ عشرات السنين، و الذي يرفض أيضا إطلاق سراحهم في عمليات تبادل الأسرى.

المناضل جورج إبراهيم عبدالله

جورج عبد الله إبراهيم مناضل لبناني في سبيل القضية الفلسطينية، معتقل منذ 40 سنة في فرنسا بعد مقتل ملحق عسكري أمريكي و دبلوماسي إسرائيلي، أنهى محكوميته منذ 1999 لكن الولايات المتحدة الأمريكية لا زالت ترفض أن يغادر السجن.

ولد جورج عبد الله إبراهيم في بلدة القبيات في شمال لبنان، في 2 أبريل 1951، في عائلة مكونة من تسعة أطفال كان والدهم جنديا. درس في مدرسة الأشرفية العادية، وهي منطقة في شرق بيروت. في عام 1972، عين مدرسا في قرية في سهل البقاع. و قد ظل في التدريس حتى عام 1979.

نشأ جورج عبد الله في وقت أصبحت فيه الأزمة الهيكلية للكيان اللبناني مستعصية أكثر فأكثر. لقد كان الوقت الذي لم تتردد فيه البرجوازية في الدفع نحو حرب أهلية طائفية، من أجل درء أي تغيير ومواجهة تجدر حركة الجماهير الشعبية والشباب. إن تأكيد الواقع الثوري الفلسطيني في صدارة المشهد الإقليمي واللبناني قد ضاعف من نطاق مختلف الصراعات الاجتماعية في أوائل 70.

عشية الحرب الأهلية عام 1975، تغيرت طبيعة أزمة النظام وتغير نطاق القضايا المطروحة. ستجسد "أحزمة البؤس" حول بيروت وبلدات وقرى الجنوب ومخيمات اللاجئين على مشارف المدن الرئيسية التحديات المحلية والإقليمية والدولية للحركة الثورية لسنوات عديدة قادمة.

هذا الواقع من النضال والمقاومة والتضحية بنى الوعي السياسي لجورج عبد الله وحدد التزامه الثوري. اختار مقاومة المجازر الجماعية التي ارتكبتها البرجوازية الطائفية من جميع الأطياف وحلفاؤها الإسرائيليون والفرنسيون الأمريكيون وبدأ التزامه السياسي في صفوف الحزب الاجتماعي القومي السوري (الحزب السوري القومي التقدمي والقومي العربي)، ثم انضم إلى المقاومة الفلسطينية، وانضم إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

كان التزامه بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مدفوعا بالقضية الفلسطينية. شارك في حرب العصابات في جنوب لبنان. وقد أصيب خلال الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1978.

انضم إلى "الفصائل الثورية المسلحة اللبنانية" عندما تشكلت. أصبح جورج قائدا للمنظمة، وأجرى عملياتها من فرنسا، حيث استخدم الأسماء المستعارة **صالح المصري وعبد القادر سعدي**.

وبعد القبض عليه، أدلى بشهادته قائلا:

"أفعل ما أفعله بسبب الظلم الذي لحق بحقوق الإنسان فيما يتعلق بفلسطين"

يعتبر جورج عبد الله أقدم معتقل سياسي في فرنسا و أوروبا، و هو في 73 من عمره يقضي 40 سنة في المركب السجني لان يميزان (البيريني العليا).

في بلده لبنان شارك في تأسيس المنظمة **"التنظيم الماركسي للفصائل المسلحة الثورية اللبنانية "**في يونيو 1982، حمل السلاح بعد اجتياح لبنان من طرف الكيان الصهيوني. اعتبر هذا التنظيم أنه يجب القيام بعمليات عسكرية ضد إسرائيل و داعمتها الولايات المتحدة الأمريكية، و قد أعلن التنظيم فعلا عن مسؤوليته في قتل الملحق العسكري للولايات المتحدة في فرنسا شارل راي في 18 يناير1982، و كذلك المستشار الثاني في السفارة الإسرائيلية ياكوف بارسيمنتوف في 3 أبريل من نفس السنة.

الأسلحة التي ستغير الوضع

في 24 أكتوبر 1984، تم توقيف جورج عبد الله إبراهيم في ليون و بحوزته جواز سفر مزور، و ما زال لحدود هذا التوقيف بعيدا عن شبهة علاقته بمقتل راي بارسمينتوف، و بذلك كانت مسألة إطلاق سراحه في وقت أقرب مما كان متوقعا، لأنه في أبريل 1985 الفرنسي جيل سيدني

بيغول (ابن الكاتب جيل بيرو) مدير المركز الثقافي في طرابلس (شمال لبنان) تم اختطافه من طرف التنظيم الذي ينتمي إليه جورج عبد الله. سيعقد مدير إدارة مراقبة التراب الوطني ايف بونيت اتفاقا مع المصالح الجزائرية المقربة من هذا التنظيم، وكانت الصفقة إطلاق سراح جيل سيدني بيغول مقابل إطلاق سراح جورج عبد الله.

لكن في الوقت الذي أفرج فيه التنظيم عن جيل اكتشف المحققون أسلحة و من ضمنها المسدس الذي قتل به الملحق العسكري الأمريكي و الدبلوماسي الإسرائيلي في الأستوديو في شارع لاكروا في المقاطعة 17 بباريس و الذي أقام به في وقت ما جورج عبد الله. إذن التبادل الذي كان سيتم لم يتم الالتزام به. لقد تم التعهد أمام الجزائريين بالصفقة لكن فرنسا لم تكن عند كلمتها، و هكذا ظل جورج عبد الله مسجونا.

دخول الأمريكيين على الخط

في 10 يوليوز1986، حكم على جورج عبد الله بأربع سنوات سجنا بتهمة تزوير جوازات السفر، تكوين عصابة إجرامية، حيازة أسلحة و متفجرات، منذ ذلك الحين قررت الولايات المتحدة المشاركة في الإجراءات القانونية بعد أن لمست الحكم "المخفف" من أجل أن ينال جورج عبد الله أقسى العقوبات بسبب حسبها، نواياه العدوانية تجاه الأمريكيين.

لقد مارس المسؤولون الأمريكيون تهديدا تجاه الفرنسين بالقطيعة الدبلوماسية إذا لم تحكم فرنسا بالمؤبد على جورج عبد الله. وقد ندد **جاك فيرجيس**، في تقديمه وثائق من وزارة الخارجية، بما يلي:

"إن حكومة الولايات المتحدة هي التي تعارض استخدام حق النقض (الفيتو) الذي لا يطاق لإطلاق سراحه".

اتهم جورج أبراهيم بكونه وراء الهجمات التي عرفتها فرنسا سنة 1986، و التي قامت بها عناصر من المنظمة التي كان ينتمي إليها للمزيد من توريطه لنيل أقسى العقوبات، إلا أن التحقيقات التي تم القيام بها و التي برأته، انتهى الأمر مع ذلك بإدانته و اعتباره المحرض على تلك الهجمات، و هنا يبرز الدور الأمريكي الذي مارس ضغوطا رهيبة على فرنسا، و قد كان دائما سيف ديموقليتس هو قطع العلاقة الدبلوماسية مع فرنسا، فقد كانت الرغبة الأمريكية في تشديد العقوبات على جورج أبراهيم أكثر من فرنسا، لكن هذه الأخيرة استجابت للضغوطات الأمريكية ضدا عن العدالة و إعمال القانون.

كانت المحاكمة محاكمة سياسية بدرجة كبيرة

لقد شاب محاكمة جورج عبد الله الكثير من الوسخ و القذارة، فشهرا بعد الحكم على جورج عبد الله صدر كتاب صادم تحت عنوان "**العميل الأسود**". يصرح فيه أول محامي لجورج عبد الله، جون – بول مازورييز أنه لعب **لعبة مزدوجة** بالعمل لصالح الأجهزة السرية الفرنسية أثناء الدفاع عن موكله، "**أعترف اليوم أمامكم أن يدي متسختان، قمت بعمل وسخ و لكن كان علي أن أقوم به**"، هكذا أطلقها المحامي العميل عندما استضيف في برنامج "**أبوسطروف**". كان من شأن هذا التصريح أن يعاد النظر في محاكمة جورج عبد الله، لقد تم الدوس على المحاكمة العادلة (هذا المحامي أصبح فيما بعد، كالجمل الأجرب لم يقبل به في أي عمل من المهن التي كان يقدم فيها لكي يعمل و يذكرونه بماضيه الوسخ). كما تمت الإشارة إلى ذلك أعلاه، ظلت الولايات المتحدة تضغط على مختلف الحكومات التي تعاقبت في تلك الفترة التي كان فيها جورج معتقلا و رفض أي تخفيف في العقوبة التي لا تراها إلا في المؤبد. و قد جاء في إحدى التصريحات لوزارة الخارجية الأمريكية: "إن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تعبر عن معارضتها الشديدة لإمكانية إطلاق سراح جورج عبد الله (...) **فغياب الندم الصادق** من قبل جورج عبد الله يجعلنا نعتقد أنه قد يريد الانتقام من فرنسا و الولايات المتحدة، أو يرتكب مرة أخرى عمليات إرهابية للوصول إلى أهدافه".

كل الإدارات الأمريكية التي تعاقبت من ريغان إلى بايدن كان قرارها أن يظل جورج إبراهيم في السجن حتى يموت فيه. و كلما حاولت فرنسا العمل على إطلاق سراحه يكون الاعتراض الأمريكي الصارم.

لم يبد جورج عبد الله أي ندم عن فيما يتعلق بما قام به وظل مناضلا نشطا رغم سنوات السجن.

و من الأشياء التي يندى لها الجبين في هذا الغرب الذي يدعي الديموقراطية و حقوق الإنسان و العدالة، أنه مورست كل أشكال **التشويهات** ضد جورج عبد الله من أجل نزع كل مصداقية عن الرجل، بما في ذلك أنه **تحول إلى الإسلام السياسي** و تخلى عن ماركسيته إمعانا في خلط الأوراق و لإعطاء مزيد من التبريرات للإبقاء على سجن الرجل مع العلم أن الإسلاميين كانوا يكرهون الرجل بسبب أيديولوجيته المناقضة لأيديولوجيتهم.

في يونيو 2023 تقدم دفاع جورج عبد الله بطلب عاشر من أجل إطلاق سراح مشروط ظل بدون جواب.

على امتداد المدة التي قضاها جورج عبد الله في السجن، ماذا كان موقف الدولة اللبنانية لما يعيشه مواطنها من اعتقال تعسفي في السجون الفرنسية و الذي قارب 40 عاما، لم يكن للدولة اللبنانية أي موقف بسبب الهيمنة الفرنسية على مكونات النظام اللبناني. نتيجة الضغط الكبير من عائلة عبد الله بشكل أساسي جاءت بعض المبادرات الفردية و من بعض القوى السياسية و مستقلين تبنوا قضيته و شكلوا لأجلها حملة للضغط على السلطات الفرنسية و اللبنانية عبر الوقفات الاحتجاجية و تسليط الضوء على الانتهاكات القانونية و السياسية في هذا الملف الذي تحول إلى قضية العصر لناحية التعسف الفرنسي غير المسبوق بحق سجين أنهى محكوميته و ترفض الإدارة السياسية الإفراج عنه ضدا عن القانون، رغم تصريحات مسؤولين كبار عن تلفيق كل ما جاء في ملف القضية، بما في ذلك القاضي الفرنسي الذي وصف في أحد كتبه كيف استفاد الفرنسيون من التفجيرات التي استهدفت مواطنين فرنسيين في باريس في تلك الفترة ليزيدوا من قساوة العقوبة بالمناضل جورج عبد الله، حيث يقول أن:

"جورج عبد الله محكوم بشيء لم يفعله، فبعد فترة اكتشفنا الهوية الحقيقية للمسؤولين عن تفجيرات عام 1986".

في سنة 2018، سلمت الحملة الوطنية لتحرير المناضل جورج عبد الله، 128 نائبا في مجلس النواب، ملفا كاملا عن القضية منذ تاريخ توقيفه في فرنسا سنة 1984 إلى تاريخ آخر قرار إفراج عنه تم تعطيله سنة 2013 من قبل السلطات السياسية الفرنسية، التي رضخت للضغوط الصهيو – أمريكية.

لكن أخيرا، تغير الوضع و طلبت الدولة اللبنانية بشكل رسمي من الفرنسيين تسلم جورج عبد الله، و هذا ليس إلا واجبا من واجبات الدولة للدفاع عن مواطنيها، خصوصا تجاه مقاوم أفنى سنين عمره دفاعا عن تحرير بلاده، يأتي هذا القرار لتأكيد معنى الصمود الذي أبداه المناضل جورج عبد الله على مدى سنوات اعتقاله الأربعين متمسكا بشرعية المقاومة في وجه الاحتلال.

تنبغي الإشارة أن لبنان سبق أن سلم مطلوبين فرنسيين للسلطات الفرنسية، و لم يبادر أي مسؤول سياسي إلى تحريك ملف عبد الله إبراهيم.

الجمعيات والأحزاب السياسية وممثلو اليسار المنتخبون:

دعت عدة جمعيات فرنسية إلى إطلاق سراح جورج عبد الله، مثل رابطة حقوق الإنسان، وجمعية التضامن الفرنسي الفلسطيني، والاتحاد اليهودي الفرنسي من أجل السلام، وكذلك الأحزاب السياسية من اليسار وأقصى اليسار، بما في ذلك حزب اليسار، والحزب الشيوعي الفرنسي، والثورة الدائمة، والحزب الجديد المناهض للرأسمالية، و Lutte ouvrière، وCNTالبديل التحرري والحزب الشيوعي الماوي والصوت البروليتاري.

لم يحدث إجماع على مظلومية مناضل مثل ما كانه الإجماع على جورج عبد الله إبراهيم، فقضيته فريدة من نوعها من ناحية **اللاقانون** و **اللاعدالة** في بلدان تدعي الديموقراطية مثل فرنسا، فمنذ أن حكم عليه بالسجن إلى يومنا هذا، لم تتوقف المظاهرات و النداءات من أجل إطلاق سراح مناضل أنهى محكوميته و أنجزت حوله الأفلام الوثائقية و ألفت حوله الكتب بل كان أيضا موضوعا للسينما. جورج عبد الله، ما زال لحد الساعة، يقبع في سجن العار بفرنسا، و مع أحداث 7 أكتوبر (طوفان الأقصى) طلب من المقاومة الفلسطينية أن يكون جورج عبد الله إبراهيم كواحد من المناضلين اللذين وجب إدخالهم في لائحة الأسرى الذين تطالب المقاومة بالإفراج عنهم.